

وقف لله تعالى

إِغْتِنَامُ الْأَوْقَاتِ فِي الْبَاقِيَّاتِ إِصْطِحَاتِ

جَمَعَ الْفَقِيرُ إِلَى عَفْوَرَبِهِ

عَبْدُ الْغَيْرِ الْحَمْدُ لِلَّهِ

عَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ

حقوق الطبع محفوظة

وَمَنْ أَرَادَ طَبَاعَتَهُ لَوَجْهِ اللَّهِ تَعَالَى لَا يُرِيدُ بِهِ عَرْضًا مِّنَ الدُّنْيَا فَقَدْ أُذِنَ لَهُ
وَجَزَاهُ اللَّهُ عَنِّي وَعَنِ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا . أَسْأَلُ اللَّهَ الْكَرِيمَ الْعَلِيِّ الْعَظِيمَ الرَّؤُوفَ
الْكَرِيمَ أَنْ يَنْفَعَ بِهِ مَنْ قَرَأَهُ وَمَنْ سَمِعَهُ وَأَنْ يَأْجُرَ مَنْ دَلَّ عَلَيْهِ أَوْ سَعَى بِهِ إِلَى
مَنْ يَنْتَفِعُ بِهِ . اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(الطبعة الثالثة سنة ١٤١٠ هـ)

مهداة من :

عبد العزيز الحمد الكائن

وقف لله تعالى

إِعْتِنَا مَ الْأَوْقَاتِ فِي الْبَاقِيَاتِ
إِصْبَاحَاتِ قَبْلَ هُجُومِ هَامِ
الذَّاتِ وَمُشَيَّتِ الشَّيْءِ
وَمُفَرِّقِ الْجَمَاعَاتِ

جَفَعَ الْفَقِيرَ إِلَى عَفْوَرَبِهِ

بِعَبْدِ الْغِيَا مَحْمَدٍ السَّلَامَانِي

غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ

حقوق الطبع محفوظة

وَمَنْ أَرَادَ طِبَاعَتَهُ لَوَجْهَ اللَّهِ تَعَالَى لَا يُرِيدُ بِهِ عَرْضًا مِّنَ الدُّنْيَا فَقَدْ أُذِنَ لَهُ
وَجَزَاهُ اللَّهُ عَنِّي وَعَنِ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا . أَسْأَلُ اللَّهَ الْمَكْرِيمَ الْعَلِيِّ الْعَظِيمَ الرَّؤُوفَ
الْمُرْتَحِمَ أَنْ يَنْفَعَهُ بِهِ مَنْ قَرَأَهُ وَمَنْ سَمِعَهُ وَأَنْ يَأْجُرَ مَنْ دَلَّ عَلَيْهِ أَوْ سَعَى بِهِ إِلَى
مَنْ يَنْتَفِعُ بِهِ ، اَللّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(الطبعة الثالثة سنة ١٤١٠ هـ)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ ، وَنَسْتَغْفِرُهُ ، وَنُسْتَهْدِيهِ ، وَنُتُوبُ إِلَيْهِ ،
وَنُعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، وَمَنْ
يُضِلِّهِ فَلَا هَادِيَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ .

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ الدَّاعِيَ إِلَى التَّوْحِيدِ ، السَّاعِي بِالنُّصْحِ
لِلْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ ، الْمُحَذِّرُ لِلْعَصَاةِ مِنْ نَارٍ تَلْظِي بِدَوَامِ الْوَقِيدِ ، الْمُبَشِّرُ
لِلْمُؤْمِنِينَ بِدَارٍ لَا يَنْقُذُ نَعِيمُهَا وَلَا يَبِيدُ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ ،
صَلَاةٌ لَا تَزَالُ عَلَى كَرِّ الْجِدِّ يُدْنِي فِي تَجْدِيدِهِ ، وَسَلَّمٌ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وَبَعْدُ فَإِنَّ اللَّهَ جَلَّ جَلَالُهُ خَلَقَ الْخَلْقَ لِيَعْرِفُوهُ وَيَعْبُدُوهُ وَيَخْشَوْهُ وَيَخَافُوهُ
وَنَصَّبَ لَهُمُ الْأَدَلَّةَ الدَّالَّةَ عَلَى عَظَمَتِهِ وَكِبَرِيَّائِهِ لِيَهَابُوهُ ، وَيَخَافُوهُ خَوْفَ
الْإِجْلَالِ وَالْتِعَظِيمِ .

وَذَكَرَ جَلَّ وَعَلَا شِدَّةَ عَذَابِهِ وَدَارَ عِقَابِهِ الَّتِي أَعَدَّهَا لِمَنْ نَبَذَ أَمْرَهُ وَعَصَاهُ
لِيَتَّقُوهُ بِصَالِحِ الْأَعْمَالِ .

وَدَعَا عِبَادَهُ إِلَى تَحْشِيَّتِهِ وَتَقْوَاهُ وَالْمُسَارَعَةِ إِلَى امْتِثَالِ مَا يَأْمُرُ بِهِ وَيُحِبُّهُ
وَيَرْضَاهُ ، وَاجْتِنَابِ مَا يَنْهَى عَنْهُ وَيَكْرَهُهُ وَيَأْبَاهُ .

وَبَعْدُ فَقَدْ عَزَمْتُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ أَجْمَعَ مِنْ كَلَامِ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ
وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ ، وَمِنْ كَلَامِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَمِنْ كَلَامِ أَهْلِ
الْعِلْمِ ، مَا يَحْتَضِرُنِي وَإِنْ حَوَانِي الْمُسْلِمِينَ عَلَى التَّأَهُبِ وَالِاسْتِعْدَادِ لِمَا أَمَأَمْنَا ، مِنْ
الْكُرُوبِ وَالشَّدَائِدِ وَالْأَهْوَالِ وَالْأُمُورِ الْعِظَامِ وَالْمُزْعِجَاتِ الْمُقْلِقَاتِ
الصَّعَابِ .

وَسَمَّيْتَ هَذَا الْكِتَابَ «إِعْتِنَامَ الْأَوْقَاتِ فِي الْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ قَبْلَ هُجُومِ
هَادِمِ اللَّذَاتِ ، وَمُشْتَتِ الشُّمْلِ وَمُفَرِّقِ الْجَمَاعَاتِ » .

وَأَسْأَلُ اللَّهَ الْكَرِيمَ رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ أَنْ يَنْفَعَنَا بِهِ وَإِخْوَانَنَا الْمُسْلِمِينَ إِنَّهُ
الْقَادِرُ عَلَى ذَلِكَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحَابَتِهِ أَجْمَعِينَ .

(فِصْل)

تَكَلَّمَ أَحَدُ الْعُلَمَاءِ فِي صِفَةِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَدَوَاهِيهِ وَأَسَامِيهِ فَقَالَ : فَاسْتَعِدَّ يَا
مُسْكِينٍ لِهَذَا الْيَوْمِ الْعَظِيمِ شَأْنُهُ الْمَدِيدُ زَمَانُهُ الْقَاهِرُ سُلْطَانُهُ الْقَرِيبُ أَوَانُهُ يَوْمٌ
تُرَى السَّمَاءُ فِيهِ قَدْ انْفَطَرَتْ ، وَالْكَوَاكِبُ قَدْ انْتَشَرَتْ ، وَالْبَحَارُ قَدْ سُجِّرَتْ ،
وَالنُّجُومُ قَدْ انْكَدَرَتْ ، وَالشَّمْسُ قَدْ كَوَّرَتْ ، وَالْجِبَالُ قَدْ سِيرَتْ ، وَالْعُشَارُ
قَدْ غُطِّلَتْ ، وَالْوُحُوشُ قَدْ حُشِرَتْ ، وَالنَّفُوسُ قَدْ زُوِّجَتْ ، وَالْجَنِّيمُ قَدْ
سُعِّرَتْ ، وَالْجَنَّةُ قَدْ أُزْلِفَتْ ، وَالْجِبَالُ قَدْ نُسِفَتْ ، وَالْأَرْضُ قَدْ مُدَّتْ .

يَوْمٌ تُرَى الْأَرْضُ فِيهِ قَدْ زُلْزِلَتْ زِلْزَالَهَا ، يَوْمٌ فِيهِ تُخْرِجُ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ،
وَتُحَدِّثُ أَحْبَارَهَا يَوْمِيذٌ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرُوا أَعْمَالَهُمْ ، يَوْمٌ تُحْمَلُ
الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَذِكَّتَا ذِكَّةً وَاحِدَةً .

﴿ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ، وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ، وَالْمَلِكُ
عَلَى أَرْجَائِهَا ، وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ، يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا
تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ﴾ .

يَوْمٌ فِيهِ تُسِيرُ الْجِبَالُ وَتُرَى الْأَرْضُ بَارِزَةً ، يَوْمٌ تُرْجُ فِيهِ الْأَرْضُ رَجًّا ،
وَتُبْسُ فِيهِ الْجِبَالُ بَسًّا ، فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا ، يَوْمٌ يَكُونُ النَّاسُ فِيهِ كَالْفَرَاشِ
الْمُبْثُوثِ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ .

يَوْمٌ تَذْهَلُ فِيهِ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ ، وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا ، وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ، يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ ، وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ .

يَوْمَ تُنْسَفُ الْجِبَالُ فِيهِ نَسْفًا فَتُتْرَكُ قَاعًا صَفْصَفًا لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ، يَوْمَ تَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ، يَوْمَ تَنْشَقُّ فِيهِ السَّمَاءُ فَتَكُونُ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ، فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌ يَوْمَ فِيهِ يُعْرَفُ الْمَجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ ، يَوْمَ تَعْلَمُ فِيهِ كُلُّ نَفْسٍ مَا أَحْضَرَتْ ، يَوْمَ تَنْطِقُ فِيهِ الْجَوَارِحُ .

يَوْمَ شَيَّبَ ذِكْرُهُ سَيِّدَ الْمُرْسَلِينَ إِذَا قَالَ لَهُ الصَّدِيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَرَأَيْكَ قَدْ شَبَّتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « شَيَّبَتْنِي هُودٌ وَأَنْخَوَاتُهَا » وَهِيَ الْوَاقِعَةُ وَالْمُرْسَلَاتُ وَعَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ، وَإِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ .

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي ذِكْرِ بَعْضِ أَهْوَالِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ :

وَتَحْدَثُ الْأَرْضُ النَّبِيَّ كُنَّا بِهَا	أَخْبَارَهَا فِي الْحَشْرِ لِلرَّحْمَنِ
وَتُظَلُّ تَشْهَدُ وَهِيَ عَدْلٌ بِالذِّمَّةِ	مِنْ فَوْقِهَا قَدْ أَحْدَثَ الثَّقَلَانِ
وَتُمَدُّ أَيْضًا مِثْلُ مَدِّ أَدِيمِنَا	مِنْ غَيْرِ أَوْدِيَةٍ وَلَا كُتْبَانِ
وَتَقْيُ يَوْمَ الْعَرْضِ مِنْ أَكْبَادِهَا	كَالْأَصْطِوَانِ نَقَائِسَ الْأَثْمَانِ
كُلُّ يَرَاهُ بَعَيْنِهِ وَعَيْنَانِهِ	مَا لِإِمْرَأَةٍ بِالْأَخْذِ مِنْهُ يَدَانِ
وَكَذَا الْجِبَالُ تُفْتَقُ فِتْنًا مُحْكَمًا	فَتَعُودُ مِثْلَ الرَّمْلِ ذِي الْكُتْبَانِ
وَتَكُونُ كَالْعِهْنِ الَّذِي أَلْوَانُهُ	وَصِبَاغُهُ مِنْ سَائِرِ الْأَلْوَانِ
وَتُبْسُ بَسًا مِثْلَ ذَلِكَ فَتَنْشِي	مِثْلَ الْهَبَاءِ لِطَاطِرِ الْإِنْسَانِ
وَكَذَا الْبَحَارُ فَإِنَّهَا مَسْجُورَةٌ	قَدْ فُجِرَتْ تَفْجِيرَ ذِي السُّلْطَانِ
وَكَذَا لِلِّ الْقَمَرَانِ يَأْذَنُ رَبُّنَا	لَهُمَا فَيَجْتَمِعَانِ يَلْتَقِيَانِ

هَذِي مُكَوَّرَةٌ وَهَذَا خَاسِفٌ وَكِلَاهُمَا فِي النَّارِ مَطْرُوحَانِ
وَكَوَاكِبُ الْأَفْلَاكِ تُنْثَرُ كُلُّهَا كَلَالِيءٌ نُثِرَتْ عَلَى مَيْدَانِ
وَكَذَا السَّمَاءُ تُشَقُّ شَقًّا ظَاهِرًا وَتُمُورٌ أَيْضًا أَيْمًا مَوْرَانِ
وَتَصِيرُ بَعْدَ الْإِثْشَاقِ كَمِثْلِ هَذَا الْمَهْلِ أَوْ تَكُ وَرْدَةٌ كِدَهَانِ

وقال القحطاني رحمه الله :

يَوْمُ الْقِيَامَةِ لَوْ عَلِمْتَ بِهِوْلِهِ لَفَرَرْتَ مِنْ أَهْلِهِ وَمِنْ أَوْطَانِ
يَوْمُ تَشَقَّقَتِ السَّمَاءُ لَهُوْلِهِ وَتَشِبُّ مِنْهُ مَفَارِقُ الْوِلْدَانِ
يَوْمُ عَبُوسٌ قَمَطَرِيٌّ شَرُّهُ فِي الْخَلْقِ مُنْتَشِرٌ عَظِيمُ الشَّانِ
يَوْمَ يَجِيءُ الْمُتَّقُونَ لِرَبِّهِمْ وَفَدَاءً عَلَى نُجْبٍ مِنَ الْعَقِيَانِ
وَيَجِيءُ فِيهِ الْمُجْرِمُونَ إِلَى لَظَى يَتَلَمَّظُونَ تَلَمَّظَ الْعَطْشَانِ

« موعظة »

فَيَا أَيُّهَا الْمُهْمِلُونَ الْعَافِلُونَ تَيَقَّظُوا فَإِلَيْكُمْ يُوجَّهُ الْخَطَابُ وَيَا أَيُّهَا
التَّائِمُونَ اتَّبِعُوا قَبْلَ أَنْ تُنَاخَ لِلرَّحِيلِ الرِّكَابَ قَبْلَ هُجُومِ هَادِمِ الذَّاتِ وَمُفْرِقِ
الْجَمَاعَاتِ وَمِذْلُ الرِّقَابِ ، وَمُشْتَتِّ الْأَحْبَابِ ، فَيَا لَهُ مِنْ زَائِرٍ لَا يَعُوقُهُ عَائِقُ
وَلَا يُضْرِبُ دُونَهُ حِجَابٌ ، وَيَا لَهُ مِنْ نَازِلٍ لَا يَسْتَأْذِنُ عَلَى الْمُلُوكِ وَلَا يَلْجُ مِنْ
الْأَبْوَابِ ، وَلَا يَرْحَمُ صَغِيرًا وَلَا يُوقِرُ كَبِيرًا وَلَا يَخَافُ عَظِيمًا وَلَا يَهَابُ أَلَا
وَإِنَّ بَعْدَهُ مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ مِنَ السُّؤَالِ وَالْجَوَابِ ، وَوَرَاءَهُ هَوْلُ الْبُعْثِ
وَالْحَشْرِ وَأَحْوَالِهِ الصَّعَابِ مِنْ طُولِ الْمَقَامِ وَالْإِزْدِحَامِ فِي الْأَجْسَامِ وَالْمِيزَانِ
وَالصِّرَاطِ وَالْحِسَابِ وَالْجَنَّةِ أَوْ النَّارِ .

اللَّهُمَّ انْظُمْنَا فِي سِلْكِ الْفَائِزِينَ بِرِضْوَانِكَ ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الْمُتَّقِينَ الَّذِينَ

أَعْدَدْتَ لَهُمْ فَسِيحَ جَنَاتِكَ ، وَأَدْخَلْنَا بِرَحْمَتِكَ فِي دَارِ أَمَانِكَ ، وَعَافَيْنَا يَا مَوْلَانَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِنْ جَمِيعِ الْبَلَاءِ ، وَأَجَزَلْنَا مِنْ مَوَاقِبِ فَضْلِكَ وَهَبَاتِكَ وَمَتَّعْنَا بِالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ الْكَرِيمِ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ، وَاعْفُورْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

إِغْلَمْ وَفَقَّنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ أَنْ الْمَوْتَ أَعَانَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى شِدَائِدِهِ وَسَكَرَاتِهِ وَغُومِهِ هُوَ الْخَطْبُ الْأَفْطَحُ ، وَالْأَمْرُ الْأَشْتَعُ ، وَالْكَأْسُ الَّتِي طَعَّمَهَا أَكْرَهَ وَأَبْشَعَ .

وَلِأَنَّهُ الْحَادِثُ الْهَائِلُ الْعَظِيمُ ، الْهَادِمُ لِلذَّاتِ ، وَالْأَقْطَعُ لِلرَّاحَاتِ ، وَالْأَجْلَبُ لِلْكَرِيهَاتِ ، وَإِنْ أَمْرًا يُقْطَعُ أَوْصَالُكَ ، وَيُفْرَقُ أَعْضَاءُكَ ، وَيُفْتَتُّ أَعْضَادُكَ ، وَيُهْدَدُ أَرْكَانُكَ ، لَهُوَ الْأَمْرُ الْعَظِيمُ ، وَالْخَطْبُ الْجَسِيمُ ، وَإِنَّ يَوْمَهُ لَهُوَ الْيَوْمُ الْعَقِيمُ .

وَمَا ظَنُّكَ رَحِمَكَ اللَّهُ بِنَازِلٍ يَنْزِلُ بِكَ ، فَيَذْهَبُ رَوْتُكَ وَبَهَاءُكَ ، وَيُغَيِّرُ مَنْظَرَكَ وَحُسْنَكَ وَيَمْحُو صُورَةَ جَمَالِكَ ، وَيَمْنَعُكَ مِنْ اجْتِمَاعِكَ وَاتِّصَالِكَ .

وَيُرْدُكَ بَعْدَ النُّعْمَةِ وَالنَّظَرَةِ وَالسُّطُورَةِ وَالْقُدْرَةِ وَالنَّخْوَةِ وَالْعِزَّةِ إِلَى حَالَةٍ يُبَادِرُ أَحَبُّ النَّاسِ لَكَ وَأَرْحَمُهُمْ بِكَ وَأَعْطَفُهُمْ عَلَيْكَ فَيَقْدِفُكَ فِي حُفْرَةٍ مِنَ الْأَرْضِ قَرِيبَةٍ أَنْحَاوَهَا مُظْلِمَةٌ أَرْجَاوَهَا مُحْكَمٌ عَلَيْكَ طِينُهَا وَأَحْجَارُهَا مُتَحَكِّمٌ فِيكَ هَوَائِهَا وَدِيْدَانِهَا .

ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ يَتَمَكَّنُ مِنْكَ الْإِعْدَامُ ، وَتَخْتَلِطُ بِالرُّغَامِ ، وَتَصِيرُ تُرَابًا تُوْطُو بِالْأَقْدَامِ ، وَرُبَّمَا ضُرِبَ مِنْكَ إِنَاءٌ فَخَارٍ أَوْ أَحْكَمُ مِنْكَ بِنَاءُ جِدَارٍ أَوْ طَلِيٌّ مِنْكَ مَحْبَسُ مَاءٍ أَوْ مَوْقِدُ نَارٍ .

أَوْ نَحْو ذَلِكَ .

لَعَلَّ إِنَاءَ مِنْهُ يُصْنَعُ مِرَّةً فَيَكُلُّ مِنْ أَرَادَ وَيُشْرَبُ
وَيُنْقَلُ مِنْ أَرْضٍ لِأُخْرَى وَمَادَرَى فَوَاهَا لَهُ بَعْدَ الْبَلَاءِ يَتَغَرَّبُ
ثُمَّ يَعْلَمُ وَفَقْنَا اللَّهَ وَإِيَّاكَ لِلْإِسْتِعْدَادِ لِمَا أَمَانَنَا مِنَ الْأَهْوَالِ وَالشَّدَائِدِ
وَالْكُرُوبِ وَالْأُمُورِ الْمُزْعِجَاتِ .

أَنَّهُ جَدِيرٌ بِمَنِ الْمَوْتِ مَصْرَعُهُ ، وَالتُّرَابُ مَضْجَعُهُ ، وَالْدُّوْدُ أُنْيُسُهُ وَمُنْكَرٌ
وَنَكِيرٌ جَلِيسُهُ ، وَالْقَبْرِ مَقَرُّهُ ، وَبَطْنُ الْأَرْضِ مُسْتَقَرُّهُ ، وَالْقِيَامَةُ مَوْعِدُهُ ،
وَالْجَنَّةُ أَوْ النَّارُ مَوْرِدُهُ .

أَنْ لَا يَكُونَ لَهُ فِكْرٌ إِلَّا فِي الْمَوْتِ ، وَلَا ذِكْرٌ إِلَّا لَهُ ، وَلَا اسْتِعْدَادٌ إِلَّا
لِأَجَلِهِ ، وَلَا تَذْيِيرٌ إِلَّا فِيهِ ، وَلَا تَطَلُّعٌ إِلَّا إِلَيْهِ ، وَلَا تَأْهُبٌ إِلَّا لَهُ ، وَلَا تَغْرِيجٌ
إِلَّا عَلَيْهِ ، وَلَا اهْتِمَامٌ إِلَّا بِهِ ، وَلَا انْتِظَارٌ وَلَا تَرْبُصٌ إِلَّا لَهُ .

وَحَقِيقٌ بِالْعَاقِلِ أَنْ يُعَدَّ نَفْسَهُ مِنَ الْمَوْتَى وَيَرَاهَا مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ، فَإِنَّ
كُلَّ مَا هُوَ آتٍ قَرِيبٌ قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا : ﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي
غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ ﴾ وَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿ أَمْرُ اللَّهِ فَلَاسْتَغْجِلُوهُ ﴾ وَقَالَ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الْكَيْسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ »
الْحَدِيثُ .

وَأَعْلَمُ أَنَّهُ لَوْ لَمْ يَكُنْ فِي الْمَوْتِ إِلَّا الْإِعْدَامُ وَانْخِلَالُ الْأَجْسَامِ وَنِسْيَانُكَ
أُخْرَى اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ ، لَكَانَ وَاللَّهِ لِأَهْلِ اللَّذَاتِ مُكْدَرًا ، وَلِأَصْحَابِ النَّعِيمِ
مُنْغَصِبًا وَمُغَيِّرًا ، وَلِأَرْبَابِ الْعُقُولِ الرَّاجِحَةِ عَنِ الرَّغْبَةِ فِي هَذِهِ الدَّارِ زَاجِرًا
وَمُنْفِرًا ، وَلِلْمُنْهَمِكِ فِي الدُّنْيَا وَزَخَارِفِهَا مُنْذِرًا وَمُزْعِجًا وَمُحَذِّرًا .

قَالَ مُطَرِّفُ بْنُ الشَّخِيرِ : إِنْ هَازَا الْمَوْتَ نَعَصَ عَلَى أَهْلِ النَّعِيمِ نَعِيمَهُمْ ،
فَاطْلُبُوا نَعِيمًا لَا مَوْتَ فِيهِ ، فَكَيْفَ وَوَرَاءَهُ يَوْمٌ يُعَدُّ فِيهِ الْجَوَابُ وَتَذَهُّشُ فِيهِ
الْأَلْبَابُ ، وَتَفْنَى فِي شَرْحِهِ الْأَقْلَامُ وَالْكِتَابُ .

وَلَمْ يَمُزْ بِهِ يَوْمَ فَطِنَ أَشَدَّ عَلَيْهِ مِنْ يَوْمِ الْحِمَامِ
وَيَوْمِ الْحَشْرِ أَفْطَحَ مِنْهُ هَوًى إِذَا وَقَفَ الْخَلَائِقُ بِالْمَقَامِ
فَكَمْ مِنْ ظَالِمٍ يَبْقَى ذَلِيلًا وَمَظْلُومٍ تَشْمَرُ لِلْخِصَامِ
وَشَخْصٍ كَانَ فِي الدُّنْيَا فَقِيرًا تَبَوَّأَ مَنْزِلَ الثُّجْبِ الْكِرَامِ
وَعَفُو اللَّهِ أَوْسَعَ كُلِّ شَيْءٍ تَعَالَى اللَّهُ خَلَّاقُ الْأَنَامِ

ومن كلام بعضهم يا ابن آدم لو رأيت ما حل بك وما أحاط بأرجائك
لبقيت مصروعاً لما بك ، مدهولاً عن أهليك وأصحابك .

يا ابن آدم أما علمت أن بين يديك يوماً يصم سماعه الآذان ، ويشيب
لرؤعه الولدان ، ويترك فيه ما عز وما هان ، ويهجر له الأهلون والأوطان .

يا ابن آدم أما ترى مسير الأيام بجسمك ، وذهابها بعمرك ، وإخراجها
لك من سعة قصرِك إلى مضيق قبرِك ، وبعد ذلك ما لذكر بعضه تنصدع
القلوب ، وتنضج له الجوانح وتذوب ، ويفر المرء على وجهه فلا يرجع
ولا يؤوب ، ويود الرجعة وأنى له المطلوب .

قال الله جلّ وعلا وتقدس : ﴿ وأُنذِرُهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ
فِي غَفْلَةٍ ﴾ وقال تبارك وتعالى : ﴿ انْ تَقُولُ نَفْسٌ يَا حَسْرَتًا عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي
جَنبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لِمَنِ السَّاحِرِينَ أَوْ تَقُولُ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ
أَوْ تَقُولُ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ ، وقال تبارك
وتعالى : ﴿ هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ ﴾ وقال عز من قائل : ﴿ اقْتَرَبَ
لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ ﴾ ، وقال : ﴿ أَيْدٍ أَحَدَكُمْ أَنْ تَكُونَ
لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ
الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ
الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ ، وقال : ﴿ وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ

الإنسان وأنى له الذكرى يقول يا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴿١﴾ ، وقال تبارك وتعالى :
﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ الْكُبْرَى يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى ﴾ ، وقال تعالى :
﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَاعْمَلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَاعْمَلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا
وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ
شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ ، وقال جل
وعلا : ﴿ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا
أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فاصدق وأكن من الصالحين ﴾ ، وقال تبارك وتعالى :
﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ
لَا يُظْلَمُونَ ﴾ .

شِعْرًا :

لِأَمْرِ مَا تَصَدَّعَتِ الْقُلُوبُ	وَبَاحَ بِسِرِّهَا دَمْعَ سَكِينُ
وَبَاتَتْ فِي الْجَوَانِحِ نَارُ ذِكْرِي	لَهَا مِنْ خَارِجِ أَثَرِ عَجِينُ
وَمَا خَفَ اللَّيْبُ لِغَيْرِ شَيْءٍ	وَلَا أَعْيَا بِمَنْطِقِهِ الْأَرِيبُ
ذَرَاهُ لَائِمَاهُ فَلَا تَلُومًا	فَرَبَّتْ لِأَيْمٍ فِيهِ يَحُوبُ
رَأَى الْأَيَّامَ قَدْ مَرَّتْ عَلَيْهِ	مُرُورَ الرِّيحِ يَذْفَعُهَا الْهَبُوبُ
وَمَا نَفْسٌ يَمُرُّ عَلَيْهِ إِلَّا	وَمِنْ جُثْمَانِهِ فِيهِ نَصِيبُ
وَبَيْنَ يَدَيْهِ لَوْ يَذْرِي مَقَامَ	بِهِ الْوِلْدَانُ مِنْ رَوْعِ تَشِينُ
وَهَذَا الْمَوْتُ يَذْنِيهِ إِلَيْهِ	كَمَا يَذْنِي إِلَى الْهَرَمِ الْمَشِينُ
مَقَامَ تُسْتَلَذُّ بِهِ الْمَنَآيَا	وَتُدْعَى فِيهِ لَوْ كَانَتْ تُجِينُ
وماذا الوَصْفُ بِالْبُغْهِ وَلَكِنْ	هِيَ الْأَمْثَالُ يَفْهَمُهَا اللَّيْبُ

اللَّهُمَّ أَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَوَفَّقْنَا لِلْقِيَامِ بِحَقِّكَ وَبَارِكْ لَنَا فِي الْحَلَالِ مِنْ رِزْقِكَ
وَلَا تَفْضَحْنَا بَيْنَ خَلْقِكَ يَا خَيْرَ مَنْ دَعَا دَاعٍ وَأَفْضَلَ مَنْ رَجَأَ رَاجٍ يَا قَاضِي

الْحَاجَاتِ وَمُجِيبَ الدَّعَوَاتِ هَبْ لَنَا مَا سَأَلْنَاهُ وَحَقِّقْ رَجَاءَنَا فِيمَا تَمَنَّيْنَاهُ يَا مَنْ
يَمْلِكُ حَوَائِجَ السَّائِلِينَ وَيَعْلَمُ مَا فِي صَمَائِرِ الصَّامِتِينَ أَذِقْنَا بَرْدَ عَفْوِكَ وَحَلَاوَةَ
مَغْفِرَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

موعظة

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمُسْتَحَقُّ لِغَايَةِ التَّحْمِيدِ ، الْمُتَوَحِّدِ فِي كِبَرِيَّاتِهِ وَعَظَمَتِهِ الْوَلِيِّ
الْحَمِيدِ ، الْغَنِيِّ الْمُغْنِي الْمُبْدِي الْمُعِيدِ ، الْمُعْطِي الَّذِي لَا يَنْفَدُ عَطَاؤُهُ
وَلَا يَبِيدُ ، الْمَانِعِ فَلَا مُعْطِي لِمَا مَنَعَ وَلَا رَادٍّ لِمَا يُرِيدُ .

خَلَقَ الْخَلَائِقَ وَأَوْضَحَ لَهُمْ أَحْسَنَ طَرِيقٍ ، وَهَدَاهُمْ إِلَى الْأَمْرِ الرَّشِيدِ ،
وَصَوَّرَهُمْ فَأَحْسَنَ صُورَهُمْ ، وَبَشَّرَ مَنْ أَطَاعَهُ بِالْجَنَّةِ وَالنَّعِيمِ وَالتَّخْلِيدِ ،
وَحَذَّرَ مَنْ عَصَاهُ مِنَ الْعَذَابِ الشَّدِيدِ .

وَحَثَّهُمْ عَلَى ذِكْرِهِ وَحَمْدِهِ وَشُكْرِهِ وَوَعَدَهُمْ بِالْمَزِيدِ ، فَقَالَ جَلَّ وَعَلَا وَهُوَ
أَصْدَقُ الْقَائِلِينَ وَأَوْفَى الْوَاعِدِينَ : ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ
عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ .

وَحَكَّمَ عَلَى خَلْقِهِ بِالْفَنَاءِ فَمَا لِأَحَدٍ عَنْهُ مَحِيصٌ وَلَا مَحِيذٌ ، فَكَمْ أَبْكَى
الْمَوْتُ خَلِيلًا بِفِرَاقِ خَلِيلِهِ ، وَكَمْ أَيْتَمَ طِفْلًا فَشَغَلَهُ بَيْكَايُهُ وَعَوِيلُهُ .

أَوْحَشَ الْمَنَازِلَ مِنْ أَقْمَارِهَا ، وَنَفَّرَ الطُّيُورَ مِنْ أَوْكَارِهَا ، وَعَوَّضَهُمْ مِنْ
لَذَّةِ الْعَيْشِ بِالتَّغْنِيصِ وَالتَّكْنِيدِ .

فَالْمَلِكُ وَالْمَمْلُوكُ وَالْغَنِيُّ وَالصُّعْلُوكُ وَالْقَوِيُّ وَالضَّعِيفُ ، تَسَاوَتْ قُبُورُهُمْ
فِي الْقَفْرِ وَالْبَيْدِ .

فَسُبْحَانَهُ مِنْ إِلَهٍ أَذَلَّ بِالْمَوْتِ كُلَّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ، وَكَسَرَ بِهِ مِنَ الْأَكَاسِرَةِ
كُلَّ جَبَّارٍ صَنِيدٍ ، وَأَخْرَجُوا مِنْ سَعَةِ الْقُصُورِ إِلَى ضَيْقِ الْقُبُورِ ، وَقُطِعَ حَبْلُ
أَمْدِهِمُ الْمَدِيدِ .

أَخَذَ بِهِ الْأَبَاءَ وَالْجُدُودَ وَالْأَطْفَالَ مِنَ الْمُهُودِ ، وَأَسْكَنَهُمْ بَعْدَ اللَّيْلِ وَالسَّعَةِ
وَالرَّفَاهِيَةِ مَضِيقَ اللَّحُودِ ، وَعَفَّرَ وَجُوهَهُمْ فِي التَّرَابِ بَعْدَ لَيْلِ الْوَسَائِدِ وَالْفِرَشِ
النَّاعِمَةِ وَالتَّمْهِيدِ وَبَقُوا فِي تَحْتَ الْأَرْضِ إِلَى يَوْمِ الْوَعِيدِ .

فَيَا بُؤْسَ لِلدُّنْيَا شَدَّ مَا عَنْ تَذْيِهَا فَطَمَتُهُمْ وَمِنْ سُمَّهَا أَطَعَمَتُهُمْ وَيَدِيهَا
الْبَاطِشَةَ لَطَمَتُهُمْ ، وَفِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَغِيَابَاتِ الثَّرَى طَرَحَتُهُمْ ، فَقَلَبَتْ قَائِمَ
تِلْكَ الْأَعْيَانِ ، وَطَمَسَتْ تِلْكَ الْوُجُوهَ الْحَسَنَ .

وَأُغَمَّتْ تِلْكَ الْأَبْصَارَ ، وَأَصَمَّتْ تِلْكَ الْأَذَانَ وَأَسَالَتْ الْحَدَقَ عَلَى
الْخُدُودِ وَالْوَجَنَاتِ ، وَغَسَلَتْ بِالصُّدِيدِ جَمِيعَ الْقَسَمَاتِ ، وَمَلَأَتْ بِالثَّرَابِ
اللِّهَازِمَ وَاللَّهُوَاتِ .

وَكَسَرَتْ تِلْكَ الضُّوَا حَكَ وَالرَّبْعِيَّاتِ ، وَعَبَّتِ الدِّيدَانُ بِجُسُومِ أَوْلِيكَ
الْفَتَيَانِ وَالْفَتَيَاتِ ، لَطَالَمَا اغْرُبُوا ضَا حَكِينَ ، وَتَقَلَّبُوا فَاكِهِينَ ، وَبَاثُوا عَلَى
سُرَرِهِمْ مُطَمَّئِنِينَ آمِنِينَ .

فَكَمْ بِهَا مِنْ لِسَانٍ فَصِيحٍ ، طَالَمَا مَا أُنْشَدَ وَخَطَبَ ، وَأَرْهَبَ وَأَرْغَبَ ،
وَمَدَحَ وَأَطْنَبَ ، وَكَمْ مِنْ فَصِيحٍ لِسَانٍ وَعَظِيمٍ بَيَّانٍ أَخْرَسَهُ الْحَدَثَانِ ،
وَتَحَكَّمَتْ فِي جَسَدِهِ الْهُوَامُ وَالْدِّيدَانُ .

وَلَوْ كَشَفَ الْأَجْدَاثَ مُعْتَبِرًا لَهُمْ لَيَنْظُرَ آثَارَ الْبَلَاءِ كَيْفَ يَصْنَعُ
لشَاهِدَ أَحَدًا قَدْ تَسِيلَ وَأَوْجَهَا

مُعَفَّرَةٌ فِي الثَّرْبِ شَوْهَا تُفْرَعُ
 غَدَتْ تَحْتَ أَطْبَاقِ الثَّرَى مُكْفَهَّرَةٌ
 عُبُوساً وَقَدْ كَانَتْ مِنَ الْبَشْرِ تَلْمَعُ
 فَلَمْ يُعْرِفِ الْمَوْلَى مِنَ الْعَبْدِ فِيهِمْ
 وَلَا خَامِلاً مِنْ نَابِهِ يَتَرَفَّعُ
 وَأَنَّى لَهُ عِلْمٌ بِذَلِكَ بَعْدَمَا
 تَبَيَّنَ مِنْهُمْ مَا لَهُ الْعَيْنُ تَدْمَعُ
 رَأَى مَا يَسُوءُ الطَّرْفَ مِنْهُمْ وَطَالَمَا
 رَأَى مَا يَسُرُّ النَّاطِرِينَ وَيُمْنِعُ
 رَأَى أَعْظَمًا لَا تَسْتَطِيعُ تَمَاسُكاً
 تَهَافَّتْ مِنْ أَوْصَالِهَا وَتَقَطَّعُ
 مُجَرَّدَةً مِنْ لَحْمِهَا فَهِيَ عِبْرَةٌ
 لِذِي فِكْرَةٍ فِيمَا لَهُ يَتَوَقَّعُ
 تَخَوَّنَهَا مَرُّ اللَّيَالِي فَاصْتَبَحَتْ
 أَنَايِبَ مِنْ أَجْوَابِهَا الرِّيحُ تُسْمَعُ
 أُزِيلَتْ عَنِ الْأَعْنَاقِ فَهِيَ نَوَاقِيسُ
 عَلَى الثَّرْبِ مِنْ بَعْدِ الْوَسَائِدِ تُرْفَعُ
 عَلَاهَا ظِلَامٌ لِلْبَلَى وَلَطَالَمَا
 غَدَا نُورُهَا فِي جَنَدِ الْظُّلُمِ يَلْمَعُ
 كَانَ لَمْ يَكُنْ يَوْمًا عَلَا مَفْرَقاً لَهَا
 نَفَائِيسُ تَيْجَانٍ وَدُرٍ مُرَصَّعُ
 تَبَاعَدَ عَنْهُمْ وَخَشَّةٌ كُلُّ وَامِقٍ
 وَعَافَهُمُ الْأَهْلُونَ وَالنَّاسُ أَجْمَعُ

وَقَاطَعُهُمْ مَنْ كَانَ حَالَ حَيَاتِهِ
 يَوْصِلُهُمْ وَجَدًا بِهِمْ لَيْ
 يُكَيِّمُهُمُ الْأَعْدَاءُ مِنْ سُوءِ حَالِهِمْ
 وَيَرْحَمُهُمْ مَنْ كَانَ ضَرِ
 فَقُلْ لِلَّذِي قَدْ غَرَّهُ طُولُ عُمُرِهِ
 وَمَا قَدْ حَوَاهُ مِنْ زَنَاحَا
 أَفْقٍ وَانْظُرِ الدُّنْيَا بَعَيْنِ بَصِيرَةٍ
 تَجِدُ كُلَّ مَا فِيهَا وَدَا
 فَأَيْنَ الْمُلُوكُ الصَّيِّدُ قَدَمًا وَمَنْ حَوَى
 مِنَ الْأَرْضِ مَا كَانَتْ بِهِ ا
 حَوَاهُ ضَرِيحٍ مِنْ فَضَاءٍ بِسِيْطِلِهَا
 يُقَصِّرُ عَنْ جُثَمَائِهِ
 فَكَمْ مَلِكٍ أَضْحَى بِهَذَا مَذَلَّةً
 وَقَدْ كَانَ حَيًّا لِلْمَهْ
 يَقُودُ عَلَى الْخَيْلِ الْعِتَاقِ فَوَارِسًا
 يَسُدُّ بِهَا رَحْبَ الْفَيْ
 فَأَصْبَحَ مِنْ بَعْدِ الشُّعْمِ فِي ثَرَى
 تُورِي عِظَامًا مِنْهُ بِهِ
 بَعِيدًا عَلَى قُرْبِ الْمَزَارِ إِيَابُهُ
 فَلَيْسَ لَهُ حَتَّى الْقِيَامَ
 غَرِيْبًا عَنِ الْأَحْبَابِ وَالْأَهْلِ ثَاوِيًا
 بِأَقْصَى فَلَاةٍ خَزَقَهُ لَ

تُلْجُ عَلَيْهِ السَّافِيَاتُ بِمَنْزِلِ
جَدِيدٍ وَقَدْ كَانَتْ بِهِ الْأَرْضُ تُمْرِغُ
رَهِيناً بِهِ لَا يَمْلِكُ الدَّمَرُ رَجْعَةً
وَلَا يَسْتَطِيعُونَ الْكَلَامَ فَيَسْمَعُ
تَوَسَّدَ فِيهِ التُّرْبُ مِنْ بَعْدِ مَا اغْتَدَى
زَمَاناً عَلَى فُرْشٍ مِنَ الْحَزِّ يُرْفَعُ
كَذَلِكَ حُكْمُ اللَّهِ فِي الْخَلْقِ لَنْ تَرَى
مِنَ النَّاسِ حَيّاً شَمْلُهُ لَيْسَ يُصْدَعُ

اللَّهُمَّ انْهَجْ بِنَا مَنَاهَجَ الْمُفْلِحِينَ وَالْبَسْنَا خِلْعَ الْإِيمَانِ وَالْيَقِينِ ، وَخَصَّنَا
مِنْكَ بِالتَّوْفِيقِ الْمُبِينِ ، وَوَفَّقْنَا لِقَوْلِ الْحَقِّ وَاتِّبَاعِهِ وَخَلَّصْنَا مِنَ الْبَاطِلِ
وَانْتِدَاعِهِ ، وَكُنْ لَنَا مُؤَيِّداً وَلَا تَجْعَلْ لِفَاجِرٍ عَلَيْنَا يَدَاً وَاجْعَلْ لَنَا غِيْشاً رَغِداً
وَلَا تُشْمِثْ بِنَا عَدُوّاً وَلَا حَاسِداً ، وَارْزُقْنَا عِلْماً نَافِعاً وَعَمَلاً مُتَقَبَّلاً ، وَفَهْماً
ذَكِياً وَطَبْعاً صَفِيّاً وَشِفَاءً مِنْ كُلِّ دَاءٍ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ. وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
أَجْمَعِينَ .

(فصل)

وقال رحمه الله :
إِعْلَمْ وَفَّقَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ لِمَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ أَنْ كَثْرَةَ ذِكْرِ
الْمَوْتِ تَرْدَعُ عَنِ الْمَعَاصِي وَتُكَلِّمُ الْقَلْبَ الْقَاسِي ، وَتُذْهِبُ الْفَرَحَ بِالدُّنْيَا وَزِينَتِهَا
وَرَحَائِرِهَا وَلَذَائِهَا .

وَتُحُلِّكُ عَلَى الْجِدِّ وَالْاجْتِهَادِ فِي الطَّاعَاتِ وَإِصْلَاحِ أَحْوَالِكَ وَشُؤْنِكَ

والتَّسْخِرُ مِنْ حُقُوقِ اللَّهِ وَحُقُوقِ خَلْقِهِ ، وَتَنْفِيذُ الْوَصَايَا وَأَدَاءِ الْآمَانَاتِ
وَالدِّيُونِ .

قال بعضهم فَضَحَ الدنيا والله هذا الموت فلم يترك فيها لذي عقلٍ فَرَحاً .
وقال آخرُ مَا رَأَيْتُ عَاقِلاً قَطُّ إِلَّا وَجَدْتُهُ حَذِراً مِنَ الْمَوْتِ حَزِيناً مِنْ
أَجْلِهِ .

وقال آخرُ مَنْ ذَكَرَ الْمَوْتَ هَانَتْ عَلَيْهِ مَصَائِبُ الدُّنْيَا .
وقا آخرُ : مَنْ لَمْ يَخَفْهُ فِي هَذِهِ الدَّارِ رُبَّمَا تَمَنَّاهُ فِي الْآخِرَةِ فَلَا يُؤْتَاهُ .
وقال آخر يُوصِي أَخاً لَهُ : يَا أَخِي إِحْذِرِ الْمَوْتَ فِي هَذِهِ الدَّارِ مِنْ قَبْلِ أَنْ
تَصِيرَ إِلَى دَارٍ تَتَمَنَّى بِهَا الْمَوْتَ فَلَا يُوجَدُ .

وقال آخرُ : وَأَمَّا ذِكْرُ الْمَوْتِ وَالتَّفَكُّرُ فِيهِ ، فَإِنَّهُ وَإِنْ كَانَ أَمراً مُقَدَّراً
مَفْرُوعاً مِنْهُ ، فَإِنَّهُ يَكْسِبُكَ بِتَوْفِيقِ اللَّهِ التَّجَافِي عَنْ دَارِ الْغُرُورِ ، وَالِاسْتِعْدَادِ
وَالْإِتْيَاةِ إِلَى دَارِ الْخُلُودِ ، وَالتَّفَكُّرُ وَالتَّنَظُّرُ فِيمَا تَقْدَمُ عَلَيْهِ وَفِيمَا يَصِيرُ أَمْرُكَ
إِلَيْهِ .

وَيُهَوِّنُ عَلَيْكَ مَصَائِبَ الدُّنْيَا وَيُصَغِّرُ عِنْدَكَ نَوَائِبَهَا ، فَإِنْ كَانَ سَبَبُ مَوْتِكَ
سَهْلاً وَأَمْرُهُ قَرِيباً فَهُوَ ذَاكَ ، وَإِنْ كَانَتْ الْأُخْرَى كُنْتَ مَأْجُوراً مَعَ النِّيَّةِ
الصَّالِحَةِ فِيمَا تُقَاسِيهِ ، مُثَاباً عَلَى مَا تَتَحَمَّلُهُ مِنَ الْمَشَاقِّ .

واعلم أَنَّ ذِكْرَ الْمَوْتِ وَغَيْرِهِ مِنَ الْأَذْكَارِ إِنَّمَا يَكُونُ بِالْقَلْبِ وَإِقْبَالِكَ عَلَى مَا
تَذْكُرُهُ . قال الله جلا جلاله وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ : ﴿ إِن فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ
كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ فَأَيُّ فَائِدَةٍ لَكَ رَحِمَكَ اللَّهُ فِي
تَحْرِيكِ لِسَانِكَ إِذَا لَمْ يَخْطُرْ بِقَلْبِكَ .

وإنما مثل الذكر الذي يعقب التنبيه ، ويكون معه النفع والإيقاظ من العفلة والنوم أن تُحضِرَ المذكورَ قلبك وتجمَعْ له ذهنك وتجعله نصب عينيك ومثالاً لحاظراً بين يديك ، وأن تنظر إلى كل ما تحبه من الدنيا من ولد أو أهل أو مال أو غير ذلك ، فتعلم علماً لا يشوبه شك أنك مفارقة إِمَّا في الحياة أو في الممات ، وهذه سنة الله الجارية في خلقه وحكمه المطرد .

وتشعر هذا قلبك وتفرغ له نفسك فتمنعها بذلك عن الميل إلى ذلك المحبوب والتعلق به والهلكة بسببه .

فَعَقِبَى كُلِّ شَيْءٍ نَحْنُ فِيهِ مِنْ الْجَمْعِ الْكَثِيفِ إِلَى شَتَاتٍ وَمَا حُزْنَاهُ مِنْ حِلٍّ وَحُرْمٍ يُورِّعُ فِي الْبَيْنِ فِي الْبَنَاتِ وَفِيمَنْ لَمْ نُؤْهِلْهُمْ بِفَلَسٍ وَفِيْمَةِ حَبَّةٍ قَبْلَ الْمَمَاتِ وَتَنَسَّانَا الْأَجْبَةُ بَعْدَ عَشْرِ وَقَدْ صِرْنَا عِظَاماً بَالِيَاتٍ كَأَنَّا لَمْ نُعَاشِرْهُمْ بِوُدٍّ وَلَمْ يَكْ فِيهِمْ حِلٌّ مُوَاتٍ

واعلم رَحِمَكَ اللهُ أَنَّ مِمَّا يُعِينُكَ عَلَى الْفِكْرَةِ فِي الْمَوْتِ وَيُفَرِّغُكَ لَهُ وَيُكْثِرُ اشْتِغَالَ فِكْرِكَ بِهِ تَذَكُّرُ مَنْ مَضَى مِنْ إِخْوَانِكَ وَإِخْلَانِكَ وَأَصْحَابِكَ وَأَقْرَانِكَ وَزُمَلَائِكَ وَأَسَاتِدَتِكَ وَمَشَايِخَتِكَ الَّذِينَ مَضَوْا قَبْلَكَ وَتَقَدَّمُوا أَمَامَكَ .

كَانُوا يَحْرِصُونَ حِرْصَكَ وَيَسْعَوْنَ سَعْيَكَ ، وَيَأْمَلُونَ أَمْلَكَ ، وَيَعْمَلُونَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا عَمَلَكَ وَقَصَّتِ الْمُنُونُ أَعْنَاقَهُمْ وَقَصَمَتْ ظُهُورَهُمْ وَأَصْلَابَهُمْ ، وَفَجَعَتْ فِيهِمْ أَهْلِيَهُمْ وَأَجْبَاءَهُمْ وَأَقْرِبَاءَهُمْ وَجِيرَانَهُمْ فَأَصْبَحُوا آيَةً لِلْمُتَوَسِّمِينَ وَعِبْرَةً لِلْمُعْتَبِرِينَ .

وَيَتَذَكَّرُ أَيْضاً مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الْاعْتِنَاءِ بِالْمَلَائِكِ وَنَضَافَتِهَا وَنَضَرَةِ بَشَرَتِهِمْ ، وَمَا كَانُوا يَسْحَبُونَهُ مِنْ أَرْدِيَةِ الشَّبَابِ وَأَنَّهُمْ كَانُوا فِي نِعَمٍ يَتَقَلَّبُونَ ، وَعَلَى الْأَسِيرَةِ يَتَكَيُّونَ ، وَبِمَا شَاؤُوا مِنْ مَحَابِبِهِمْ يَتَنَعَّمُونَ .

وفي أمانيتهم يقومون ويقعدون ، لا يفكرون بالزوال ، ولا يهتمون
بانتقال ، ولا يخطر الموت لهم على بال ، قد خدعتهم الدنيا بزخارفها ،
وحلبت لهم وخدعتهم برويقها ، وحدت لهم بأحاديثها الكاذبة ، ووعدتهم
بمواعيدها المخلفة العرارة .

فلم تزل تقرب لهم بعيدها ، وترفع لهم مشييدها ، وتلبسهم غصها
وجديدها ، حتى إذا تمكنت منهم علائقها ، وتحكمت فيهم رواشيقها ،
وتكشفت لهم حقائقها ، ورمقتهم من المنيّة رواقها .

فوثبت عليهم وثبة الحنق وأغصتهم غصة الشرق ، وقتلتهم قتلة
المخنق ، فكم عليهم من عيون باكية ، ودموع جارية ، وحلود دامية ،
وقلوب من الفرح والسرور لفقدهم خالية . وأنشدوا في هذا المعنى :

وريان من ماء الشباب إذا مشى
يميد على حكم الصبا ويميد
تعلق من دنياه إذ عرّضت له
خلوباً لألباب الرجال تصيد
فأصبح منها في حصيد وقائم
وللمرء منها قائم وحصيد
خلا بالأمانى واستطاب حديثها
فينقص من أطماعه ويزيد
وأذنت له الأشياء وهي بعيدة
وتفعل ثذني الشيء وهو بعيد
أنيحت له من جائب الموت رمية
فراح بها المعرور وهو حصيد

وصَارَ هَشِيمًا بَعْدَمَا كَانَ يَانِعًا
وَعَادَ حَدِيثًا بِنَقْضِي وَيَبِيدُ
كَانَ لَمْ يَنْلُ يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ لَذَّةً
وَلَا طَلَعَتْ فِيهِ عَلَيْهِ سَعُودُ
تَبَارَكَ مَنْ يُجْرِي عَلَى الْخَلْقِ حُكْمَهُ
فَلَيْسَ لِشَيْءٍ مِنْهُ عَنْهُ مَجِيدُ

اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا لِصَالِحِ الْأَعْمَالِ ، وَنَجِّنَا مِنْ جَمِيعِ الْأَهْوَالِ ، وَأَمَّنَّا مِنَ
الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ يَوْمَ الرِّجْفِ وَالزَّلْزَالِ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا ، وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْل)

وَاعْلَمُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ أَنَّ النَّاسَ فِي ذِكْرِ الْمَوْتِ عَلَى أَقْسَامٍ فَمِنْهُمْ الْمُتَهَمِكُ
فِي لَذَائِهِ الْمُتَابِرِ عَلَى شَهَوَاتِهِ ، الْمُضِيعُ فِيهَا مَا لَا يَرْجِعُ مِنْ أَوْقَاتِهِ ، لَا يَخْطُرُ
الْمَوْتُ لَهُ عَلَى بَالٍ ، وَلَا يُحَدِّثُ نَفْسَهُ بِزَوَالِ ، وَاتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ ، فَأَصَمَّهُ
وَأَعَمَّهُ وَأَهْلَكَهُ وَأَزْدَاهُ .

فَإِنَّ ذِكْرَ لَهُ الْمَوْتُ نَفَرَ وَشَرَّدَ ، وَإِنْ أُعِظَ أَنْفَ وَبُعْدَ ، وَقَامَ فِي أَمْرِهِ الْأَوَّلِ
وَقَعْدَ ، قَدْ حَادَّ عَنْ سِوَاءِ نَهْجِهِ ، وَنَكِبَ عَنِ الطَّرِيقِ الصَّحِيحِ ، وَأَقْبَلَ عَلَى
بَطْنِهِ وَفَرَجِهِ ، ثَبَّتَ يَدَاهُ وَخَابَ مَسْعَاهُ .

وَكَأَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ قَوْلَ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ وَقَوْلُهُ
تَعَالَى : ﴿ قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ﴾ .

وهذا وأمثاله إن ذُكِرَ له الموتُ تصامَمَ عن ذكرِهِ كأنَّ لم يَسْمَعْ ولم يُمَكِّنْهُ
مِنْ فِكْرِهِ رَجَاءً أَنْ يَبْلُغَ مَا أُمِّلَ أَوْ يُدْرِكَ بَعْضَ مَا تَخَيَّلَ فَعُمُرُهُ يَنْقُصُ ،
وَجِسْمُهُ يَخْلُقُ وَيَضْعِفُ ، وَأَمَلُهُ جَدِيدٌ ، وَحَتْفُهُ قَرِيبٌ .

يَحْرَصُ حِرْصَ مُقِيمٍ وَيَسِيرُ إِلَى الْآخِرَةِ سَيْرَ مُجِدِّ كَأَنَّ الدُّنْيَا عِنْدَهُ حَقٌّ
الْيَقِينِ وَالْآخِرَةُ ظَنٌّ مِنَ الظُّنُونِ .

أَتَحْرِصُ يَا ابْنَ آدَمَ حِرْصَ بَاقٍ وَأَنْتَ تَسِيرُ وَيَحْكُ كُلُّ حِينٍ
وَتَعْمَلُ طَوْلَ ذَهْرِكَ فِي ظُنُونٍ وَأَنْتَ مِنَ الْمُنُونِ عَلَى يَقِينٍ
وَقَسَمْتَ آخِرَ وَقَلِيلٍ مَا هُمْ مَنْ أُزِيلَ عَنْ عَيْنَيْهِ قَذَاهَا ، وَكُشِفَ عَنْ بَصِيرَتِهِ
عَمَّاهَا ، وَغُرِضَتْ عَلَيْهِ الْحَقِيقَةُ فَرَأَاهَا ، وَأَبْصَرَ نَفْسَهُ وَهَوَاهَا ، فَزَجَرَهَا
وَنَهَاهَا ، وَأَبْغَضَهَا وَقَلَاهَا .

فَلَبَّى الْمُنَادِي ، وَأَجَابَ الدَّاعِي ، وَشَمَّرَ لِتَلَاوِي مَا فَاتَ ، وَالنَّظَرَ فِيمَا هُوَ
آتٍ ، وَتَاهَبَ لِهُجُومِ هَادِمِ اللَّذَاتِ ، وَمُفَرِّقِ الْجَمَاعَاتِ ، وَاسْتَعَدَّ لِحُلُولِ
الشُّتَاتِ وَالانْتِقَالِ إِلَى مَحَلَّةِ الْأَمْوَاتِ .

وَمَعَ هَذَا فَهُوَ يَكْرَهُ أَنْ يَشْهَدَ وَقَائِعَهُ أَوْ يَرَى طَلَائِعَهُ وَلَيْسَ يَكْرَهُ الْمَوْتَ
لِذَاتِهِ وَلَا لِأَنَّهُ هَادِمٌ لِلذَّاتِ ، وَلَكِنَّهُ يَخَافُ أَنْ يَقْطَعَهُ عَنِ الاسْتِعْدَادِ لِيَوْمِ
الْمَعَادِ ، وَالْاِكْتِسَابِ لِيَوْمِ الْحِسَابِ .

وَيَكْرَهُ أَنْ تُطَوَى صَحِيفَةُ عَمَلِهِ قَبْلَ بُلُوغِ أَمَلِهِ ، وَأَنْ يُبَادَرَ بِأَجَلِهِ قَبْلَ
إِصْلَاحِ حَالِهِ ، وَتَذَارِكِ زَلَلِهِ ، فَهُوَ يُرِيدُ الْبَقَاءَ فِي هَذِهِ الدَّارِ لِقَضَاءِ هَذِهِ
الْأَوْطَارِ وَالْإِقَامَةَ بِهَذِهِ الْمَحَلَّةِ بِسَبَبِ هَذِهِ الْعِلَّةِ .

شِعْرًا :

أَهْوَنُ بِدَارِكِ الدُّنْيَا وَأَهْلِيهَا وَاضْرِبْ بِهَا صَفَحَاتٍ مِنْ مُجِيبِهَا

اللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي لَسْتُ أُعْشِقُهَا وَلَا أُرِيدُ بَقَاءَ سَاعَةٍ فِيهَا
لَكِنْ تَمَرَّغْتُ فِي أَذْنَانِهَا حُقْبًا وَبِثُّ أَنْشُرُهَا حِينًا وَأَطْوِيهَا
أَيَّامَ أَسْحَبُ ذَيْلِي فِي مَلَاعِبِهَا جَهْلًا وَأَهْدِمُ مِنْ دِينِي وَأَنْبِيَهَا
وَكَمْ تَحَمَّلْتُ فِيهَا غَيْرَ مُكْتَرِبٍ مِنْ شَامِخَاتِ ذُنُوبٍ لَسْتُ أُحْصِيهَا
فَقُلْتُ أَتَبْقَى لَعَلِّي أَهْدِمُ مَا بَنَيْتُ مِنْهَا وَأَذْنَسِي أَنْفِيهَا
وَمِنْ وَرَاءَ عِقَابٍ لَسْتُ أَقْطَعُهَا حَتَّى أُخَفِّفَ أَحْمَالِي وَأَلْقِيهَا
يَا وَيْلَتِي وَبِحَارِ الْعَفْوِ زَاخِرَةٌ إِنْ لَمْ تُصِيبْنِي بِرَشٍ فِي تَنْبِيْهَا .

هَذَا لِلَّهِ دَرَّةٌ يُرْجَى لَهُ الْمَغْفِرَةُ مِنَ اللَّهِ وَالسُّرُورُ وَالْحُبُورُ لِتَوْبِيخِهِ نَفْسَهُ
وَاسْتِعْظَامِهِ لِذُنُوبِهِ وَرَجَائِهِ الْمَغْفِرَةَ .

وَقَالَ ابْنُ السَّمَاكِ إِنَّ الْمَوْتَى لَمْ يَبْكُوا مِنَ الْمَوْتِ وَلَكِنَّهُمْ يَبْكُونَ مِنَ
حَسْرَةِ الْفَوَاتِ فَاتَتْهُمْ وَاللَّهُ ذَا رُ لَمْ يَتَزَوَّدُوا مِنْهَا ، وَدَخَلُوا دَارًا لَمْ يَتَزَوَّدُوا هَا .

فَأَيَّةُ سَاعَةٍ مَرَّتْ عَلَى مَنْ مَضَى وَأَيَّةُ سَاعَةٍ بَقِيَتْ عَلَيْنَا وَاللَّهُ إِنْ الْمُتَفَكَّرُ فِي
هَذَا لَجَدِيرٌ أَنْ يَتَرَكَ الْأَوْطَانَ ، وَيَهْجُرَ الْخِلَانَ ، وَيَدَعَ مَا عَزَّ وَمَا هَانَ .

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ كَانُوا يَشْهَدُونَ الْجَنَازَةَ فَيَرَى فِيهِمْ ذَلِكَ أَيَّامًا كَانُوا
فِيهِمْ الْفَكْرَةُ فِي الْمَوْتِ ، وَفِي حَالِ الْمَيِّتِ .

وَقَالَ مُطَرِّفُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ابْنُ الشَّخِيرِ عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ كَانَ يَلْقَى الرَّجُلَ مِنْ
خَاصَةِ إِخْوَانِهِ قَدْ بَعُدَ عَنْهُ بِهِ فَلَا يَزِيدُهُ عَلَى السَّلَامِ حَتَّى يَظُنَّ الرَّجُلُ فِي
صَدْرِهِ عَلَيْهِ مَوْجِدَةٌ ، أَيْ غَضَبٌ كُلُّ ذَلِكَ لِانْشِغَالِ فِكْرِهِ بِالْجَنَازَةِ وَتَفَكُّرِهِ
فِيهَا وَفِي مَصِيرِهَا حَتَّى إِذَا فَرَّغُوا مِنْهَا لَقِيَهُ وَسَأَلَهُ عَنْ حَالِهِ وَلَا طَفَقَهُ وَكَانَ مِنْهُ
عَلَى أَحْسَنِ مَا عَهْدَ وَقَالَ الْأَعْمَشُ كُنَّا نَشْهَدُ الْجَنَازَةَ وَلَا نُدْرِي مَنْ الْمُعْزَى
فِيهَا لِكَثْرَةِ الْبَاكِينَ وَإِنَّمَا بُكَاءُهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا عَلَى الْمَيِّتِ .

شِعْرًا :

ماذا تُؤْمَلُ وَالْأَيَّامُ ذَاهِبَةٌ وَمِنْ وَرَائِكَ لِلْأَيَّامِ قُطَاعُ
وَصَبِيحَةٌ لِهُجُومِ الْمَوْتِ مُنْكَرَةٌ صُمْتُ لِوَقَعَتِهَا الشَّنْعَاءِ أَسْمَاعُ
وَعُصَّةٌ بِكُؤُوسٍ أَنْتَ شَارِبُهَا لَهَا بِقَلْبِكَ الْآمُ وَأَوْجَاعُ
يَا غَافِلًا وَهُوَ مَطْلُوبٌ وَمُتَّبَعٌ أَتَاكَ سَيْلٌ مِنَ الْفُرْسَانِ دَفَاعُ
تُحْذِرُنَا إِلَيْكَ طِعَانًا فِيكَ نَافِذَةٌ تَعْدِي الْجَلِيسَ وَأَمْرٌ لَيْسَ يُسْتَطَاعُ
إِنَّ الْمَنِيَّةَ لَوْ تُلْقَى عَلَى جَبَلٍ لِأَصْبَحَ الصَّخْرُ مِنْهُ وَهُوَ مِيَاغُ

اللَّهُمَّ يَا مَنْ لَا تَضُرُّهُ الْمَعْصِيَةُ وَلَا تَنْفَعُهُ الطَّاعَةُ أَيَقْظَنَانَا مَنْ نَوْمِ الْعَفَلَةِ
وَتَبَّهْنَا لَاغْتِنَامِ أَوْقَاتِ الْمُهْلَةِ وَوَقَفْنَا لِمَصَالِحِنَا وَاعْصِمْنَا مِنْ قَبَائِحِنَا وَذُنُوبِنَا وَلَا
تَوَاحِدْنَا بِمَا انْطَوَتْ عَلَيْهِ ضَمَائِرُنَا وَأَكْتَنَتْهُ سَرَائِرُنَا مِنْ أَنْوَاعِ الْقَبَائِحِ
وَالْمَعَائِبِ الَّتِي تَعْلَمُهَا مِنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ
وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
أَجْمَعِينَ .

فصل في ذكر كلام بعض المرضى والمختضرين

وَلَمَّا اخْتَضَرَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جَاءَتْهُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهَا فَلَمَّا رَأَتْهُ تَمَثَّلَتْ بِهَذَا الْبَيْتِ .

لَعَمْرِكَ مَا يُغْنِي الثَّرَاءُ عَنِ الْفَتَى إِذَا حَشَرَجَتْ يَوْمًا وَضَاقَ بِهَا الصَّدْرُ
فَكَشَفَ أَبُو بَكْرٍ عَنْ وَجْهِهِ وَقَالَ لَيْسَ كَذَلِكَ وَلَكِنْ قُولِي : ﴿ وَجَاءَتْ
سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾ ، ثُمَّ قَالَ فِي كَمِّ كُفْنِ رَسُولِ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ : فِي ثَلَاثَةِ أَثْوَابٍ يُبْضَى سَحُورِيَّةٌ . فَقَالَ : تُحْذِرُونَا
هَذَا الثَّوْبَ لِثَوْبٍ كَانَ عَلَيْهِ قَدْ أَصَابَهُ مِسْكٌ أَوْ زَعْفَرَانٌ فَاغْسِلُوهُ ثُمَّ كَفِّنُونِي فِيهِ

مَعَ ثَوْبَيْنِ آخَرَيْنِ وَكَانَ ثَوْبًا خَلِيقًا . فَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مَا هَذَا تُرِيدُ أَنَّهُ خَلَقَ . فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الْحَيُّ أَخَوُجُ إِلَى الْجَدِيدِ مِنَ الْمَيِّتِ إِنَّمَا هَذَا لِلْمُهْلِ . « أَيْ لِلصُّدَيْدِ وَالْقَيْحِ » .

وَيُرَوَّى عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ لَمَّا أُخْتُضِرَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالُوا لَهُ يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِنَّا نَرَاكَ أُلِمَّ بِكَ فَأَوْصِنَا بِوَصِيَّةٍ وَزَوَّدْنَا مِنْكَ بِمَوْعِظَةٍ .

فَقَالَ مَنْ قَالَ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ ثُمَّ مَاتَ جَعَلَ اللَّهُ رُوحَهُ فِي الْأَفْقِ الْمُبِينِ فَقَالُوا وَمَا الْأَفْقُ الْمُبِينُ قَالَ قَاعٌ بَيْنَ يَدَيِ الْعَرْشِ فِيهِ رِيَاضٌ وَأَشْجَارٌ وَأَنْهَارٌ فَمَنْ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ جَعَلَهُ اللَّهُ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ .

اللَّهُمَّ إِنَّكَ ابْتَدَأْتَ الْخَلْقَ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ بِكَ إِلَيْهِمْ ثُمَّ جَعَلْتَهُمْ فَرِيقًا لِلنَّعِيمِ وَفَرِيقًا لِلسَّعِيرِ فَاجْعَلْنِي لِلنَّعِيمِ وَلَا تَجْعَلْنِي لِلسَّعِيرِ .

اللهم إِنَّكَ خَلَقْتَهُمْ وَمَيَّزْتَهُمْ قَبْلَ أَنْ تُخْلُقَهُمْ فَجَعَلْتَ مِنْهُ شَقِيئًا وَسَعِيدًا وَغَوِيًّا وَرَشِيدًا فَلَا تُشَقِّقْنِي بِمَعَاصِيكَ .

اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَلِمْتَ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ قَبْلَ أَنْ تُخْلُقَهَا وَلَا مَحِيصَ لَهُمْ مِمَّا عَلِمْتَ فَاجْعَلْنِي مِمَّنْ تَسْتَعْمِلُهُ بِطَاعَتِكَ .

اللَّهُمَّ إِنَّ أَحَدًا لَا يَشَاءُ إِلَّا مَا تَشَاءُ فَاجْعَلْ مَشِيئَتِي أَنْ أَشَاءَ مَا يُقَرِّبُنِي إِلَيْكَ .

اللهم إِنَّكَ قَدَّرْتَ حَرَكَاتِ الْعِبَادِ فَلَا يَتَحَرَّكُ شَيْءٌ إِلَّا بِإِذْنِكَ فَاجْعَلْ حَرَكَتِي فِي تَقْوَاكَ اللَّهُمَّ إِنَّكَ خَلَقْتَ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ وَجَعَلْتَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَامِلًا يَعْمَلُ بِهِ فَاجْعَلْنِي مِنْ خَيْرِ الْقَسَمَيْنِ .

اللهم إِنَّكَ خَلَقْتَ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ وَجَعَلْتَ لِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا أَهْلًا فَاجْعَلْنِي
مِنْ سَاكِنِي جَنَّتِكَ .

اللهم إِنَّكَ أَرَدْتَ الضَّلَالَ بِقَوْمٍ وَضَيِّقْتَ بِهِ صُدُورَهُمْ فَاشْرَحْ صَدْرِي
لِلْإِيمَانِ وَزَيِّنْهُ فِي قَلْبِي .

اللهم إِنَّكَ دَبَّرْتَ الْأُمُورَ فَجَعَلْتَ مَصِيرَهَا إِلَيْكَ فَأَخِينِي حَيَاةً طَيِّبَةً وَقَرِّبْنِي
إِلَيْكَ زُلْفَى .

اللهم مَنْ أَصْبَحَ يَتَّقُكَ وَرَجَاؤُهُ غَيْرُكَ فَأَنْتَ ثِقَتِي وَرَجَائِي وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ
إِلَّا بِكَ قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَهَذَا كُلُّهُ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ١ هـ .

وَقَالَ الشَّعْبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ لَمَّا طُعِنَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أُتِيَ بِلَبَنٍ فَشَرِبَ مِنْهُ
فَخَرَجَ اللَّبَنُ مِنْ طَعْنَتِهِ فَقَالَ اللَّهُ أَكْبَرُ وَجَعَلَ جُلَسَاؤُهُ يُثْنُونَ عَلَيْهِ خَيْرًا .

فَقَالَ وَدِدْتُ أَنْ أُخْرَجَ مِنَ الدُّنْيَا كَفَافًا كَمَا دَخَلْتُ لَا عَلَيَّ وَلَا لِي وَاللَّهُ لَوْ
كَانَ لِي الْيَوْمَ مَا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ لَا فَتَدَيْتُ بِهِ مِنْ هَوْلِ الْمَطْلَعِ .

وَلَمَّا اخْتَضِرَ عُثْمَانُ عَلَيْهِ وَرَأْسُهُ فِي الْأَرْضِ فَوَضَعَ ابْنُهُ عَبْدُ اللَّهِ رَأْسَهُ فِي حَجْرِهِ
فَلَمَّا أَفَاقَ مِنَ الْعَشِيِّ قَالَ لِابْنِهِ عَبْدِ اللَّهِ ضَعْ رَأْسِي عَلَى الْأَرْضِ كَمَا أَمَرْتُكَ
فَقَالَ لَهُ ابْنُهُ يَا أَبَتِي وَهَلِ الْأَرْضُ وَحَجْرِي إِلَّا سَوَاءٌ قَالَ ضَعْ رَأْسِي عَلَى
الْأَرْضِ كَمَا أَمَرْتُكَ فَوَضَعَهُ .

قَالَ فَمَسَحَ خَدَيْهِ بِالتُّرَابِ ثُمَّ قَالَ وَيْلٌ لِعُمَرَ وَيْلٌ لِعُمَرَ وَلَامَ عُمَرَ إِنْ لَمْ
يَغْفِرِ اللَّهُ لِعُمَرَ فَإِذَا قُضِيَتْ فَأَسْرِعُوا بِنِي إِلَى حُفْرَتِي ، فَإِنَّمَا هُوَ خَيْرٌ تُقَدِّمُونَنِي
إِلَيْهِ أَوْ شَرٌّ تَضَعُونَهُ عَنْ رِقَابِكُمْ .

وَلَمَّا اخْتَضِرَ عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جَعَلَ يَقُولُ وَدُمُهُ يَسِيلُ : ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا

أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١﴾ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَغِينُ بِكَ عَلَى أُمُورِي
وَأَسْأَلُكَ الصَّبْرَ عَلَى بَلَائِي .

وَيُرَوَّى أَنَّ ابْنَ الْمُنْكَدِرِ رَحِمَهُ اللَّهُ عِنْدَمَا نَزَلَ بِهِ الْمَوْتُ بَكَى فَقِيلَ لَهُ مَا
يُبْكِيكَ فَقَالَ وَاللَّهِ مَا أَبْكِي لِدُذِّبِ أَعْلَمُ أَنِّي أُتِيْتُهِ وَلَكِنِّي أَخَافُ أَنْ أَكُونَ قَدْ
أَذْنَبْتُ ذَنْبًا حَسِبْتُهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ .

وَقَالَ سُلَيْمَانُ التَّيْمِيُّ دَخَلْتُ عَلَى بَعْضِ أَصْحَابِنَا وَهُوَ فِي الْمَوْتِ فَرَأَيْتُ مِنْ
جَزَعِهِ مَا سَاءَ لِي فَقُلْتُ هَذَا الْجَزَعُ كُلُّهُ لِمَآذَا وَقَدْ كُنْتُ تُحَمِّدُ اللَّهَ عَلَى كَذَا
يَعْنِي عَلَى حَالَةِ صَالِحَةٍ فَقَالَ وَمَا لِي لَا أَجْزَعُ وَمَنْ أَحَقُّ مِنِّي بِالْجَزَعِ وَاللَّهُ لَوْ
أَتْنَبِيَّ الْمَغْفُورَةَ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِأَهْمَنِي الْحَيَاءُ مِنْهُ فِيمَا أَفْضَيْتُ بِهِ إِلَيْهِ .

وَقَالَ بَعْضُ الصَّالِحِينَ لِغُلَامِهِ وَقَدْ حَضَرَهُ الْمَوْتُ يَا غُلَامُ شَدَّ كِتَافِي وَعَفَّرْ
بِالتُّرَابِ حُدُودِي فَقَعَلَ الْغُلَامُ ثُمَّ قَالَ دَنَا الرَّحِيلُ اللَّهُمَّ لَا بَرَاءَةَ لِي مِنْ ذَنْبٍ وَلَا
عُذْرَ لِي فَأَعْتَذِرُ بِهِ وَلَا قُوَّةَ فَأَتَتَّصِرُ بِهَا ثُمَّ قَالَ أَنْتَ لِي « ثَلَاثَا » ثُمَّ صَاحَ
صَبِيحَةً وَمَاتَ فَسَمِعُوا صَوْتًا فِي الْبَيْتِ يَقُولُ اسْتَكَانَ الْعَبْدُ لِمَوْلَاهُ فَقَبْلُهُ وَأَذْنَاهُ «
وَمَعْنَى اسْتَكَانَ ذَلِكَ وَخَضَعَ .

وَقَالَ حَذِيفَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَا مِنْ صَبَاحٍ إِلَّا وَيُنَادِي مُنَادٍ أَيُّهَا النَّاسُ
الرَّحِيلُ الرَّحِيلُ .

رَأَيْتُ بَنِي الدُّنْيَا كَوَفَدَيْنِ كُلَّمَا تَرَحَّلَ وَفَدَّ جَاءَ فِي إِثْرِهِ وَفَدَّ
وَقَالَ آخَرُ : أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّمَا أَنْتَ نَازِلٌ مِنَ الدُّنْيَا فِي مَنْزِلٍ تَعْمُرُهُ أَيَّامَ
عُمْرِكَ ، ثُمَّ تُحْلِيهِ عِنْدَ مَوْتِكَ لِمَنْ يَنْزِلُهُ بَعْدَكَ .

أُحْلِلْ لِمَنْ يَنْزِلُ ذَا الْمَنْزِلِ وَارْحَلْ فَقَدْ آتَى أَنْ تَرَحَّلَ

وَارْحَلْ بِمَا قَدْ كُنْتَ جَمَعْتَهُ
هَيْهَاتَ لَا تَخْرُجْ مِنْهُ بِشَيْءٍ
وَأَقْعُدْ مِنَ الْغَيْضِ وَالْأَفْقَمِ
فَلَسْتُ بِالْخَارِجِ إِلَّا بِمَــــا
وَحَلْ هَذَا الْأَمَانِي فَمَا
كَمْ مِنْ فَتَى طَوَّلَ آمَالُهُ
فَجَاءَهُ الْمَوْتُ عَلَى غُرَّةٍ
فِيَا إِلَهِي الَّذِي جُودُهُ
رَحْمَاكَ يَا رَحِيمُ فِي فَتْنَةٍ
قَدْ حَاجَبَتْهَا عَنْكَ آثَامُهَا
وَلَيْسَ إِلَّا عَفْوُكَ الْمُرْتَجَى
وَاحْمِلْهُ إِنْ حُلِّيتَ أَنْ تُحْمَلَ
فَأَفْعَلَنْ مَا شِئْتَ أَنْ تَفْعَلَ
وَاطْلَعْ إِلَى الْكَوَاكِبِ أَوْ فَانْزِلْ
جِئْتَ فَسَلِّمْ وَبِكَ وَاسْتَنْبِئْ
تُثْمِرُ إِلَّا شَرًّا مَا يُؤْكَلُ
فَقَصَّرْتَ ذُنْيَاهُ مَا طَوَّلُ
فَمَاتَ مِنْ قَبْلِ الَّذِي أُمِّلُ
قَدْ غَمَرَ الْآخِرَ وَالْأَوَّلُ
لَيْسَ لَهُمْ ذُوْلَكَ مِنْ مُؤْمِلٍ
وَأَنْزَلْتَهَا شَرًّا مَا مَنْزِلُ
فَذَلُّهَا مَاذَا الَّذِي تَعْمَلُ

اللهم إلكَ تَعْلَمُ سِرَّنَا وَعَلَانِيَتَنَا وَتَسْمَعُ كَلَامَنَا وَتَرَى مَكَانَنَا لَا يَخْفَى
عَلَيْكَ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِنَا نَحْنُ الْبُؤْسَاءُ الْفُقَرَاءُ إِلَيْكَ الْمُسْتَغِيثُونَ الْمُسْتَجِيرُونَ بِكَ
نَسْأَلُكَ أَنْ تُقَيِّضَ لِيَدَيْكَ مَنْ يَنْصُرُهُ وَيُزِيلُ مَا حَدَّثَ مِنَ الْبِدْعِ وَالْمُنْكَرَاتِ
وَيُقِيمَ عِلْمَ الْجِهَادِ وَيَقْمَعَ أَهْلَ الزِّنْغِ وَالْكَفْرِ وَالْعِنَادِ وَنَسْأَلُكَ أَنْ تُغْفِرَ لَنَا
وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْل)

مرض أبو الدرداء فقالوا ندعوا لك طبيباً قال الطبيبُ أَمْرَضَنِي . فقال له رَجُلٌ
مِنْ أَصْحَابِهِ يَا أَبَا الدُّرْدَاءِ اشْتَهَيْ أَنْ أَسَامِرَكَ اللَّيْلَةَ « أَنِي أَتَعَلَّلُ مَعَكَ
وَأُوْنِسُكَ .

فقال أبو الدرداءِ أَنْتَ مُعَافَى وَأَنَا مُبْتَلَى فَالْعَافِيَةُ لَا تَدْعُكَ أَنْ تَسْهَرَ ،

والبلا لَا يَدْعُنِي أَنْ أُنَامُ أَسْأَلُ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ أَنْ يَهَبَ لِأَهْلِ الْعَافِيَةِ الشُّكْرَ وَلِأَهْلِ الْبَلَاءِ الصَّبْرَ .

وَلَمَّا اشْتَدَّ الْمَرَضُ عَلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ جَاوَزَهُ بِطَبِيبٍ فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ وَرَأَاهُ قَالَ : إِنَّهُ قَدْ سَقِيَ السُّمَّ وَلَا آمَنَ عَلَيْهِ الْمَوْتُ .

فَرَفَعَ عُمَرُ بَصَرَهُ وَقَالَ لَا يُؤْمَنُ أَيُّضًا الْمَوْتُ عَلَى مَنْ لَمْ يُسَقِّ السُّمَّ فَقَالَ الطَّبِيبُ وَهَلْ أَحْسَسْتَ بِذَلِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ نَعَمْ عَرَفْتُ ذَلِكَ حِينَ وَقَعَ فِي بَطْنِي .

قَالَ تُعَالِجُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ تَذْهَبَ نَفْسُكَ فَقَالَ عُمَرُ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَيْرٌ مَذْهُوبٍ إِلَيْهِ وَاللَّهِ لَوْ عَلِمْتُ أَنَّ شِفَائِي عِنْدَ شَحْمَتِ أَذْنِي مَا رَفَعْتُ إِلَيْهِ يَدَيَّ اللَّهُمَّ خِرْ « أَيُّ اخْتَرْتُ » لِعُمَرَ فِي لِقَائِكَ فَلَمْ يَلْبَثْ إِلَّا أَيَّامًا قَلِيلًا حَتَّى مَاتَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وَمَرَضَ الرَّيُّعُ بْنُ خَنِيمٍ فَقَالُوا لَهُ نَدْعُوا لَكَ طَبِيبًا فَتَفَكَّرَ وَقَالَ أَيْنَ عَادٌ وَثُمُودٌ وَأَصْحَابُ الرِّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا قَدْ كَانَتْ فِيهِ الْأَدْوَى وَالْأَطِبَّاءُ فَلَا أَرَى الْمُدَاوِيَّ وَلَا الْمُدَاوَى كُلُّ قَضَى وَمَضَى وَاللَّهِ لَا أَدْعُو طَبِيبًا أَبَدًا .

ذَهَبَ الْمُدَاوِيَّ وَالْمُدَاوَى وَالَّذِي جَلَبَ الدَّوَاءَ وَبَاعَهُ وَمَنْ اشْتَرَاهُ وَقَالَ بَعْضُ الصَّالِحِينَ دَخَلْنَا عَلَى مُغِيرَةَ الْخُرَّازِ وَهُوَ مَرِيضٌ فَقُلْنَا لَهُ كَيْفَ تَجِدُكَ فَقَالَ أَجِدُنِي مُوقِرًا « أَيُّ مُثْقَلًا » بِالْآثَامِ فَقُلْنَا لَهُ فَمَا تَشْتَكِي .

قَالَ الْحَسْرَةَ عَلَى طُولِ الْعُقْلَةِ قُلْنَا لَهُ فَمَا تَشْتَكِي قَالَ الْإِنَابَةَ إِلَى مَا عِنْدَ اللَّهِ وَالثَّقَلَةَ عَمَّا يَكْرَهُهُ اللَّهُ قَالَ فَبَكَى الْقَوْمُ جَمِيعًا .

وَدَخَلَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ عَلَى عَطَاءِ السُّلَمِيِّ وَهُوَ مَرِيضٌ فَوَجَدَهُ قَدْ عَلَاهُ

الْقُبَارِ وَالصُّفَارِ فَقَالَ يَا عَطَاءَ لَوْ خَرَجْتَ إِلَى صَحْنِ الدَّارِ فَكَانَ يَضْرِبُكَ الْهَوَاءُ
فَتَجِدُ لَهُ رَاحَةً .

قَالَ يَا أَبَا سَعِيدٍ وَبِهَذَا تَأْمُرُنِي إِنِّي لَا سَتَحِييَ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ أُخْطِئَ
خُطْوَةً فِي رَاحَةِ بَدَنِي .

وَقَالَ مَنْصُورٌ دَخَلْتُ عَلَى عَطَاءِ السُّلَمِيِّ بَعْدَ هَذَا أُعُودُهُ وَهُوَ مَرِيضٌ فَرَأَيْتُهُ
يَتَسَيَّمُ فَعَجِبْتُ مِنْ ذَلِكَ فَكَانَهُ فِهِمَ عَنِّي .

فَقَالَ أَتَعْجَبُ يَا ابْنَ أَخِي فَقُلْتُ وَكَيْفَ لَا أَعْجَبُ فَقَالَ وَكَيْفَ لَا أَضْحَكُ
وَقَدْ دَنَى فِرَاقِي مِمَّنْ كُنْتُ أَخَافُهُ وَاحْذَرُهُ .

وَدَنَى قُدُومِي عَلَى خَالِقٍ كُنْتُ أَرْجُوهُ وَأَمَلُهُ أَنْتَجْعَلَ مَقَامِي مَعَ مَخْلُوقٍ
أَخَافُهُ كَقُدُومِي عَلَى خَالِقٍ أَرْجُوهُ ، قَالَ هَذَا قَبْلَ أَنْ يَحْضُرَهُ وَيَنْزِلَ بِهِ الْمَوْتُ .

وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الْخَوَارِيزْمِيِّ دَخَلْتُ عَلَى أَحَدِ الْمُتَعَبِّدِينَ وَهُوَ مَرِيضٌ
فَقُلْتُ كَيْفَ تَجِدُكَ ، فَقَالَ بِحَالٍ شَرِيفَةٍ أُسِيرُ كَرِيمٍ حَيِّسٌ جَوَادٍ مَعَ أَغْوَانٍ
صِدْقٍ .

وَاللَّهِ لَوْ لَمْ يَكُنْ لِي مِمَّا تَرُونَ عِوَضاً إِلَّا مَا أُوْدِعَ قَلْبِي مِنْ مَحَبَّتِهِ لَكُنْتُ
خَلِيقاً أَنْ أُدَوِّمَ عَلَى الرِّضَى عَنْهُ وَمَا الدُّنْيَا وَمَا غَايَةُ الْبَلَاءِ فِيهَا هَلْ هُوَ إِلَّا مَا
تَرُونَ مِنْ هَذِهِ الْعِلَّةِ .

وَيُوشِكُ إِنْ اشْتَدَّ بِي الْأَمْرُ أَنْ يُدْخِلَنِي إِلَى سَيِّدِي وَلَتَنْعَمَ الْعِلَّةُ رَحَلَتْ
بِمُحِبِّ إِلَى مَحْبُوبٍ قَدْ أَحْزَنَهُ طَوْلُ التَّخَلُّفِ عَنْهُ .

كَأَنَّكَ قَدْ رَحَلْتَ عَنِ الْمَبَانِي وَوَارَتْكَ الْجَنَادِلُ وَالصَّعِيدُ
وَنَادَاكَ الْحَبِيبُ فَلَمْ تُجِبْهُ وَقُرْبُكَ مِنْهُ فِي الدُّنْيَا بَعِيدُ

وَأَصْبَحَ مَالِكُ الْجَمُوعُ نَهَباً وَعُطِّلَ بَعْدَكَ الْقَصْرُ الْمَشِيدُ
وَصَارَ بَنُوكَ أَيْتَاماً صِغَاراً وَعَانَقَ عِرْسَكَ الْبَعْلُ الْجَدِيدُ
وَأَكْبَرُ مِنْهُ أَلَّاكَ لَسْتُ تَذِيرِي شَقِيَّ أَنْتَ وَيَحَكَ أُمُّ سَعِيدُ

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنَ الْمُتَّقِينَ الْأَبْرَارِ وَأَسْكِنْنَا مَعَهُمْ فِي دَارِ الْقَرَارِ ، اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا
بِحُسْنِ الْإِقْبَالِ عَلَيْكَ وَالْإِصْغَاءِ إِلَيْكَ وَوَفَّقْنَا لِلتَّعَاوُنِ فِي طَاعَتِكَ وَالْمُبَادَرَةِ إِلَى
خِدْمَتِكَ وَحُسْنِ الْآدَابِ فِي مُعَامَلَتِكَ وَالتَّسْلِيمِ لِأَمْرِكَ وَالرُّضَا بِقَضَائِكَ وَالصَّبْرِ
عَلَى بَلَائِكَ وَالشُّكْرِ لِتَعَمَّاتِكَ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ
مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ)

رُوِيَ أَنَّ مَالِكََ بْنَ دِينَارٍ رَحِمَهُ اللَّهُ دَخَلَ عَلَى شَابٍ يُعَوِّدُهُ فَوَجَدَهُ خَيَالاً
عَلَى فِرَاشِهِ كَالشَّنِّ (المعنى يابس عليه جلده من شدة المرض) .

فَسَأَلَهُ عَنْ حَالِهِ فَلَمْ يَسْتَطِعِ الْجَوَابَ بِلِسَانِهِ فَأَشَارَ بِطَرَفِهِ وَإِذَا بِصَوْتِ
الْمُؤَذِّنِ فَسَمِعْنَاهُ يَقُولُ كَمَا يَقُولُ الْمُؤَذِّنُ وَيُشِيرُ بِأَصْبُعِهِ عِنْدَ الشَّهَادَتَيْنِ ثُمَّ أَمَرَ وَلَدَهُ
فَوَضَاهُ ثُمَّ أَمَرَهُ أَنْ يُوجِّهَهُ إِلَى الْقِبْلَةِ لِيُصَلِّيَ وَهُوَ مُضْطَجِعٌ بِالْإِيمَاءِ .

ثُمَّ قَالَ يَا مَالِكُ الْبَلَاءُ مِنْهُ سُبْحَانَهُ رَاحَةً مَعَ بَقَاءِ الْإِيمَانِ يَا مَالِكُ نِعْمُهُ لَا
تُعَدُّ وَبَلَاؤُهُ وَاجِدٌ .

قَالَ مَالِكٌ فَتَعَجَّبْتُ مِنْ يَقِينِهِ وَصَبْرِهِ وَصِدْقِ وَفَائِهِ وَخَالِصِ مَحَبَّتِهِ ، فَلَمْ
يَلْبَثْ إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى مَاتَ رَحِمَهُ اللَّهُ وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُثْبَةَ عَدْتُ رَجُلًا مَرِيضًا
فَلَمَّا قَعَدْتُ عِنْدَهُ قُلْتُ لَهُ كَيْفَ حَالُكَ فَقَالَ :

خَرَجْتُ مِنَ الدُّنْيَا وَقَامَتْ قِيَامَتِي غَدَاتٍ أَقَلُّ الْحَامِلُونَ جَنَازَتِي

وَعَجَّلْ أَهْلِي حَفَرَ قَبْرِي وَصَيِّرُوا خُرُوجِي وَتَعَجَّلِي أَجَلَ كَرَامَتِي
كَأَنَّهُمْ لَمْ يَعْرِفُوا قَطُّ صُورَتِي غَدَاةً أَنِّي يَوْمِي عَلَيَّ وَسَاعَتِي

وَيُرَوَّى عَنْ بَعْضِ السَّلَفِ قَالَ كُنْتُ آتِي قَبْرَ أَبِي الْمَرَّةَ بَعْدَ الْمَرَّةِ فَشَهِدْتُ
يَوْمًا جَنَازَةً فِي الْمَقْبَرَةِ الَّتِي دُفِنَ فِيهَا فَتَعَجَّلْتُ بِحَاجَتِي وَلَمْ أَتِهِ فَلَمَّا كَانَ مِنَ اللَّيْلِ
رَأَيْتُهُ فِي الْمَنَامِ فَقَالَ يَا بُنَيَّ لِمَ لَا تَأْتِينِي فَقُلْتُ لَهُ يَا أَبَتِ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ بِي إِذَا
أَتَيْتُكَ قَالَ أَيُّ وَاللَّهِ يَا بُنَيَّ وَإِنَّكَ لَتَأْتِينِي فَمَا أَزَالُ أَنْظُرُ إِلَيْكَ حَتَّى تَطْلُعَ مِنَ
الْقَنْطَرَةِ حَتَّى تَصِلَ إِلَيَّ وَتَقْعُدَ عِنْدِي ثُمَّ تَقُومُ فَلَا أَزَالُ أَنْظُرُ إِلَيْكَ حَتَّى تَجَاوَزَ
الْقَنْطَرَةَ .

شِعْرًا :

وَلَمَّا حَلَلْنَا مِنْ بَجَايَةِ جَانِبًا	ثُصَانُ بِهِ ثِلْكَ الْجُسُومُ وَتُكْرَمُ
وَجَدْتُ لَهَا طِيبًا وَرَوْحًا وَرَاحَةً	كَأَنِّي لِلْأَنْفَاسِ الصَّبَا أُنْسَمُ
فَقُلْتُ لِصَاحِبِي مَا الَّذِي أَمْرَجَتْ لَهُ	مَقَابِرُ مِنْهَا لَا طِيءٌ وَمُسْتَمُ
فَأَوْهَمْتُهُمْ أَنِّي جَهِلْتُ وَإِنِّي	لَأَذْرِي بِذَلِكَ الْأَمْرِ مِنْهُمْ وَأَفْهَمُ
فَقَالُوا طَلَبْنَا عِلْمَ ذَلِكَ فَلَمْ نَجِدْ	سِوَى رِمَمٍ مِمَّنْ تُحِبُّ وَتُعْظِمُ
تَضَوُّعَ بَطْنِ الْأَرْضِ مِنْهَا كَأَنَّمَا	تَفْتَقُّ مِنْ دَارَيْنِ مِسْكٌ مُحْتَمُ
فَفَاضَتْ دُمُوعِي عِنْدَ ذَلِكَ وَرُبَّمَا	تَشْهَرُ بِالذَّمِّ السَّرَارُ الْمُكْتَمُ
خَلِيلِي مَا بَالِي وَبَالُ مَصَائِبِ	يُرَاغُ لِذَاكِرَاهَا فُوَادِي وَيُكَلِّمُ
وَمِمَّا شَجَانِي وَهُوَ أَعْظَمُ أَتْنِي	قَدَفْتُ بِهَا مُسَوَّدَةَ الْجَوْفِ تَلْطِطُ
وَلَمْ أَذِرْ مَا كَانَتْ تَحِيَّةُ خَصْمِهِ	لَهُ هَلْ يَبْشُرِي أَمْ بِشِئَاءِ تَقْصِمُ
وَأَعْظَمُ مِنْهُ مَوْقِعًا وَأَشَدُّهُ	وَمَا خَصَنِي أَذَى عَلَيَّ وَأَعْظَمُ
بَأْنِي فِي ثِلْكَ الْمَسَالِكِ سَالِكُ	أَسَاقُ إِلَيْهَا إِنْ أَيْتَ وَأَزْغَمُ

وما أنا أَذْرِي ما آلائي وما الذي عَلَيْهِ إِذَا ما كَانَ ذَٰلِكَ أَقْدَمُ
فَهَلْ مِنْ دَمٍ أَبْكِيهِ صِرْفًا فَإِنَّمَا يُبْكِي عَلَى هَٰذَا مِنَ الْمُقَلَّةِ الدَّمُ
اللَّهُمَّ اعْطِنَا مِنَ الْخَيْرِ فَوْقَ مَا تَرْجُو وَاصْرِفْ عَنَّا مِنَ السُّوءِ فَوْقَ مَا
تَحْذَرُ . اللَّهُمَّ عَلِّقْ قُلُوبَنَا بِرَجَائِكَ واقْطَعْ رَجَاءَنَا عَمَّنْ سِوَاكَ . اللَّهُمَّ إِنَّكَ
تَعْلَمُ غُيُوبَنَا فَاسْتَرْهَا وَتَعْلَمَ حَاجَاتِنَا فَاقْضِهَا كَفَى بِكَ وَلِيًّا وَكَفَى بِكَ نَصِيرًا يَا
رَبَّ الْعَالَمِينَ اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا لِسُلُوكِ سَبِيلِ عِبَادِكَ الْأَخْيَارِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا
وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى
اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فِصْل)

وقال رُحِمَهُ اللهُ تعالى :

واعلم رحمك الله أن أَمَرَ الْخَائِمَةَ وَمَا يُحْذِرُ مِنْ سُوءِهِ أَمْرٌ إِذَا ذُكِرَ حَقِيقَةُ
ذِكْرِهِ انْفَطَرَتْ لَهُ الْقُلُوبُ وَتَصَدَّعَتْ لَهُ الْأَكْبَادُ وَتَقَطَّعَتْ .

ولولا أن الله جَلَّ وَعَلَا حَدَّدَ الْأَجَالَ لَرَهَقَتِ الْأَنْفُسُ عِنْدَ أَوَّلِ ذِكْرِهِ
ولكنها مَرْبُوبَةٌ مُدَبَّرَةٌ مَقْهُورَةٌ مُصَرَّفَةٌ تَخْرُجُ إِذَا أُذِنَ لَهَا فِي الْخُرُوجِ وَتَلْجُ إِذَا
أُذِنَ لَهَا فِي الْوُلُوجِ .

وما يَمْنَعُ الْقُلُوبَ مِنَ الْإِنْشِقَاقِ وَالْإِنْصِدَاعِ وَالْإِنْفِطَارِ وَالْإِنْقِطَاعِ وَالَّذِي
يَلْقَى الْمُخْتَلَمُ لَهُ بِسُوءِ الْخَائِمَةِ عَذَابٌ لَا تَقُومُ لَهُ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ لِشِدَّتِهِ وَلَا
آخِرَ لِمُدَّتِهِ .

وما مِنَّا أَحَدٌ إِلَّا وَيَخَافُ أَنْ يَكُونَ مِمَّنْ يُحْتَمُّ لَهُ بِسُوءِ الْخَائِمَةِ ، وما الذي

أَمْنُهُ مِنْهُ ، وَالْحَاتِمَةُ مُعَيَّبَةٌ ، وَالْعَاقِبَةُ مَسْثُورَةٌ ، وَالْأَقْدَارُ غَالِبَةٌ وَالنَّفْسُ كَمَا تَرَى ، وَالشَّيْطَانُ مِنْهَا بِحَيْثُ تَدْرِي .

وهي مُصْنِغِيَّةٌ وَمُسْتِمَعَّةٌ إِلَيْهِ قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾ فَهِيَ مُلْتَفِتَةٌ نَحْوَ الشَّيْطَانِ وَمُقْبِلَةٌ عَلَيْهِ .

هِيَ النَّفْسُ إِنْ تَنْظُرْ إِلَى الْحَقِّ نَظْرَةً فَإِنَّ لَهَا فِي غَيْرِهِ نَظَرَاتٍ وَإِنْ تَهَضَّتْ يَوْمًا إِلَى اللَّهِ تَهْضَةً فَإِنَّ لَهَا عَنْهُ غَدًّا تَهْضَاتٍ إِلَى اللَّهِ أَشْكُوهَا فَيَاللَّهِ حَوْلُهَا وَبِاللَّهِ تَمْضِي فِي الْأُمُورِ وَتَأْتِي وَرَدَ فِي الْحَبَرِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « إِنْ الرَّجُلُ لَيَعْمَلْ عَمَلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِيمَا يَبْنُو لِلنَّاسِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ .

وَإِنْ الرَّجُلُ لَيَعْمَلْ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ فِيمَا يَبْنُو لِلنَّاسِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، وَإِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالْخَوَاتِيمِ » .

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ » وَأُنْشِدَ بَعْضُهُمْ :

قَدْ جَرَّتِ الْأَقْلَامُ فِي ذَا الْوَرَى بِالْحُتْمِ مِنْ أَمْرِ الْعَلِيمِ الْحَكِيمِ
وَحَطَّتِ الشَّيْءَ عَلَى حُكْمِهِ فِي عِلْمِهِ السَّابِقِ مِنْهُ الْقَدِيمِ
فَمِنْ عَزِيزِ رَأْسِهِ فِي السُّهَى وَمِنْ ذَلِيلِ وَجْهِهِ فِي التُّخُومِ
وَمِنْ صَحِيحِ شِدَّتِ أَرْكَائِهِ وَآخِرُ وَاهِي الْمَبَانِي سَقِيمِ
كُلُّ عَلَى مِنْهَا جِهَ سَالِكُ كُلُّ عَلَى تَقْدِيرِ رَبِّ عَالِمِ

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ فَاَنْظُرْ رَحِمَكَ اللَّهُ كَيْفَ تَقَرُّ عَيْنُ عَاقِلٍ فِي هَذِهِ الدَّارِ وَكَيْفَ يَسْتَقَرُّ بِهِ فِيهَا قَرَارٌ مَعَ هَذِهِ الْحَالِ وَتَوَقَّعْ هَذَا الْمَالَ وَاشْتَغَالِ هَذَا الْحَاظِرِ وَتَقْسِمِ هَذَا الْبَالِ .

كَلَّا لَا حُلُولَ لَهُ وَلَا قَرَارَ وَلَا رَنْعَ وَلَا دَارَ وَلَا قَلْبَ إِلَّا مُسْتَطَارَ ، وَلَا نَوْمَ
يَنَامُهُ إِلَّا غَرَارَ حَتَّى يَذْرِي أَيْنَ مَسْقَطُ رَأْسِهِ وَمَحْطُّ رِجْلِهِ وَمَوْضِعُ رِجْلِهِ ، وَمَا
الْمَوْرِدُ وَالْمَنْهَلُ فِي أَيِّ الْمَحَالِّ يَحِلُّ فِي أَيِّ الْمَنَازِلِ يَنْزِلُ :

وَكَيْفَ تَنَامُ الْعَيْنُ وَهِيَ قَرِيرَةٌ وَلَمْ تَذَرِ فِي أَيِّ الْمَكَائِنِ تَنْزِلُ
لَكِنَّ حِجَابَ الْعَقْلَةِ الَّذِي غَطَّى الْقُلُوبَ كَثِيفٌ فَلَا يُرَى مَا وَرَاءَهُ وَالْوَقْرُ
الَّذِي فِي الْأَذَانِ عَظِيمٌ فَلَا يَسْمَعُ مِنْ نَاصِحٍ دُعَاءَهُ .

روى في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ : « يُجَاءُ بِالْمَوْتِ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ كَبْشٌ أُمْلَحٌ فَيُوقَفُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ .

فَيَقَالُ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا فَيَشْرِيُونَ وَيَنْظُرُونَ وَيَقُولُونَ نَعَمْ هَذَا
الْمَوْتُ .

ثُمَّ يُقَالُ يَا أَهْلَ النَّارِ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا فَيَشْرِيُونَ وَيَنْظُرُونَ وَيَقُولُونَ نَعَمْ هَذَا
الْمَوْتُ فَيَذْبَحُ ثُمَّ يُقَالُ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلَا
مَوْتَ ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ﴿ وَأُنذِرُهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ
قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ .

فَانْظُرْ رَحِمَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ إِلَى عَظِيمِ هَذِهِ الْعَقْلَةِ وَكَثَافَةِ حِجَابِهَا وَكَيْفَ مَنَعَتْ
مِنَ النَّظَرِ فِي هَذَا الْحَدِيثِ وَالْفِكْرَةِ فِيهِ وَالْعَمَلِ بِمُقْتَضَاهُ .

شِعْرًا :

حَاسِبِ النَّفْسَ قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ وَأَذِقْهَا الْعَذَابَ قَبْلَ الْعَذَابِ
وَأَصِيبْهَا مِنَ الْأَسَى بِشَوَاطِئِ يُنْضِجُ اللَّحْمَ قَبْلَ تَنْضِجِ الْإِهَابِ
وَإِذَا مَا بَكَيتَ يَوْمًا بِسَمْعٍ فَبِدَمْعٍ مِنَ الْفُؤَادِ مُشَابِ

وَحَذَارٍ حَذَارٍ أَنْ تَتَهَنَّا بِطَعَامٍ تَتَالُهُ أَوْ شَرَابٍ
أَوْ مَنَامٍ تَنَامُ بِاللَّيْلِ حَتَّى تَسْتَيْنَ الْمَالَ يَوْمَ الْمَأْتِ

وَقِيلَ يَا ابْنَ آدَمَ الْأَقْلَامُ تُجَرِّي وَأَنْتَ فِي غَفْلَةٍ لَا تُدْرِي ، يَا ابْنَ آدَمَ دَعِ
الْمَغَانِي وَالْأُوطَانَ وَالْمَنَازِلَ وَالْدِيَارَ ، وَالشَّافِسَ فِي هَذِهِ الدَّارِ ، حَتَّى تَرَى مَا
فَعَلْتَ فِي أَمْرِكَ الْأَقْدَارَ ، وَقَدْ بَكَى أُولُو الْأَلْبَابِ عَلَى هَذَا فَأَكْثَرُوا وَاسْهَرُوا مِنْ
أَجْلِهِ اللَّيَالِي الطَّوِيلَةَ وَأَسْهَرُوا وَحَاوَلُوا عَاقِلُهُمْ كَفَّهُمْ عَمَّا هُمْ فِيهِ فَلَمْ يَقْدِرُوا
وَكَلَّمُوهُمْ فِي الْإِقْصَارِ فَلَمْ يُقْصِرُوا وَلَمْ يَسْمَعُوا وَلَمْ يُبْصِرُوا .

وَذَلِكَ لِلْعِلْمِ الَّذِي لَاحَ لَهُمْ وَالتَّائِيْدِ الَّذِي شَمَلَهُمْ وَالتَّوْفِيقِ الَّذِي قَطَعَ
عَنْهُمْ مَا صَدَّهُمْ عَنْ طَرِيقِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَشَغَلَهُمْ وَرُبَّمَا هَبَّتْ عَلَيْهِمْ نَفْحَاتُ
الرُّجَاءِ فَاسْتَبَشَرُوا وَسَكَنُوا مِنْ ذَلِكَ الْهَيْجَانِ وَفَتَرُوا .

ثُمَّ ذَكَرُوا مَا هُمْ مُعَرَّضُونَ لَهُ فَعَادُوا لِمَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الْاجْتِهَادِ ، وَرُبَّمَا
زَادُوا عَلَيْهِ وَأَكْثَرُوا ، وَمَعَ هَذَا فَإِنَّهُمْ لِشِدَّةِ خَوْفِهِمْ مِنَ اللَّهِ وَكَثْرَةِ جَزَعِهِمْ
يُظَنُّونَ كُلَّ إِشَارَةٍ إِنَّمَا يُشَارُ بِهَا إِلَيْهِمْ .

كَمَا رَوَى أَنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَمِعَ قَارِئًا يَقْرَأُ : ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ
لَوَاقِعٌ ﴾ قَالَ هَذَا قَسَمُ حَقِّ فَظَنُّ أَنَّ الْعَذَابَ قَدْ وَقَعَ بِهِ فَعُشِيَ عَلَيْهِ .

وَسَمِعَ آخَرَ قَارِئًا يَقْرَأُ : ﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوه ﴾ أَوْ آيَةً نَحْوَهَا فَعُشِيَ عَلَيْهِ .

وَمَرَّ آخَرُ عَلَى رَجُلٍ يَبِيعُ الْخِيَارَ ، وَيَقُولُ عَشْرَةَ بَدَانِقٍ « الدَانِقُ سُدْسُ
دِرْهَمٍ » فَعُشِيَ عَلَيْهِ فَلَمَّا أَفَاقَ قِيلَ لَهُ مِمَّنْ غُشِيَ عَلَيْكَ . فَقَالَ أَوْ مَا سَمِعْتَهُ يَقُولُ
الْخِيَارَ الْعَشْرَةَ بَدَانِقٍ ، وَإِذَا كَانَتْ قِيَمَةُ الْخِيَارِ هَذِهِ فَكَمْ تَكُونُ قِيَمَتِي وَقِيَمَةُ
أَمْثَالِي . »

ظَنَّ الْمُسْكِينُ أَنَّ الْمُرَادَ بِخِيَارِ النَّاسِ وَأَفَاضِلِهِمْ فَانْظُرْ إِلَى هَذَا الْمُسْكِينِ لَمْ

يُلْقِي بَالَهُ إِلَى أَنَّهُ الْخِيَارَ الْمَأْكُولِ وَذَلِكَ لِشِدَّةِ خَوْفِهِ وَسُوءِ ظَنِّهِ بِنَفْسِهِ .

وِيَحْتِمَاً فَاسْتُلِكَ عَلَى مَنَهِاجِ هَؤُلَاءِ الْعُقَلَاءِ ، وَالتَّمَسُّ عَلَى آثَارِ هَؤُلَاءِ الْفُضَّلَاءِ ، وَأَدِمَ حَسْرَتَكَ ، وَأَطْلَ زَفَرَتَكَ ، وَامْرِجْ بِدَمِ الْفَوَادِ عِبْرَتَكَ ، وَصِلْ الْبُكَاءَ بِالْبُكَاءِ ، وَالْأَسَى بِالْأَسَى حَتَّى تَنْكَشِفَ لَكَ هَذِهِ الْغِشَاوَةُ وَتَنْجَلِيَ عَنْكَ هَذِهِ الْعَمَايَةُ .

بَكَى سُفْيَانُ الثَّوْرِيَّ لَيْلَةً إِلَى الصَّبَاحِ فَقِيلَ لَهُ أُبْكَاؤُكَ هَذَا عَلَى الذُّنُوبِ فَأَخَذَ تَبَنَّةً مِنَ الْأَرْضِ وَقَالَ الذُّنُوبُ أَهْوَنُ مِنْ هَذِهِ إِنَّمَا أُبْكِي خَوْفَ سُوءِ الْخَاتِمَةِ » لِأَنَّهَا الْأَمْرَ الَّذِي يُبْكِي عَلَيْه ، وَيُصَرِّفُ الْإِهْتِمَامَ لَهُ .

وَلِذَلِكَ قِيلَ لَا تَكْفُ دَمْعَكَ حَتَّى تَرَى فِي الْمَعَادِ رَبَّكَ ، وَقِيلَ لَا تَكْحُلْ عَيْنَكَ بَنُومٍ حَتَّى تَرَى حَالَكَ بَعْدَ الْيَوْمِ ، وَقِيلَ لَا تَيْتِ وَأَنْتَ مَسْرُورٌ حَتَّى تَعْلَمَ عَاقِبَةَ الْأُمُورِ .

وَسَمِعَ بَعْضُ الصَّالِحِينَ رَجُلًا يُنْشِدُ شَطْرَ بَيْتِ شِعْرِ . أَيَا رَاهِبِي نَجْرَانِ مَا فَعَلْتَ هِنْدُ فَبَكَى لَيْلَتَهُ كُلَّهَا .

فَلَمَّا أَصْبَحَ قِيلَ لَهُ مَا كَانَ شَأْنُكَ الْبَارِحَةَ وَمَا الَّذِي أُبْكَاكَ فَقَالَ : سَمِعْتُ مُنْشِدًا يُنْشِدُ الشَّطْرَ السَّابِقَ فَقُلْتُ فِي نَفْسِي مَاذَا قُدِّرَ عَلَيَّ وَمَا الَّذِي يَجْرِي عَلَيَّ فَأَنْظِرِ الْفَرْقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مُنْشِدِ الْبَيْتِ أ. هـ .

وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ النَّاسَ صِنْفَانِ صِنْفٌ مُقَرَّبٌ مُصَانٌ ، وَصِنْفٌ مُبْعَدٌ مُهَانَ ، صِنْفٌ نُصِيبَتْ لَهُ الْأَسِيرَةُ وَالْحِجَالُ وَجُمِعَتْ لَهُ الرُّغَائِبُ وَالْأَمَالُ وَالْأَرَائِكُ وَالْكَلَالُ .

وَصِنْفٌ أَعِدَتْ لَهُ الْأَرَاقِمُ وَالصَّلَالُ وَالْمَقَامِيعُ وَالْأَغْلَالُ وَضُرُوبُ الْأَهْوَالِ

وَالْأُنْكَالَ وَالسَّلَاسِلَ وَالْغُسْلِينَ وَالزُّقُومَ وَالضَّرِيعَ وَالْحَمِيمَ وَأَنْتَ لَا تَعْلَمُ مِنْ
أَيِّ الصَّنَفَيْنِ أَنْتَ وَلَا فِي أَيِّ الْفَرِيقَيْنِ كُتِبْتَ .

وَكَيْفَ بِالثُّومِ عَلَى زَارَةٍ مِنْ أَسَدٍ تَكْشُرُ أَثْيَابَهُ
وَأَنْتَ فِي ذَاغِيرٍ مُسْتَعْتَبٍ فِي مَنْزِلٍ قَدْ كَسَرْتَ أَبْوَابَهُ
وَتَلَّمْتَ بِالرُّوعِ حَيْطَانَهُ وَفُرِّقْتَ بِالْخَوْفِ حُجَابَهُ

آخر :

وَالَّذِي أَبْكَى الْجُفُونَ دَمًا فَعَدَّتْ مِنْ ذَلِكَ الدَّمْعِ غُدْرَ
سَابِقٍ لَمْ تَدْرِهِ كَيْفَ جَرَى فِي الْقَضَائِ الْحَتْمُ فِيهِ وَالْقَدَرُ
وَأُمُورٍ فِي الْوَرَى قَدْ أُخْفِيَتْ عَنْ ذَوِي الْأَلْبَابِ أَصْحَابِ النَّظَرِ
فَدَعِ الْأَنْفَاسَ فِيهَا صَاعِدَةً وَدُمُوعَ الْعَيْنِ مِنْهَا تَنْحَدِرُ
وَأَبْكَ لَا جَفَتْ دُمُوعُ الْعَيْنِ مَا ضَاعَ مِنْ أَيَّامِكَ أَيَّامُ الْقَرَرِ

اللَّهُمَّ اخْتِمْ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ أَعْمَارَنَا وَحَقِّقْ بِفَضْلِكَ آمَالَنَا وَسَهِّلْ
لِبُلُوغِ رِضَاكَ سُبُلَنَا وَحَسِّنْ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ أَعْمَالَنَا يَا مُنْقِذَ الْعَرْقَى وَيَا
مُنْجِيَ الْهَلَكَى وَيَا دَائِمَ الْإِحْسَانِ أَذِقْنَا بَرْدَ عَفْوِكَ وَأَيْلَتَنَا مِنْ كَرَمِكَ وَجُودِكَ مَا
تَقَرُّ بِهِ عُيُونُنَا مِنْ رُؤْيَاكَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ
الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

وقال رحمه الله واعلم أن لسوء الخاتمة أعادنا الله منها أسباباً ولها طرق
وأبواب أعظمها الإقبال والاكباب على الدنيا ، والإغراض عن الآخرة ،
والإقدام بالمعصية على الله جل وعلا وتقدس .

وَرُبَّمَا غَلَبَ عَلَى الْإِنْسَانِ ضَرْبٌ مِنَ الْخَطِيئَةِ وَنَوْعٌ مِنَ الْمَعْصِيَةِ وَجَانِبٌ مِنَ الْإِعْرَاضِ عَنِ اللَّهِ وَالْدارِ الْآخِرَةِ ، وَنَصِيبٌ مِنَ الْإِفْتِرَاءِ ، فَمَلَكَ قَلْبُهُ وَسَبَى عَقْلُهُ ، وَأَطْفَأَ نُورَهُ ، وَأَرْسَلَ عَلَيْهِ حُجْبَهُ .

فَلَمْ تَنْفَعْ فِيهِ تَذَكُّرٌ ، وَلَا تَجَعَّتْ فِيهِ مَوْعِظَةٌ ، فَرُبَّمَا جَاءَ الْمَوْتُ عَلَى ذَلِكَ فَسَمِعَ النِّدَاءَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ فَلَمْ يَتَّبِعِ الْمَرَادَّ وَلَا عَلِمَ مَا أَرَادَ ، وَإِنْ أَعَادَ عَلَيْهِ وَأَعَادَ .

وَيُرْوَى أَنَّ أَحَدَ رِجَالِ النَّاصِرِ بْنِ عَلْتَنَاسَ ، نَزَلَ بِهِ الْمَوْتُ فَجَعَلَ ابْنُهُ يَقُولُ لَهُ : (قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) فَقَالَ النَّاصِرُ يَا مَوْلَايَ ، فَأَعَادَ عَلَيْهِ ، فَأَعَادَ ثُمَّ أَصَابَتْهُ غَشِيَّةٌ فَلَمَّا أَفَاقَ مِنْهَا قَالَ النَّاصِرُ أَمَوْلَايَ ، ثُمَّ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَا فَلَانُ النَّاصِرُ إِذَا يَعْرِفُكَ بِسَيْفِكَ فَالْقَتْلُ ثُمَّ الْقَتْلُ ثُمَّ مَاتَ .

وَقِيلَ لَأَخَرُ قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ عِنْدَمَا نَزَلَ بِهِ الْمَوْتُ فَقَالَ الدَّارُ الْفُلَانِيَّةُ أَصْلَحُوا فِيهَا كَذَا ، وَالْجَنَانُ الْفُلَانِيَّةُ أَفْعَلُوا فِيهَا كَذَا ، وَقِيلَ لِرَجُلٍ نَزَلَ بِهِ الْمَوْتُ (قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) فَجَعَلَ يَقُولُ بِالْفَارِسِيَّةِ دِهْ يَا اَزْدَهْ دَوَازْدَهْ تَفْسِيرُ عَشْرَةِ أَحَدٍ عَشَرَ إِثْنَا عَشَرَ كَانَ هَذَا الرَّجُلُ مِنْ أَهْلِ الْعَمَلِ وَالِدِيَّانِ فَغَلَبَ عَلَيْهِ الْحِسَابُ وَالْمِيزَانُ .

وَقِيلَ إِنَّ رَجُلًا نَزَلَ بِهِ الْمَوْتُ فَقِيلَ لَهُ قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَجَعَلَ يَقُولُ : يَا رَبُّ قَائِلَةٍ يَوْمًا وَقَدْ تَعَبْتُ أَتَيْنَ الطَّرِيقَ إِلَى حَمَامٍ مَنَجَابٍ وَهَذَا الْكَلَامُ فِيهِ قِصَّةٌ وَذَلِكَ أَنَّ رَجُلًا كَانَ وَاقِفًا عَلَى بَابِ دَارِهِ وَكَانَ بَابُ دَارِهِ يُشَبِّهُ بِبَابِ الْحَمَامِ فَمَرَّتْ إِمْرَأَةٌ لَهَا رَوْتَقٌ وَمَنْظَرٌ خَلَابٌ وَهِيَ تَسْأَلُ عَنْ طَرِيقِ حَمَامٍ مَنَجَابٍ .

فَقَالَ لَهَا هَذَا حَمَامٌ مَنجَابٌ وَأَشَارَ إِلَى دَارِهِ فَدَخَلَتْ دَارَهُ وَدَخَلَ وَرَائَهَا
فَلَمَّا رَأَتْ نَفْسَهَا مَعَهُ فِي دَارِهِ ، وَلَيْسَتْ بِحَمَامٍ عَلِمَتْ أَنَّهُ خَدَعَهَا فَاحْتَالَتْ
عَلَيْهِ بِأَن أَظْهَرَتْ لَهُ الْفَرَحَ وَالْبِشْرَ بِاجْتِمَاعِهَا مَعَهُ عَلَى تِلْكَ الْخُلُوةِ فِي تِلْكَ
الدَّارِ .

وَقَالَتْ يَتَّبِعْنِي أَنْ يَكُونَ عِنْدَنَا مَا يَطِيبُ بِهِ الْاجْتِمَاعُ وَتَقَرَّبَ بِهِ عُيُونُنَا فَفَرَحَ
وَقَالَ السَّاعَةَ آتِيكِ بِكُلِّ مَا تُرِيدِينَ وَمَا تَشْتَهِينَ .

وَخَرَجَ وَتَرَكَهَا فِي الدَّارِ ، وَظَنَّ أَنَّهُ أَغْلَقَ عَلَيْهَا الْبَابَ ، وَمَضَى وَأَتَى بِمَا
يَصْلُحُ لَهُمَا وَرَجَعَ وَدَخَلَ الدَّارَ فَوَجَدَهَا قَدْ خَرَجَتْ وَذَهَبَتْ وَلَمْ يَجِدْ لَهَا
أَثَرَ .

فَهَامَ الرَّجُلُ بِهَا وَذَهَبَتْ بِلَبِّهِ فَأَكْثَرَ الذِّكْرَ لَهَا وَالْحُزْنَ وَالْجَزَعَ عَلَيْهَا
وَجَعَلَ يَمْشِي فِي الطَّرِيقِ وَيَقُولُ :

يَا رَبِّ قَائِلَةٍ يَوْمًا وَقَدْ تَعَبْتُ أَيْنَ الطَّرِيقُ إِلَى حَمَامٍ مَنجَابٍ
وَمَرَّ مِنْ عِنْدِ بَيْتِهَا وَهُوَ يُنْشِدُ هَذَا الْبَيْتَ وَإِذَا بِهَا تُجَاوِبُهُ مِنْ دَاخِلِ دَارِهَا
وَتَقُولُ بِصَوْتٍ سَمِعَهُ :

هَلَّا جَعَلْتَ سَرِيعًا إِذْ ظَفِرْتَ بِهَا حِرْزًا عَلَى الدَّارِ أَوْ قُفْلًا عَلَى الْبَابِ
إِنْ يَنْفَدَ الرُّزْقُ فَالرُّزَاقُ يَحْلِفُهُ وَالْعِرْضُ مِنْ أَيْنَ يَا مَعْرُورُ يُنْجَابُ
فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ جَعَلَ يُرَدِّدُ ذَلِكَ وَمَاتَ .

وَقِيلَ لَأَخْرَقُ قُلَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَجَعَلَ يَهْدِي بِالْغِنَاءِ وَقَالَ وَمَا يَنْفَعُنِي مَا تَقُولُ
وَلَمْ أَدْعُ مَعْصِيَةً إِلَّا رَكِبْتُهَا ثُمَّ مَاتَ .

وَقِيلَ لَأَخْرَقُ قُلَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَقَالَ وَمَا يَغْنِي عَنِّي وَمَا أَعْلَمُ أَنِّي صَلَّيْتُ لِلَّهِ
صَلَاةً ثُمَّ مَاتَ وَلَمْ يَقْلُهَا .

وقيل لآخر قل لا إله إلا الله فقال هو كافر بما تقول ومات .
وقيل لآخر قل لا إله إلا الله فقال كلما أردت أن أقولها فإلساني يمسك عنها .

وقال ابن القيم رحمه الله أخبرني من حضر بعض الشحاذين عند الموت فجعل يقول لله فليس ، لله فليس فمات .

وأخبرني أحد التجار عن قريب له احتضر وهو عنده فجعلوا يلقيونته ﴿ لا إله إلا الله ﴾ وهو يقول هذه القطعة رخيصة هذا مشترى جيد .

وسبحان الله كم شاهد الناس من هذا عبراً والذي يخفى عليهم من أحوال المحتضرين أعظم .

وإذا كان العبد في حال حضور ذهنه وقوته وكمال إدراكه قد تمكن منه الشيطان واستعمله بما يريد من المعاصي .

وقد أغفل قلبه عن ذكر الله تعالى وعطل لسانه عن ذكره وجوارحه عن طاعته فكيف الظن به عند سقوط قواه واشتغال قلبه بما هو فيه من ألم النزاع .

وجمع الشيطان له كل قوته وهمته وحشد عليه بجميع ما يقدر عليه لينال منه غرضه فإن ذلك آخر العمل .

فأقوى ما يكون عليه الشيطان ذلك الوقت وأضعف ما يكون هو في تلك الحالة « أي حالة نزاع الروح » .

فمن ترى يسلم على ذلك فهناك ﴿ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء ﴾ .

فَكَيْفَ يُوَفَّقُ لِحُسْنِ الْخَاتِمَةِ مَنْ أَغْفَلَ اللَّهُ قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِهِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ قُرْطًا .

فَبَعِيدٌ مِنْ قَلْبٍ بَعِيدٍ مِنَ اللَّهِ غَافِلٍ عَنْهُ مُتَعَبِّدٌ هَوَاهُ مُصَيِّرُهُ لِمَشَهَوَاتِهِ وَلِسَانُهُ يَأْبَسُ مِنْ ذِكْرِهِ وَجَوَارِحُهُ مُعْطَلَةٌ مِنْ طَاعَتِهِ مُشْتَغَلَةٌ بِمَعْصِيَتِهِ فَبَعِيدٌ أَنْ يُوَفَّقَ لِحُسْنِ الْخَاتِمَةِ . انتهى كلامه رحمه الله .

وَيُقَالُ عَنْ شَارِبِ الدِّخَانِ أَنَّهُ كَلَّمَ قَبِيلَ لَهُ قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ قَالَ تَتْنُ سَارِ تَتْنُ حَار .

وَيُقَالُ عَنْ بَقَالٍ أَنَّهُ كَانَ يُلَقِّنُ عِنْدَ الْمَوْتِ كَلِمَتَيِ الشَّهَادَتَيْنِ فَيَقُولُ خَمْسَةَ سِتَّةٍ أَرْبَعَةً فَكَانَ مَشْغُولًا بِالْحِسَابِ الَّذِي طَالَ لَهُ إِلْفُهُ فَغَلَبَ عَلَى لِسَانِهِ وَلَمْ يُوَفَّقَ لِلشَّهَادَتَيْنِ .

وَيُخْشَى عَلَى صَاحِبِ الْمَعَاصِي وَالْمُنْكَرَاتِ وَمُتَخَذِي الْآثِ اللَّهْوِ مِنْ شَطَرِنَجٍ وَأَغْوَادٍ وَأُورَاقٍ لَعِبٍ وَبَكَمَاتٍ وَاصْطُوانَاتٍ وَكُرَّةٍ وَمَذْيَاعٍ وَتَلْفِزِيونَ وَفِيدْيُوٍ وَسِينَا وَصُورِ ذَوَاتِ الْأَرْوَاحِ .

أَنْ يَكُونَ مَشْغُولًا بِهَا فِي آخِرِ لَحْظَةٍ مِنْ حَيَاتِهِ فَيَكُونُ خَتَامُ صَحِيفَتِهِ وَالْعِيَادُ بِاللَّهِ مَا نَطَقَ بِهِ لِسَانُهُ مِنْ مَا يَأْتِي فِيهَا مِنَ الْمُنْكَرَاتِ مِنْ أَغَانِي وَصُورٍ وَتَمَثُّلِيَّاتٍ وَنَحْوِ ذَلِكَ نَسَأَلَ اللَّهُ أَنْ يَعْصِمَنَا وَإِخْوَانَنَا الْمُسْلِمِينَ مِنْهَا وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ وَاعْلَمْ أَنَّ سُوءَ الْخَاتِمَةِ أَعَادَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ مِنْهَا لَا تَكُونُ لِمَنْ اسْتَقَامَ ظَاهِرُهُ وَصَلَحَ بَاطِنُهُ ، وَإِنَّمَا تَكُونُ لِمَنْ كَانَ لَهُ فُسَادٌ فِي الْعَقْلِ وَإِصْرَارٌ عَلَى الْكِبَائِرِ وَإِقْدَامٌ عَلَى الْعِظَامِ .

فَرُبَّمَا غَلَبَ ذَلِكَ عَلَيْهِ حَتَّى يَنْزِلَ بِهِ الْمَوْتُ قَبْلَ التَّوْبَةِ وَيَثْبُ عَلَيْهِ قَبْلَ الْإِنَابَةِ وَيَأْخُذُهُ الْمَوْتُ قَبْلَ إِصْلَاحِ الطَّوْبَةِ فَيَحْتَضِفُهُ الشَّيْطَانُ عِنْدَ تِلْكَ الدَّهْشَةِ

وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ ثُمَّ الْعِيَاذُ بِاللَّهِ أَنْ يَكُونَ لِمَنْ كَانَ مُسْتَقِيمًا لَمْ يَتَّعَيَّرْ عَنْ حَالِهِ وَلَمْ
يَخْرُجْ عَنْ سُنَّتِهِ .

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾ الآية
وقد سَمِعْتُ بِقِصَّةِ بِلْعَامِ بْنِ بَاعُورَاءَ وَمَا آتَاهُ اللَّهُ مِنْ آيَاتِهِ وَأُطْلِعَهُ عَلَيْهِ مِنْ
يَتَنَاتِيهِ « أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ » فَسَلَبَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ جَمِيعَ مَا أُعْطَاهُ وَتَرَكَه
مَعَ مَنْ اسْتَمَالَهُ وَأَغْوَاهُ .

شِعْرًا :

إِلَى كَمْ ذَا التَّمَادِي بِالْذِّسَائِسِ وَأَنْتَ بِحِمَاةِ الْهَيْثَانِ غَاطِسِ
تُسَاعِدُ كُلَّ نَمَامٍ بِإِفْكِ وَتُغْتَالُ الْأَكَارِمَ وَالْأَوَانِسِ
تُسَابِقُ كُلَّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ بِمَا تُبْدِيهِ مِنْ فِتْنِ الْوَسَاوِسِ
أَضَعْتَ الْعُمَرَ فِي زُورٍ وَوَزِيرٍ وَلَهْوٍ مَعَ ذَوِي الْعَدْرِ الْأَبَالِسِ
فَعَجَّلَ بِالْمَتَابِ لَنَيْلِ عَفْوٍ لُتَحْبَى مِنْ جَنَّا مَا أَنْتَ غَارِسِ

اللَّهُمَّ أَنْتَ تَعْلَمُ سِرَّنَا وَعَلَانِيَتَنَا وَتَسْمَعُ كَلَامَنَا وَتَرَى مَكَانَنَا لَا يَخْفَى
عَلَيْكَ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِنَا نَحْنُ الْبُؤْسَاءُ إِلَيْكَ الْمُسْتَغِيثُونَ الْمُسْتَجِيرُونَ بِكَ نَسْأَلُكَ أَنْ
تُقَيِّضَ لِدِينِكَ مَنْ يَنْصُرُهُ وَيُزِيلُ مَا حَدَثَ مِنَ الْبِدْعِ وَالْمُنْكَرَاتِ وَتُقِيمَ عَلَمَ
الْجِهَادِ وَتَقْمَعَ أَهْلَ الزَّيْغِ وَالْكَفْرِ وَالْعِنَادِ وَنَسْأَلُكَ أَنْ تُغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ
الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ
أَجْمَعِينَ .

(فَصْل)

وَيُرَوَّى أَنَّ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا مَاتَ قَالَ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ لَهُ
كَيْفَ وَجَدْتَ الْمَوْتَ قَالَ كَسَفُودٍ جُعَلَ فِي النَّارِ ثُمَّ أُدْخِلَ فِي صُوفٍ رَطْبٍ ثُمَّ
جُذِبَ فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى أَمَا إِنَّا لَقَدْ هَوَّنَاهُ عَلَيْكَ يَا إِبْرَاهِيمَ .

وَيُرَوَّى عَنْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ لَمَّا صَارَتْ رُوحُهُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى قَالَ لَهُ
يَا مُوسَى كَيْفَ وَجَدْتَ الْمَوْتَ فَقَالَ : وَجَدْتُ نَفْسِي كَالْعَصْفُورِ حِينَ يُلْقَى
فِي الْمَقْلَى لَا يَمُوتُ فَيَسْتَرِيحُ وَلَا يَنْجُو فَيَطِيرُ .

وَيُرَوَّى عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ وَجَدْتُ نَفْسِي كَشَاةٍ حَيَّةٍ بِيَدِ الْقَصَابِ تُسْلَخُ .
وَيُرَوَّى أَنَّ عُمَرَ قَالَ لَكُجَبِ الْأَحْبَارِ حَدَّثَنَا عَنْ الْمَوْتِ فَقَالَ نَعَمْ يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ كَعُصْنِ كَثِيرِ الشُّوكِ أُدْخِلَ فِي جَوْفِ رَجُلٍ فَأَخَذَتْ كُلُّ شَوْكَةٍ بِعِزْقِ
ثُمَّ جَذَبَتْهُ رَجُلٌ شَدِيدُ الْجَذْبِ فَأَخَذَ مَا أَخَذَ وَأَبْقَى مَا أَبْقَى .

وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ لِتَشْدِيدِ الْمَوْتِ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ فَائِدَتَانِ أَحَدُهُمَا تَكْمِيلُ
فَضَائِلِهِمْ وَرَفْعُ دَرَجَاتِهِمْ وَلَيْسَ ذَلِكَ نَقْصًا وَلَا عَذَابًا بَلْ هُوَ كَمَا جَاءَ أَنَّ أَشَدَّ
النَّاسِ بَلَاءَ الْأَنْبِيَاءِ ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ .

وَالثَّانِيَةُ أَنَّ تَعْرِفَ الْخَلْقِ مِقْدَارَ أَلَمِ الْمَوْتِ وَأَنَّهُ بَاطِنٌ وَقَدْ يَطَّلِعُ الْإِنْسَانُ
عَلَى بَعْضِ الْمَوْتَى فَلَا يَرَى عَلَيْهِ حَرَكَةَ وَلَا قَلْقًا وَيَرَى سُهُولَةَ خُرُوجِ رُوحِهِ
فِيظُنُّ سُهُولَةَ أَمْرِ الْمَوْتِ وَلَا يَعْرِفُ مَا الْمَيِّتُ فِيهِ .

فَلَمَّا ذَكَرَ الْأَنْبِيَاءُ الصَّادِقُونَ فِي خَبَرِهِمْ شِدَّةَ أَلَمِهِ مَعَ كَرَامَتِهِمْ عَلَى اللَّهِ
تَعَالَى قَطَعَ الْخَلْقُ بِشِدَّةِ الْمَوْتِ الَّذِي يُقَاسِيهِ الْمَيِّتُ مُطْلَقًا لِإِخْبَارِ الصَّادِقِينَ عَنْهُ مَا
تَحَلَّى الشَّهِيدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْتَهَى .

أَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ عَنْ قَتَادَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :
« الشَّهِيدُ لَا يَجِدُ أَلَمَ الْقَتْلِ إِلَّا كَمَا يَجِدُ أَحَدُكُمْ أَلَمَ مَسِّ الْقَرْصَةِ . »

أَخْرَجَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي الْمَرَضِ وَالْكَفَارَاتِ وَابْنُ مَيْنِعٍ فِي مَسْنَدِهِ مِنْ حَدِيثِ
أَبِي هُرَيْرَةَ مَرْفُوعاً « يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَلَا أُخْبِرُكَ بِأَمْرٍ حَقٌّ مَنْ تَكَلَّمَ بِهِ فِي أَوَّلِ
مَضْجَعِهِ مِنْ مَرَضِهِ نَجَّاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ . »

قُلْتُ بَلَى قَالَ : « لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ
وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَالْبَلَادِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ عَلَى كُلِّ
حَالٍ وَاللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا كَبِيرًا وَجَلَّالُهُ وَقُدْرَتُهُ بِكُلِّ مَكَانٍ . »

اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ أَمْرَضْتَنِي لِتَقْبُضِ رُوحِي فِي مَرَضِي هَذَا فَاجْعَلْ رُوحِي فِي
أَرْوَاحِ مَنْ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنْكَ الْحُسْنَى وَأَعِزَّنِي مِنَ النَّارِ كَمَا أَعَزَّتَ أَوْلِيَاءَكَ الَّذِينَ
سَبَقَتْ لَهُمْ مِنْكَ الْحُسْنَى . »

فَإِنْ مِتُّ فِي مَرَضِكَ ذَلِكَ فَأَلِي رِضْوَانُ اللَّهِ وَالْجَنَّةُ ، وَإِنْ كُنْتُ قَدْ
اِقْتَرَفْتُ ذُنُوبًا تَابَ اللَّهُ عَلَيْكَ .

وَأَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ مَرْفُوعاً « مَنْ قَالَ عِنْدَ
مَوْتِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ لَا تَطْعَمُهُ
النَّارُ . »

وَأَخْرَجَ الْحَاكِمُ عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ
هَلْ أَذْلَكُكُمْ عَلَى اسْمِ اللَّهِ الْأَعْظَمِ دُعَاءُ يُونُسَ ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي
كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ .

فَإِذَا مُسْلِمٌ دَعَا بِهَا فِي مَرَضٍ مَوْتَهُ أَرْبَعِينَ مَرَّةً فَمَاتَ فِي مَرَضِهِ ذَلِكَ أُعْطِيَ
أَجْرَ شَهِيدٍ وَإِنْ بَرِيءَ بَرِيءٌ مَغْفُوراً لَهُ .

وأخرج أحمد وأبو داود والحاكم عن معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ » .

وأخرج سعيد بن منصور عن أم الحسن قالت : كُنْتُ عِنْدَ أُمِّ سَلَمَةَ فَجَاءَهَا إِنْسَانٌ فَقَالَ فُلَانٌ بِالمَوْتِ .

فَقَالَتْ انْطَلِقْ فَإِذَا رَأَيْتَهُ اخْتَضِرْ فَقُلْ : سَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

شِعْرًا :

لَيْتَ شِعْرِي سَاكِنَ الْقَبْرِ الْمَشِيدِ	هَلْ وَجَدْتَ الْيَوْمَ فِيهِ مِنْ مَزِيدِ
وَهَلِ الْبَاطِنُ فِيهِ مِثْلُ مَا	هُوَ فِي الظَّاهِرِ تَزْوِيْقًا وَشِيدِ
وَهَلِ الْمَضْجَعُ فِيهِ لَيْنٌ	أَوْ سَعِيرٌ مَالَهَا فِيهِ خُمُودُ
وَهَلِ الْأَرْكَانُ فِيهِ بِالتَّقَى	نِيرَاتٌ أَوْ بِأَعْمَالِكَ السُّودُ
لَيْتَ شِعْرِي سَاكِنَ الْقَبْرِ الْمَشِيدِ	أَشَقِي أَنْتَ فِيهِ أَمْ سَعِيدِ
أَقْرَبُ أَنْتَ مِنْ رَحْمَةٍ مَنْ	وَسِعَ الْعَالَمَ إِحْسَانًا وَجُودُ
أَمْ بَعِيدُ أَنْتَ مِنْهَا فَلَقَدْ	طُرِقْتَ دَارُكَ بِالْوَيْلِ الْبَعِيدِ
وَلَقَدْ حَلَّ بِأَرْجَائِكَ مَا	ضَاقَ عَنْهُ كُلُّ مَا فِي ذَا الْوُجُودِ
أَيُّهَا الْغَافِلُ مِثْلِي وَإِلَى	كَمْ تَعَامِي وَتَلَوِي وَتَحِيدِ
أُذُنٌ فَاقِرٌ فَوْقَ رَأْسِي أُحْرَفًا	خَرَجْتَ وَيْحَكَ مِنْ قَلْبٍ عَمِيدِ
صَرَعَتْهُ فِكْرَةٌ صَادِقَةٌ	وَهُمُومٌ كُلَّمَا تَمْضِي تَعُودُ
وَنَدَامَاتٌ لَا يَامِ مَضَتْ	هُوَ مِنْهَا فِي قِيَامٍ وَقُعُودِ
وَعَدًا تَرْجِعُ مِثْلِي فَاتَّعِظْ	بِي وَإِلَّا فَاْمُضِ وَأَعْمَلْ مَا تُرِيدُ
قَدْ نَصَحْنَاكَ فَإِنْ لَمْ تَرَهُ	سِيرَاهُ بَصَرٌ مِنْكَ حَدِيدِ

اللَّهُمَّ انْظُمْنَا فِي سِلْكِ حَزَبِكَ الْمُفْلِحِينَ ، واجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الْمُخْلِصِينَ
وَأَمِنَّا يَوْمَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ يَوْمَ الدِّينِ ، واحشُرْنَا مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ
النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وصلى الله على محمد وعلى آله
وصحبه أجمعين .

(فَضْل)

أَخْرَجَ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَالْمُرُوزِيُّ عَنْ جَابِرِ بْنِ زَيْدٍ قَالَ يَسْتَحَبُّ إِذَا حُضِرَ
الْمَيِّتُ (أَيْ حَضَرَهُ الْمَوْتُ) أَنْ يُقْرَأَ عِنْدَهُ سُورَةُ الرَّغْدِ فَإِنَّ ذَلِكَ يُخَفِّفُ عَنْ
الْمَيِّتِ وَأَنَّهُ أَهْوَنُ لِقَبْضِهِ وَأَيْسَرُ لِشَأْنِهِ .

وَكَانَ يُقَالُ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ الْمَيِّتُ بِسَاعَةٍ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِفُلَانٍ بِنِ فُلَانٍ ، وَبَرِّذْ عَلَيْهِ مَضْجَعَهُ ، وَوَسِّعْ عَلَيْهِ قَبْرَهُ ،
وَأَعْظِهِ الرَّاحَةَ بَعْدَ الْمَوْتِ ، وَالْحَقُّهُ بِنَبِيِّهِ .

وَتَوَلَّ نَفْسُهُ ، وَصَعَّدَ رُوحَهُ فِي أَرْوَاحِ الصَّالِحِينَ ، وَاجْمَعِ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ فِي
دَارِ ثَبَقَى فِيهَا الصِّحَّةُ ، وَيَذْهَبْ عَنَّا فِيهَا النَّصَبُ وَاللُّغُوبُ ، وَيُصَلِّيَ عَلَى
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَيُكْرِرُ ذَلِكَ حَتَّى يُقْبَضَ .

وَعَنْ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ وَالْمُرُوزِيِّ عَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ كَانَتْ الْأَنْصَارُ يَقْرَأُونَ عِنْدَ
الْمَيِّتِ سُورَةَ الْبَقَرَةِ .

وَأَخْرَجَ أَبُو نُعَيْمٍ عَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ
مَخْرَجًا ﴾ قَالَ مَخْرَجًا مِنْ شُبُهَاتِ الدُّنْيَا وَمِنَ الْكُرْبِ عِنْدَ الْمَوْتِ وَمِنْ مَوَاقِفِ
يَوْمِ الْقِيَامَةِ .

أَخْرَجَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا عَنْ وَهْبِ بْنِ الْوَرْدِ قَالَ بَلَّغْنَا اللَّهَ مَا مِنْ مَيِّتٍ يَمُوتُ حَتَّى يَتَرَأَى لَهُ مَلَكَاهُ اللَّذَانِ كَانَا يَحْفَظَانِ عَلَيْهِ عَمَلَهُ فِي الدُّنْيَا .

فَإِنْ كَانَ صَحْبُهُمَا بِطَاعَةِ اللَّهِ قَالَ جَزَاكَ اللَّهُ عَنَّا مِنْ جَلِيسٍ خَيْرًا فَرُبَّ مَجْلِسٍ صَدِيقٍ قَدْ أَجْلَسْتَنَاهُ وَعَمِلَ صَالِحٍ قَدْ أَحْضَرْتَنَاهُ وَكَلَامٍ حَسَنٍ قَدْ أَسْمَعْتَنَاهُ فَجَزَاكَ اللَّهُ عَنَّا مِنْ جَلِيسٍ خَيْرًا .

وَإِنْ كَانَ صَحْبُهُمَا بِغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا لَيْسَ لِلَّهِ فِيهِ رِضَاهُ قَلَبًا عَلَيْهِ الثَّنَاءُ فَقَالَ لَا جَزَاكَ اللَّهُ عَنَّا مِنْ جَلِيسٍ خَيْرًا .

فَرُبَّ مَجْلِسٍ سَوْءٍ قَدْ أَجْلَسْتَنَاهُ ، وَعَمِلَ غَيْرَ صَالِحٍ قَدْ أَحْضَرْتَنَاهُ ، وَكَلَامٍ قَبِيحٍ قَدْ أَسْمَعْتَنَاهُ .

فَلَا جَزَاكَ اللَّهُ عَنَّا مِنْ جَلِيسٍ خَيْرًا قَالَ فَذَلِكَ شُخُوصُ بَصَرِ الْمَيِّتِ إِلَيْهِمَا وَلَا يَرْجِعُ إِلَى الدُّنْيَا أَبَدًا .

وَأَخْرَجَ عَنْ سَفِيَانَ قَالَ بَلَّغَنِي أَنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا اخْتُصِرَ قَالَ مَلَكَاهُ اللَّذَانِ كَانَا مَعَهُ يَحْفَظَانِهِ أَيَّامَ حَيَاتِهِ عِنْدَ رَبِّهِ أَهْلِهِ دَعْوَانَا فَلْنُثْنِ عَلَى صَاحِبِنَا بِمَا عَلِمْنَا مِنْهُ .

فَيَقُولَانِ رَحِمَكَ اللَّهُ وَجَزَاكَ اللَّهُ مِنْ صَاحِبٍ خَيْرًا إِنْ كُنْتَ لَسَرِيْعًا إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ بِطِيْعًا عَنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتَ لِمَمْنٍ تَأْمَنُ غَيْبَكَ فَتَعْرُجُ فَلَا تَشْغَلُنَا عَنْ الذِّكْرِ مَعَ الْمَلَائِكَةِ .

وَإِذَا اخْتُصِرَ الْعَبْدُ السُّوءُ فَرَنَ أَهْلُهُ وَضَجُّوا قَامَ الْمَلَكَانِ فَقَالَا دَعْوَانَا فَلْنُثْنِ بِمَا عَلِمْنَا مِنْهُ فَيَقُولَانِ جَزَاكَ اللَّهُ مِنْ صَاحِبٍ شَرًّا .

إِنْ كُنْتُ بَطِيعاً عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ ، سَرِيعاً إِلَى مَعْصِيَتِهِ ، وَمَا كُنَّا نَأْمَنُ غَيْبَكَ ،
ثُمَّ يَعْرُجَانِ إِلَى السَّمَاءِ .

يَا بَاكِياً مِنْ خِيفَةِ الْمَوْتِ أَصَبْتَ فَارْفَعْ مِنْ مَدَى الصَّوْتِ
وَنَادِ يَا لَهْفِي عَلَى فَسْحَةِ فِي الْعُمْرِ فَاتَتْ أَيْمًا فَوَتْ
ضَيَعْتُهَا ظَالِمَ نَفْسِي وَلَمْ أَصْغِرْ إِلَى مَوْتٍ وَلَا مَيِّتٍ
يَا لَيْتَهَا عَادَتْ وَهَيْهَاتَ أَنْ يُعَوِّدَ مَا قَدْ فَاتَ يَأْلَيْتِ
فَحُلَّ عَنْ هَذِي الْأَمَانِي وَدَعِ خَوْضَكَ فِي هَاتِي وَفِي هَيْتِ
وَبَادِرِ الْأَمْرَ فَمَا غَائِبٌ أَسْرَعُ إِثْنَانًا مِنَ الْمَوْتِ
كَمْ شَأْنٌ يُدَيِّتُنَا لِيَعْنَى بِهِ مَاتَ وَلَمْ يُفْرَغْ مِنَ الْبَيْتِ

اللَّهُمَّ أَسْأَلُكَ بِنَا سَبِيلَ الْأَبْرَارِ ، وَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الْمُصْطَفَيْنِ الْأَخْيَارِ ،
وَأْمُنْ عَلَيْنَا بِاللَّعْفِ وَالْعَنْقِ مِنَ النَّارِ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى
آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْل)

وَاعْلَمْ أَنَّ الْمَوْتَ لَنْ يَمْنَعَهُ مِنْكَ مَانِعٌ وَلَا يَدْفَعُهُ عَنْكَ دَافِعٌ وَإِنْ فِيهِ لَزَجْرٌ
لِلْيَبِ ، وَشُعْلٌ لِلْأَرْيَبِ ، وَمَنْبَهَةٌ لِلنَّائِمِ وَتَنْشِيطٌ لِلْمُسْتَقِيطِ .

وَأَنْتَ لَطَالِبُ الْمَذْرِكِ ، وَالْمُتَّبِعُ اللَّاحِقُ ، وَالْمُغَيِّرُ الَّذِي يَبْعَثُ الطَّلِيعَةَ ،
وَيُعَجِّلُ الرَّجْعَةَ ، وَيَسْبِقُ النَّذِيرَ الْعَرِيَانَ ، لَا يُرْدُهُ بَابُ الْحَدِيدِ الشَّدِيدِ ،
وَلَا يَمْنَعُ عَنْهُ التُّرْجُ الْعَالِي الْمَشِيدِ ، وَلَا الْجَيْشُ اللَّجْبُ الْعَرْمَرْمُ ، وَلَا الْبَلَدُ
الْبَعِيدُ .

هُوَ الْمَوْتُ مُثَرِّعٌ عِنْدَهُ مِثْلُ مُعْجَمٍ وَقَاصِدُ نَهْجٍ مِثْلُ آخَرٍ نَاكِبٍ
وَدِرْعُ الْفَتَى فِي حُكْمِهِ دِرْعُ غَادَةٍ وَأَيَّاتُ كِسْرَى مِنْ يُبُوتِ الْعَنَاكِبِ

قِيلَ أَنَّ رَجُلًا كَانَ جَالِسًا مَعَ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ فَدَخَلَ دَاخِلًا فَجَعَلَ يَنْظُرُ
إِلَى الرَّجُلِ الْجَالِسِ مَعَ سُلَيْمَانَ وَيُدَيِّمُ النَّظَرَ إِلَيْهِ .

فَلَمَّا خَرَجَ قَالَ لِسُلَيْمَانَ يَا نَبِيَّ مَنْ هَذَا الرَّجُلُ الدَّاخِلُ عَلَيْكَ قَالَ مَلَكُ
الْمَوْتِ قَالَ يَا نَبِيَّ اللَّهُ لَقَدْ رَأَيْتُهُ يُدَيِّمُ النَّظَرَ إِلَيَّ وَيُشَخِّصُ فِيَّ وَلَئِنِّي لِأُظَنُّهُ
يُرِيدُنِي قَالَ فَمَا تُرِيدُ .

قَالَ يَا نَبِيَّ اللَّهُ أُرِيدُ أَنْ تَأْمُرَ الرِّيحَ فَتَأْخُذَنِي فَتُلْقِيَنِي فِي أْبْعَدِ جَزَائِرِ الْبَحْرِ فَإِنَّهُ
قَدْ أَطَاشَ عَقْلِي وَأَذْهَبَ لُبِّي وَنَقَضَ كُلَّ عُضْوٍ فِي بَدَنِي .

فَأَوْحَى اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا وَتَقَدَّسَ إِلَى سُلَيْمَانَ أَوْ الْقَى فِي نَفْسِ سُلَيْمَانَ أَنَّ
يَفْعَلُ ذَلِكَ فَأَمَرَ الرِّيحَ فَاتَّخَذَتْهُ فَالْقَتْهُ حَيْثُ أَرَادَ فَحِينَ اسْتَقَرَّ بِالْأَرْضِ نَزَلَ عَلَيْهِ
مَلَكُ الْمَوْتِ فَقَبَضَ رُوحَهُ .

ثُمَّ رَجَعَ مَلَكُ الْمَوْتِ إِلَى سُلَيْمَانَ فَقَالَ سُلَيْمَانَ رَأَيْتَكَ تُدَيِّمُ النَّظَرَ إِلَى
جَلِيسِي قَالَ نَعَمْ كُنْتُ أَتَعَجَّبُ مِنْهُ لِأَنِّي أَمَرْتُ بِقَبْضِ رُوحِهِ فِي أْبْعَدِ بِلَادِ الْهِنْدِ
فِي سَاعَةٍ قَرِيبَةٍ مِنَ الْوَقْتِ الَّذِي كَانَ عِنْدَكَ فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ خَرَجْتُ قِيلَ لِي لَنْزَلَ
عَلَيْهِ فَإِنَّهُ بِهَا فَتَزَلْتُ عَلَيْهِ فَوَجَدْتُهُ بِهَا فَقَبَضْتُ رُوحَهُ .

وَذَكَرَ أَحَدُ الْعُلَمَاءِ أَنَّ جَبَّارًا مِنَ الْجَبَابِرَةِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ جَالِسٌ فِي
مَنْزِلِهِ قَدْ خَلَا بِبَعْضِ أَهْلِهِ إِذْ نَظَرَ إِلَى شَخْصٍ قَدْ دَخَلَ مِنْ بَابِ بَيْتِهِ .

فَنَارَ إِلَيْهِ فَرَعَا مُغْضَبًا فَقَالَ لَهُ مَنْ أَنْتَ وَمَنْ أَذْخَلَكَ عَلَيَّ دَارِي فَقَالَ أُمَّا

الذي أَدْخَلَنِي عَلَيْكَ الدَّارَ فَرُبُّهَا وَأَمَّا أَنَا فَأَنَا الَّذِي لَا يَمْنَعُ مِنِّي الْحِجَابُ وَلَا
أُسْتَاذُنْ عَلَى الْمُلُوكِ وَلَا أَخَافُ صَوْلَةَ السَّلَاطِينِ وَلَا يَمْتَنِعُ مِنِّي كُلُّ جَبَّارٍ عِنْدَ
وَلَا شَيْطَانٍ مَرِيدٍ .

قَالَ فَسُقُطَ فِي يَدِ الْجَبَّارِ وَارْتَعَدَ حَتَّى سَقَطَ عَلَى الْأَرْضِ مُنْكَبًّا عَلَى وَجْهِهِ
ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَيْهِ مُتَحِيرًا مُتَذَلِّلًا فَقَالَ لَهُ أَنْتَ إِذَا مَلَكَ الْمَوْتِ قَالَ أَنَا هُوَ قَالَ
فَهَلْ أَنْتَ مُمְهِلِي حَتَّى آخُذَ عَهْدًا .

قَالَ هِيَاهُتْ لِنَقْطَعَتْ مُدَّتُكَ وَانْقَضَتْ أَنْفَاسُكَ وَنَفَدَتْ سَاعَاتُكَ فَلَيْسَ إِلَيَّ
تَأْخِيرُكَ سَبِيلٌ قَالَ فَإِلَى أَيْنَ تَذْهَبُ بِي قَالَ إِلَى عَمَلِكَ الَّذِي قَدَّمْتَهُ وَإِلَى بَيْتِكَ
الَّذِي مَهَّدْتَهُ .

قَالَ فَإِنِّي لَمْ أَقْدَمْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَمْ أُمְهِدْ حَسَنًا . قَالَ فَإِلَى ﴿ لَطَى نَزَاعَةً
لِلشَّوَى تَذْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى وَجَمَعَ فَأَوْعَى ﴾ فَسَقَطَ مَعْشِيًا عَلَيْهِ (فَيَا لَهَا
مِنْ حَسْرَةٍ وَيَا لَهَا مِنْ نَدَامَةٍ وَيَا لَهَا مِنْ عَثْرَةٍ لَا تُقَالُ) ا. هـ .

وَمَاتَ أَحَدُ الشَّجْعَانِ فَجَاءَ بِسَكَنَةٍ قَلْبِيَّةٍ فَأَنْشِدَتْ الْأَيَّاتُ الَّتِي تَلِي فِيهِ ،
فِيهَا عِبْرَةٌ فَتَدَبَّرْهَا :

وَمُجَرَّرُ خَطِيئَةٍ يَوْمَ الْوَعَى	مُنْسَابَةٌ مِنْ خَلْفِهِ كَالْأَرْقَمِ
تَتَضَاعَلُ الْأُبْطَالُ سَاعَةً ذِكْرِهِ	وَتَبَيَّنَتْ مِنْهُ فِي إِبَاءَةٍ ضَيْعَمِ
شَرِسُ الْمَقَادَةِ لَا يَزَالُ رِيئَةً	وَمَتَّى يُحْسُ بِنَارِ حَرْبٍ يُقَدِّمِ
تَقَعُ الْفَرِيْسَةُ مِنْهُ فِي قَوْهَاءٍ إِنْ	يُطْرَحُ بِهَا صُمُّ الْحِجَارَةِ يُخْطَمِ
ضَمَانٌ لِلْدِّمِ لَا يَقُومُ بِرِيهِ	إِلَّا الْمُرُوقُ فِي الْجُسُومِ مِنَ الدِّمِ
جَاءَتْهُ مِنْ قَبْلِ الْمُنُونِ إِشَارَةٌ	فَهَوَى صَرِيحًا لِلْيَدَيْنِ وَلِلْفَمِ
وَرَمَى بِمُحْكَمِ دِرْعِهِ وَبِرُمَحِهِ	وَأَمْتَدَّ مُلْقَى كَالْبَعِيرِ الْأَعْظَمِ

لا يَسْتَجِيبُ لِصَارِخٍ إِنْ يَدْعُهُ أبدأ ولا يُرْجَى لِخُطْبٍ مُعْظَمٍ
 ذَهَبَتْ بَسَائِلُهُ وَمَرَّ غَرَامُهُ لَمَّا رَأَى نَحِيلَ الْمَنِيَّةِ تَرْجِي
 يَا وَيْحَهُ مِنْ فَارِسٍ مَا بَالُهُ ذَهَبَتْ فُرُوسُهُ وَلَمَّا يُكَلِّمُ
 هَذِي يَدَاهُ وَهَذِهِ أَعْضَاؤُهُ مَا مِنْهُ مِنْ عُضْوٍ غَدَا يُمُتِّلِمُ
 هَيْهَاتَ مَا نَحِيلُ الرَّدَى مُحْتَاجَةٌ لِلْمَشْرِفِيِّ وَلَا السَّنَانِ اللَّهْمُ
 هِيَ وَيَحْكُمُ أَمْرُ الْإِلَهِ وَحُكْمُهُ وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْقَضَاءِ الْمُحْكَمِ
 يَا حَسْرَةً لَوْ كَانَ يُقَدَّرُ قَدْرُهَا وَمُصِيبَةُ عَظُمَتْ وَلَمَّا تُعْظَمُ
 خَبِرَ عَلِمْنَا كُلُّنَا بِمَكَانِهِ وَكَأَنَّا فِي حَالِنَا لَمْ نَعْلَمُ

اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ يَا بَدِيعَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ تَسْأَلُكَ أَنْ تُوفِّقَنَا لِمَا فِيهِ
 صَلَاحٌ دِينِنَا وَدُنْيَانَا وَأَحْسِنْ عَاقِبَتَنَا وَأَكْرِمْ مَثْوَانَا وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ
 الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
 وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

وقال رحمه الله واعلم أن الله تبارك وتعالى خلق لِلْجَنَّةِ أَهْلًا وللنار خلقاً
 وَهُمْ مَعَ السَّاعَاتِ رَاجِلُونَ وَمَعَ الْأَنْفَاسِ ظَاعِنُونَ إِلَى دَارِ الْبَلَى وَمُعَسْكَرِ الْمَوْتِ
 وَمُسْتَقَرِّ الْأَرْوَاحِ ، وَكُلُّ مُطْلَعٍ عَلَى مَكَانِهِ الَّذِي سَيَصِيرُ إِلَيْهِ ، وَمُشْرِفٌ عَلَى
 مَنْزِلِهِ الَّذِي يَنْزِلُ بِهِ ، وَبِذَلِكَ يَكُونُ نَعِيمٌ أَوْ عَذَابٌ ، وَهَكَذَا يَرْحَلُونَ وَيَنْتَقِلُونَ
 إِلَى أَنْ يَفْرَغَ الْعَدَدُ الَّذِي قَدَّرَهُ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا .

وَاعْلَمْ أَنَّ كُلَّ مَيِّتٍ مَاتَ فَقَدْ قَامَتْ قِيَامَتُهُ لَكِنَّهَا قِيَامَةٌ صُغْرَى ، وَأَمَّا
 الْقِيَامَةُ الْكُبْرَى فَهِيَ الَّتِي تُعَمُّ الْخَلْقَ كُلَّهُمْ وَتَأْخُذُهُمْ أَخْذَةً وَاحِدَةً بَعْتَةً عَلَى
 غَفْلَةٍ مِنَ الْخَلْقِ كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ لَا تَأْتِيَكُمْ إِلَّا بَعْتَةٌ ﴾ .

وذكر البخاري عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا تقوم

الساعة حتى تَقْتَبِلَ فِتْنَانِ عَظِيمَتَانِ تَكُونُ بَيْنَهُمَا مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ دَعَوَاهُمَا وَاحِدَةٌ ،
وحتى يُبْعَثَ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ قَرِيبٌ مِنْ ثَلَاثِينَ كُلٌّ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ،
وحتى يُقْبَضُ الْعِلْمُ ، وتكثرُ الزَّلَازِلُ ، وَيَتَقَارَبُ الزَّمَانُ ، وتظهرُ الْفِتْنُ ، ويكثرُ
الْهَرَجُ وهو القتل .

وحتى يَكْثُرَ فِيهِمُ الْمَالُ فَيَقْبِضُ حَتَّى يَهْمَ رَبُّ الْمَالِ مَنْ يَقْبَلُ صَدَقَتَهُ ،
وحتى يَعْرِضُهُ فَيَقُولَ الَّذِي يَعْرِضُهُ عَلَيْهِ لَا أَرَبَ لِي فِيهِ ، وَحَتَّى يَتَطَاوَلَ النَّاسُ
فِي الْبُئْيَانِ ، وحتى يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ فَيَقُولَ يَا لَيْتَنِي مَكَانَهُ .

وحتى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا فَإِذَا طَلَعَتْ وَرَأَاهَا النَّاسُ آمَنُوا أَجْمَعُونَ
فَإِنَّكَ حِينَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا
خَيْرًا .

وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ نَشَرَ الرَّجُلَانِ ثَوْبَهُمَا بَيْنَهُمَا فَلَا يَتَبَايَعَانِهِ ، وَلَا
يَطْلُبَايَاهُ .

وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ انْصَرَفَ الرَّجُلُ بِلَبَنِ لَقَحْتِهِ فَلَا يَطْعُمُهُ .

وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَهُوَ يَلُوطُ حَوْضَهُ فَلَا يَسْقِي فِيهِ .

وَلَتَقُومَنَّ وَقَدْ رَفَعَ أَكْلَتَهُ إِلَى فِيهِ فَلَا يَطْعُمُهَا .

وبعد ما تَمُوتُ الْخَلْقُ يُنْزِلُ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا مَطَرًا تَنْبُتُ مِنْهُ الْأَجْسَامُ ،
وَتُخَيَّا بِهِ الرُّفَاتُ مِنَ الْعِظَامِ وَتُسْتَعْدُّ فِيهِ لِقَبُولِ الْأَرْوَاحِ عِنْدَ النَّفْخَةِ الثَّانِيَةِ .

قال الله جل وعلا وتقدس : ﴿ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ
يَنْظُرُونَ ﴾ .

وقال تبارك وتعالى : ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴾

وقال عَزَّ من قَائِلٍ : ﴿ وَنُفَخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ﴾ .

وقال وهو أَصَدُّقُ الْقَائِلِينَ : ﴿ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ ﴾ .

وقال جل وعلا : ﴿ خَشَعُوا أَبْصَارَهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِي يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴾ .

عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال الله تبارك وتعالى كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُكَذِّبَنِي وَشَتَمَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَشْتِمَنِي .

أَمَّا تَكْذِيبُهُ أَيَّامِي فَقَوْلُهُ لَا أُعِيدُهُ كَمَا بَدَأْتُهُ وَلَيْسَ آخِرُ الْخَلْقِ بِأَعَزَّ عَلَيَّ مِنْ أَوَّلِهِ وَأَمَّا شَتْمُهُ أَيَّامِي فَقَوْلُهُ اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا وَأَنَا اللَّهُ أَحَدٌ صَمَدٌ لَمْ أَلِدْ وَلَمْ أُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لِي كُفُوًا أَحَدٌ .

شِعْرًا :

أَيَا ابْنَ آدَمَ وَالْآلَاءِ سَابِغَةً	وَمُزَنَةَ الْجُودِ لَا تُنْفَكُ عَنْ دِيمِ
هَلْ أَنتَ ذَاكِرٌ مَا أُورِيتَ مِنْ حَسَنِ	وَشَاكِرٌ كُلِّ مَا حُوِّلَتْ مِنْ نِعَمِ
بَرَكَ بَارِي هَذَا الْخَلْقِ مِنْ عَدَمِ	بَحْتٍ وَلَوْلَاهُ لَمْ تَخْرُجْ مِنَ الْعَدَمِ
أُنْشَاكَ مِنْ حَمَاءٍ وَلَا حَرَكَ بِهِ	فَجِئْتَ مُنْتَصِبًا تَمْشِي عَلَى قَدَمِ
مُكَمَّلِ الْأَدَوَاتِ آيَةً عَجَبًا	مُوقِرَ الْعَقْلِ مِنْ حِطِّ وَمِنْ فِهْمِ
تَرَى وَتَسْمَعُ كُلًّا قَدْ حُيِّتَ بِهِ	فَضْلًا وَتَنْطِقُ بِالتَّيْسِينَ وَالْكَلِمِ
هَذَاكَ بِالْعِلْمِ سُبُلَ الصَّبَالِحِينَ لَهُ	وَكُنْتَ مِنْ غَمَرَاتِ الْجَهْلِ فِي ظُلَمِ
مَاذَا عَلَيْكَ لَهُ مِنْ نِعْمَةٍ غَمَرَتْ	كُلَّ الْجِهَاتِ وَلَمْ تَبْرَحْ وَلَمْ تَرِمِ

غَرَاءُ كَالشَّمْسِ قَدْ أُلْقَتْ أَشْعَتُهَا حَتَّى لَيُبْصِرَهَا عَلَيْكَ كُلُّ عَمِي
فَاشْكُرْ وَلَسْتَ مُطِيقًا شُكْرَهَا أَبَدًا وَلَوْ جَهَدْتَ فَسَدَّ وَيكَ وَالتَّزِمِ
رِزْقٍ وَأَمْنٍ وَإِيمَانٍ وَعَافِيَةٍ مَتَى تَقُومُ بِشُكْرِ هَذِهِ النِّعَمِ

اللَّهُمَّ يَا مَنْ لَا تَضُرُّهُ الْمَعْصِيَةُ وَلَا تَنْفَعُهُ الطَّاعَةُ أَيْقُظْنَا مِنْ نَوْمِ الْعَفْلَةِ
وَنَبِّهْنَا لَاغْتِنَامِ أَوْقَاتِ الْمُهِلَةِ وَوَقِّفْنَا لِمَصَالِحِنَا وَاعْصِمْنَا مِنْ قَبَائِحِنَا وَذُنُوبِنَا وَلَا
تَوَاحِدْنَا بِمَا انْطَوَتْ عَلَيْهِ ضَمَائِرُنَا وَاكْنِثَتْ سَرَائِرُنَا مِنْ أَنْوَاعِ الْقَبَائِحِ
وَالْمَعَايِبِ الَّتِي تَعْلَمُهَا مِنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ
وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
أَجْمَعِينَ .

(فَصْل)

وقال رحمه الله فيالله كم من مُجَرِّرٍ ذَلِيلٍ إِعْجَابِهِ ، مُتَطَاوِلٍ عَلَى أَصْحَابِهِ ،
مُتَعَاضِمٍ عَلَى أَقْرَانِهِ وَأَثَرِيهِ ، تُجْمَعُ لَهُ الْأُمَانِي وَتُرْتَاخُ لَهُ الْعَوَانِي إِنْ بُصِّرَ
لَا يَسْتَبْصِرُ ، وَإِنْ أُمِرَ لَا يَأْتِمِرُ ، وَإِنْ زُجِرَ لَا يَنْزَجِرُ ، وَيَفْرَحُ ، وَيَمْرَحُ ،
وَيَبْئِثُ مِنْ دُنْيَاهُ مِثْلَ مَا أَصْبَحَ ، قَدْ أَبْدَأَ فِي أَمْرِهِ وَأَعَادَ ، وَأَحْكَمَ غِيَّهُ وَضَلَّالَهُ
فَأَجَادَ وَأَشَادَ مِنْ أَمَلِهِ مَا أَشَادَ .

حَتَّى إِذَا نَالَ مُرَادَهُ أَوْ كَاذَ ، صَاحَتْ بِهِ الْمَنِيَّةُ صَيِّحَةُ الْعَضْبَانِ وَصَدَمَتُهُ
صَدَمَةُ اللَّهْفَانِ ، فَهَدَّتْ أَرْكَانَهُ ، وَكَسَرَتْ أَغْصَانَهُ ، وَفَرَّقَتْ أُنْصَارَهُ
وَأَعْوَانَهُ ، فَأَصْبَحَ ، قَدْ بَاعَ النَّفْسَ بِالْذُّونِ وَمَضَى يُعْضُ بَنَانُهُ الْمَعْبُونِ وَلَمْ يَرْخُ
بَنَائِلَ وَلَا حَصَلَ عَلَى طَائِلِ .

فِيَاللَّهِ كَمْ هَنَالِكَ مِنْ مَلِكٍ جَبَّارٍ طَوِيلِ النَّجَادِ رَفِيعِ الْعِمَادِ عَظِيمِ الْأَجْنَادِ
كَثِيرِ الْأُمْدَادِ ، قَدْ مَلَكَ الْبِلَادَ ، وَقَهَرَ الْعِبَادَ ، وَوَصَلَ مِنْ دُنْيَاهُ إِلَى كَثِيرٍ مِمَّا
أَرَادَ .

قَعَدَ وَنَهَضَ وَأَبْرَمَ وَتَقَضَّ وَجَعَلَ أَمْرُهُ الْمُفْتَرَضُ ، وَطالما حَرَقَ وَهَدَمَ
وَكَسَرَ ، وَحَطَّمْ وَزَلْزَلَ وَدَمَدَمَ ، وَاسْتَرْجِمَ فَلَمْ يَرْحَمْ وَمَضَى عَلَى مَا شَاءَ مِنْ
رَأْيِهِ وَصَمَّمَ .

بَنَى المَدَائِنَ وَالْحُصُونِ وَأَكْثَرَ مِنْ مَالِهِ الْمُخْزُونِ وَاسْتَعَدَّ فِي رَأْيِهِ لِمَا قَدْ
يَكُونُ أَوْ لَا يَكُونُ حَتَّى إِذَا اسْتَحْكَمَتْ لَهُ الْأُمُورُ ، وَأَطَالَ الْفَرَحَ وَالسُّرُورَ ،
وَزَحَرَ الْفُلُلَ وَالْقُصُورَ ، وَظَنَّ أَنَّهُ قَدْ سَاعَدَهُ فِيمَا بَقِيَ مِنْ أَمَلِهِ الْمَقْدُورِ ،
قَلَبَتْ لَهُ الدُّنْيَا ظَهَرَ الْمَجَنِّ وَكَسَتْهُ مِنْ تَحْطِئِهَا وَمَصَائِبِهَا مَا أَجَنُّ وَأُذْهَلُّ
الْفِطْنِ ، وَسَقَتْهُ مِنْ كُرْبِهَا مَا يَسْكُرُ بِهِ وَيُجَنِّ .

نَظَرَتْ بِعَيْنِهَا الشُّوسَاءَ إِلَيْهِ ، وَقَبَضَتْ مَا كَانَ فِي يَدَيْهِ ، وَأَثَتْ بُنْيَانَهُ مِنْ
قَوَاعِدِهِ فَأَلْقَتْهُ عَلَيْهِ ، فَأَصْبَحَ وَقَدْ هُدِمَ ذَلِكَ الْبُنْيَانُ ، وَسَقَطَ ذَلِكَ الْإِيْوَانُ ،
وَتَبَدَّدَتْ تِلْكَ الْمُقَاتِلَةُ وَالْفُرْسَانُ ، وَتَفَرَّقُوا شَذَرَ مَذَرَ بِكُلِّ مَكَانٍ ، وَأَصْبَحَ كُلُّ
مَا كَانَ كَأَنَّهُ مَا كَانَ .

وَقِيلَ مَلِكٌ فِي سَالِفِ الزَّمَانِ مَلِكٌ يُقَالُ لَهُ فُلَانٌ بَنُ فُلَانٍ ، وَلَمْ يَحْصُلْ عَلَى
شَيْءٍ مِمَّا مَلَكَ مِنَ الْبِلَادِ وَلَا مَا أَدَّخَرَ مِنَ الْمَالِ وَأَعَدَّ مِنَ الْعَتَادِ إِلَّا عَلَى خُنُوطٍ
وَكَفَنٍ ، وَخُفْرَةٍ ضَيِّقَةِ الْعَطَنِ يُحْتَبَسُ فِيهَا وَيُرْتَهَنُ ، بِكُلِّ مَا عَمِلَ مِنْ قَبِيحٍ أَوْ
حَسَنٍ .

فَمَا تَزَوَّدَ مِمَّا كَانَ يَجْمَعُهُ سِوَى خُنُوطٍ غَدَاةِ الْبَيْنِ فِي خِرْقٍ
وَعَيْرِ نَفْحَةٍ أَغْوَادٍ تُشَبُّ لَهُ وَقَلُّ ذَلِكَ مِنْ زَادٍ لِمَنْطَلِقِ

آخر :

أَبَادَ ذَالْمَوْتَ أُمْلَاكًا وَمَا مَلَكَوْا وَدَارَ مُسْتَعْقِبًا عَلَيْهِمُ الْفَلَكُ
رَمَى بِهِمْ حَيْثُ لَا قِيْعَانَ تُمْسِكُهُمْ وَلَا مَرَارًا بِهَا الْمَرْمِيُّ يَمْتَسِكُ

هَوَتْ هَوًى ثَقِيلَ الصَّخْرِ أَثْمُهُمْ
غَدَتْ رُؤُسُهُمْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ
يَا بَطْشَةً مِنْ حَكِيمٍ مَا بِهَا مَهْلٌ
جُرُّوا مِنَ اللَّهِوِ مَلَاى مِنْ أَعْنَتِهِمْ
حُطُّوا بِدَارِ الْبَلَى فِي مَنْزِلٍ خَرَجَ
لَطَالَمَا نَقَضُوا مُلْكَاً وَمَا هَدُمُوا
مَرُّوا وَمَا بَلَّغُوا كُلِّ الَّذِي طَلَبُوا
أَضْحَاهُمْ الْيَوْمَ صَرَفَ الدَّهْرِ إِذْ هَلَكُوا
فَلَا حَسِيْسَ وَلَا رِكْزَ وَلَا حَرَكَ
وَزُلْزَلَتْ بِهِمِ الْأَطْبَاقُ وَالْدَّرَكُ
وَغَضِبَتْ مِنْ عَزِيزٍ مَا بِهَا دَرَكُ
حَتَّى إِذَا مَا رَأَوْا نَحِيلَ الرَّدَى بَرَكُوا
وَلَيْتَهُمْ وَيَحْتَهُمْ فِينَهُ لَوْ تُرْكُوا
عِزّاً وَمَا هَتَكُوا سِتْراً وَمَا فَتَكُوا
وَلَا قَضَوْا وَطْراً مِنْ كُلِّ مَا تَرَكُوا
كَمَا أَضَلَّهُمْ بِالْأَمْسِ إِذْ مَلَكُوا

اللهم اَنْتَ تَعْلَمُ سِرَّنَا وَعَلَانِيَتَنَا وَتَسْمَعُ كَلَامَنَا وَتَرَى مَكَانَنَا لَا يَخْفَى
عَلَيْكَ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِنَا نَحْنُ الْبُؤْسَاءُ الْفُقَرَاءُ إِلَيْكَ الْمُسْتَغِيثُونَ الْمُسْتَجِيرُونَ بِكَ
نَسْأَلُكَ أَنْ تُقَيِّضَ لِدِينِكَ مَنْ يَنْصُرُهُ وَيُزِيلُ مَا حَدَثَ مِنَ الْبِدْعِ وَالْمُنْكَرَاتِ
وَيُقِيمَ عِلْمَ الْجِهَادِ وَيَقْمَعَ أَهْلَ الزَّيْغِ وَالْكَفْرِ وَالْعِنَادِ وَنَسْأَلُكَ أَنْ تُغْفِرَ لَنَا
وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْل)

وفي بعض الخطبِ المَرْوِيَةِ أَيُّهَا النَّاسُ إِنِ الْأَمَالَ تُطَوَّى وَالْأَعْمَارُ تَفْنَى
وَالْأَبْدَانُ تَحْتَ الثَّرَابِ تَبْلَى وَإِنَّ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ يَتَرَاكُضَانِ كَتَرَاكُضِ الْبَرِيدِ ،
وَيُقَرَّبَانِ كُلُّ بَعِيدٍ وَيُبْلِيَانِ كُلُّ جَدِيدٍ .

وفي ذَلِكَ عِبَادَ اللَّهِ مَا يُلْهِى عَنِ الشَّهَوَاتِ ، وَيُسَلِّي عَنِ اللَّذَاتِ ، وَيُرْغِبُ
فِي الْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ .

وَحُطِّبَ آخِرُ فَقَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَى الدُّنْيَا الْفَنَاءَ وَعَلَى الْآخِرَةِ

البَقَاءَ ، فلا فَنَاءَ لما كَتَبَ اللهُ عليه البَقَاءَ ، ولا بَقَاءَ لِمَا كَتَبَ اللهُ عليه الفَنَاءَ ،
فلا يَغُرُّكُمْ شَاهِدُ الدُّنْيَا عَنْ غَائِبِ الآخِرَةِ ، وافْهَرُوا طُولَ الأَمَلِ بِقَصْرِ
الأَجَلِ .

وقال بَعْضُ العلماء : لا ثَبْتُ على غير وَصِيَّةٍ ، وإن كُنْتُ مِنْ جِسْمِكَ في
صِحَّةٍ ، وَمِنْ عُمُرِكَ في فُسْحَةٍ ، فلا تَأْمِنْ مِنْ هُجُومِ هَادِمِ اللذاتِ ومُفْرِقِ
الجماعات .

وقال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ما مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَهُوَ ضَعِيفٌ ،
وما لَهُ عَارِيَّةٌ ، فالضَّعِيفُ مُرْتَحِلٌ والعَارِيَّةُ مُرْدُودَةٌ .

وقال أحدُ الحُكَمَاءِ : لَيْسَ لِلدِّينِ مِنْ عَوَظٍ ، وَلَا مِنَ الإِيْمَانِ بَدَلٌ ، ولا مِنْ
الجَسَدِ خَلِيفٌ ، وَمِنْ كَانَتْ مَطِيئَتُهُ اللَّيْلُ والنَّهَارُ ، فَإِنَّهُ يُسَارُ بِهِ وَإِنْ لَمْ يَسِيرْ .

وقال آخَرُ : أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ سِيَهَامَ المَوْتِ قَدْ فُوقَتْ إِلَيْكُمْ فانظُرُوا ، وَحِبَالَةُ
الأَمَلِ قَدْ نُصِبَتْ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ فاحذروها وَفِتْنُ الدُّنْيَا قَدْ أَحَاطَتْ بِكُمْ مِنْ كُلِّ
جَانِبٍ فاتقوها .

ولا تَعْتَرُوا بِمَا أَنْتُمْ فِيهِ مِنْ حَسَنِ الحَالِ فَإِنَّهُ إِلَى زَوَالٍ ، وَمُقِيمُهُ إِلَى
ارْتِحَالٍ ، وَمُتَمَتِّدُهُ إِلَى ثَقُلُصٍ وَاضْمَحْلالٍ ، أَمَا تَسْمَعُونَ أَيُّهَا النَّاسُ لِمَا
تَوْعَظُونَ بِهِ ، أَمَا تَعْتَبِرُونَ بِمَا إِلَيْهِ تَنْظُرُونَ ، أَمَا تَفَكَّرُونَ فِيمَا عَنْهُ تَزُولُونَ وَفِيمَا
إِلَيْهِ تَرْجِعُونَ ، وعليه تقدمون .

أَيْنَ مَنْ تَقَدَّمَكُمْ وَكَانَ قَبْلَكُمْ مِمَّنْ أَمَّلَ أَمْلَكُمْ وَسَعَى سَعْيَكُمْ وَعَمِلَ
عَمَلَكُمْ ، أَيْنَ الَّذِينَ بَنَوْا المَدَائِنَ وَمَلَأُوا الحَزَائِنَ وَاسْتَعَدُّوا لما هُوَ عَنْدهم كَائِنٌ ،
أَيْنَ الَّذِينَ غَرَسُوا فِي رَوْضَةِ المُلْكِ وَنَظَّمُوا الأَمَالَ فِي سِلْكِ ، وَهَتَكُوا حُجُبَهَا
أَيَّما هَتَكَ وَكَاثُوا فِي ظَاهِرِ أَعْمَالِهِمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الزَّمانِ وَفِي شَكٍّ .

انظر إليهم كَيْفَ نَضَبَتْ تِلْكَ المِياه وَذَبَلَتْ مِنْهُمْ تِلْكَ الشِّفَاه وَتَكَسَّرَتْ
عند سُقُوطِهِمْ تِلْكَ الْوَجَنَات وَتَثَلَّمَتْ تِلْكَ الْجَبَاه وَتَغَيَّرَتْ تِلْكَ الْأَحْوال
وَانْكَمَشَتْ الْأَمال وَبَقِيَتْ شَاهِدَةً عَلَيْهِمْ تِلْكَ الرُّسُومُ وَالْأَطْلال .

رَفَعَتْ عَرْشَكَ فِي الدُّنْيَا وَتَهَتْ بِهِ	وَمَا بِهَا لِلْيَبِ تَرْفَعُ الْعُرْشُ
وَبِتُّ فِيهَا عَلَى فُرْشٍ مُلَيَّنَةٍ	وَلَوْ عَقَلْتُ لَمَا لَأَنْتَ لَكَ الْفُرْشُ
وَظَلْتُ تَسْعَى لِأَمَالٍ وَتَفْرِشُهَا	وَلِلْمَوَارِيثِ مَا تَسْعَى وَتَفْتَرِشُ
كَمْ كَانَ قَبْلَكَ مِنْ مَأْثُورٍ رَغْبَتِهِ	بِالْحَرْصِ ثُلُغُ جَنْبَاهُ وَتُنْتَهَشُ
يَمْسِي وَيُصْبِحُ فِي جِلْدٍ فِي ظَعْنٍ	يَضُمُّ هَذَا إِلَى هَذَا وَيَحْتَوِشُ
عَطْشَانَ لِلْمَالِ مُحَمَّاهُ جَوَانِحُهُ	أَلْقَى عَلَى صَدْرِهِ لِسَانَهُ الْعَطْشُ
حَتَّى إِذَا قِيلَ قَدْ تَمَّتْ مَطَالِبُهُ	وَطَافَ مِنْ حَوْلِهِ أَهْلُوهُ وَاحْتَوِشُوا
مَدَّتْ إِلَيْهِ يَدٌ لِلْمَوْتِ بَاطِشَةٌ	نَحْشَنَاءُ لَا دَهْشَ فِيهَا وَلَا رَعَشُ
فَقَصَّعَتْهُ وَقَدْ كَانَ ذَا جِيْدٍ	وَأَجْهَشْتُهُ وَلَمَّا يَذِرُ مَا الْحَهِشُ
فَبَاتَ مُسْتَلَبًا وَبَاتَ وَارِثُهُ	وَقَدْ تَعَطَّوْا بِذَلِكَ الْمَالِ وَافْتَرَشُوا
أَمَّا سَمِعْتَ بِأَمْلَاكِ مَضَوْا قَدْماً	شُمُّ الْأَنْوِفِ بِرُوضِ الْمَلِكِ قَدْ عَرَشُوا
إِنْ دُوفِعُوا دَفَعُوا أَوْ زُوِجُوا زَحَمُوا	أَوْ غُولِبُوا غَلِبُوا أَوْ بُوطِشُوا بَطِشُوا
جَاءَتْهُمْ أَوْ جُنُودُ اللَّهِ غَالِبَةٌ	كَتَائِبُ لِلْمَنَائِيَا كُلِّهَا حَبِشُ
فَضَعُضَعَتْ جَنَبَاتٍ عِزَّهُمْ وَرَمَتْ	مَنَازِلَهُمْ بِظُلَامٍ مَا بِهِ عَبِشُ
لَطَالَمَا أَكَلُوا وَطَالَ مَا شَرَبُوا	وَطَالَ مَا رَفَعُوا الْآجَامَ وَاعْتَرَشُوا
مَرُّوا وَلَا أَثَرَ مِنْهُمْ بِدَارِهِمْ	وَلَا حَسِيْسٍ وَلَا رِكَزٍ وَلَا وَقْشُ
قَدْ كَانَ لِلْقَوْمِ آمَالٌ مَبْسُطَةٌ	فَأَصْبَحُوا قَبْضُوا الْأَمَالِ وَانْكَشَمُوا

اللهم يَا مَنْ لَا تَضُرُّهُ الْمَعْصِيَةُ وَلَا تَنْفَعُهُ الطَّاعَةُ أَيْقِظْنَا مِنْ نَوْمِ الْغَفْلَةِ وَتُبِّهْنَا
لَاغْتِنَامِ أَوْقَاتِ الْمُهِلَةِ وَوَفِّقْنَا لِمَصَالِحِنَا وَاعْصِمْنَا مِنْ قَبَائِحِنَا وَلَا تَوَاجِدْنَا بِمَا

انطوت عليه ضمائرنا وأكنته سرائرنا من أنواع القبائح والمعائب التي تعلمها منا ، وامنن علينا يامولانا بتوبة تمحو بها عنا كل ذنب واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

(فَصْل)

دَخَلَ أَنَسٌ عَلَى الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ فِي الْيَوْمِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ ، فَقَالَ مَرْحَباً بِكُمْ وَأَهلاً وَحَيَّاهُ اللَّهُ بِالسَّلَامِ ، وَأَحْلُنَا وَإِيَّاكُمْ دَارَ الْمَقَامِ هَذِهِ عَلَانِيَةً حَسَنَةً إِنْ صَدَقْتُمْ وَصَبَرْتُمْ فَلَا يَكُنْ حَظُّكُمْ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ أَنْ تَسْمَعُوهُ بِهَذِهِ الْأَذَانِ ، وَتُخْرِجُوهُ مِنْ هَذِهِ الْأَفْوَاهِ .

فَإِنْ مَنْ رَأَى مُحَمَّدًا ﷺ رَأَاهُ غَادِيًا وَرَائِحًا لَمْ يَضَعْ لَبَنَةً وَلَا قَصَبَةً عَلَى قَصَبَةٍ ، وَلَكِنْ رَفَعَ لَهُ عِلْمًا فَشَمَّرَ إِلَيْهِ الْوَحَى الْوَحَى « أَيَّ بَادِرُوا » وَالنَّجَا النَّجَا عِلَامٌ تُعْرَجُونَ .

إِرْتَبْتُمْ وَرَبَّ الْكَعْبَةِ كَأَنَّكُمْ وَالْأَمْرَ مَعَ رَحِمَ اللَّهِ أَمْرًا جَعَلَ الْعَيْشَ عَيْشًا وَاجِدًا ، فَأَكَلَ كِسْرَةً وَلَبَسَ خَلْقًا ، وَلَصِقَ بِالْأَرْضِ وَاجْتَهَدَ فِي الْعِبَادَةِ ، وَبَكَى عَلَى الْخَطِيئَةِ ، وَفَرَّ مِنَ الْعُقُوبَةِ ، وَطَلَبَ الرَّحْمَةَ حَتَّى يَأْتِيَهُ أَجَلُهُ وَهُوَ عَلَى ذَلِكَ .

وَقَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ الرَّاهِدِيُّ خَرَجْنَا فِي جَنَازَةِ الْكُوفَةِ ، وَخَرَجَ فِيهَا دَاوُدُ الطَّائِي فَتَكَلَّمَ ، فَقَالَ مَنْ خَافَ الْوَعِيدَ قَصُرَ عَلَيْهِ الْبَعِيدُ ، وَمَنْ طَالَ أَمَلُهُ ضَعُفَ عَمَلُهُ ، وَكُلُّ مَا هُوَ آتٍ قَرِيبٌ .

وَاعْلَمْ يَا أَخِي أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ شَعَلَكَ عَنْ اللَّهِ فَهُوَ عَلَيْكَ مُشَوُّومٌ وَاعْلَمْ أَنَّ

أَهْلَ الْقُبُورِ إِنَّمَا يَنْدُمُونَ عَلَى مَا يَتْرَكُونَ ، وَيَفْرَحُونَ بِمَا يُقَدِّمُونَ فَمَا عَلَيْهِ أَهْلُ الْقُبُورِ يَنْدُمُونَ أَهْلَ الدُّنْيَا عَلَيْهِ يَقْتَتِلُونَ ، وَفِيهِ يَتَنَافَسُونَ وَعَلَيْهِ يَتَرَاخَمُونَ .

وَقَالَ آخِرُ وَبَيْحِ ابْنِ آدَمَ إِنَّ أَمَامَهُ ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ مَوْتُ كَرِيهُهُ الْمَذَاقِ وَنَارُ أَلِيمَةِ الْعَذَابِ وَجَنَّةُ عَظِيمَةِ الثَّوَابِ .

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ التَّوَدُّدُ خَيْرٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا فِي أَمْرِ الْآخِرَةِ وَالتَّوَدُّدُ الثَّابِتُ وَالتَّأْنِي وَالرِّفْقُ فِي الْأُمُورِ .

وَكَانَ الْحَسَنُ رَحِمَهُ اللَّهُ يَقُولُ فِي مَوْعِظَتِهِ الْمُبَادَرَةَ فَإِنَّمَا هِيَ الْأَنْفَاسُ لَوْ حُبِسَتْ انْقَطَعَتْ عَنْكُمْ الْأَعْمَالُ الَّتِي تَتَقَرَّبُونَ بِهَا إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ رَحِمَ اللَّهُ امْرَأً نَظَرَ لِنَفْسِهِ وَبَكَى عَلَى ذَنْبِهِ ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ : ﴿ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَذَابًا ﴾ يَعْنِي بِالْأَنْفَاسِ آخِرَ خُرُوجِ نَفْسِكَ وَفِرَاقَ أَهْلِكَ .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ اغْتَنِمِ تَنَفُّسَ الْأَجَلِ وَإِمَّا كَانَ الْعَمَلُ وَاقْتِطِعْ ذِكْرَ الْمَعَازِيرِ وَالْعِلَلِ فَإِنَّكَ فِي أَجَلٍ مَحْدُودٍ وَنَفْسٌ مَعْدُودٌ وَعُمُرٌ غَيْرُ مَمْدُودٍ .

وَقَالَ آخِرُ إِبْرَاهِيمَ عَمَلُ الْمُرْتَجِلِ فَإِنَّ حَادِيَ الْمَوْتِ يَحْدُوكَ لَيَوْمَ لَيْسَ يَعْدُوكَ فَيَطْرَحُكَ فِي حُفْرَةٍ لَا يَخَافُكَ فِيهَا أَحَدٌ وَلَا يَرْجُوكَ .

وَكَتَبَ رَجُلٌ إِلَى بَعْضِ إِخْوَاتِهِ أَمَا بَعْدُ فَإِنَّ الدُّنْيَا حُلْمٌ وَالْآخِرَةُ يَقْظَةٌ وَالْمَوْتُ مُتَوَسِّطٌ بَيْنَهُمَا وَنَحْنُ فِي أَضْعَافِ أَحْلَامٍ وَالسَّلَامُ .

وَكَتَبَ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ إِلَى أَخِي لَهُ سَلَامٌ عَلَيْكَ فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ أَمَا بَعْدُ فَإِنِّي مُحَذِّرُكَ مِنْ دَارِ مُنْقَلَبِكَ إِلَى دَارِ إِقَامَتِكَ وَجَزَاءِ أَعْمَالِكَ فَتَصِيرُ فِي بَاطِنِ الْأَرْضِ بَعْدَ ظَهْرِهَا .

فَيَأْتِيكَ مِنْكَرٌ وَكَثِيرٌ فَيَقْعِدَانِكَ فَيَنْتَهِرَانِكَ فَإِنْ يَكُنِ اللَّهُ مَعَكَ فَلَا فَاقَةَ وَلَا

حَاجَةٌ وَلَا بَأْسَ وَلَا وَخْشَةً وَإِنْ يَكُنْ غَيْرَ ذَلِكَ فَأَعَاذَنِي اللَّهُ وَإِيَّاكَ يَا أُخِي مِنْ
سُوءِ الْمَصْرَعِ وَضِيقِ الْمَضْجَعِ .

ثُمَّ تَبْلُغُكَ صِيْحَةُ النُّشُورِ وَتَفْخَةُ الصُّورِ وَقِيَامُ الْخَلَائِقِ لِفَصْلِ الْقَضَاءِ
وَامْتِلَأَتْ الْأَرْضُ بِأَهْلِهَا وَالسَّمَوَاتُ بِسُكَّانِهَا فَبَاحَتِ الْأَسْرَارُ ، وَسُعِّرَتِ النَّارُ
وَوُضِعَتِ الْمَوَازِينُ وَنُشِرَتِ الدَّوَابُّ ﴿ وَجِيَءٌ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ
بِالْحَقِّ ۝ .

فَكَمْ مِنْ مُفْتَضِّحٍ وَمَسْتُورٍ وَمُعَذِّبٍ وَمَرْحُومٍ وَكَمْ مِنْ هَالِكٍ وَنَاجٍ فَيَأْتِيَتْ
شِعْرِي مَا حَالِي وَحَالُكَ يَوْمَئِذٍ فَإِنَّ فِي هَذَا مَا هَدَمَ اللَّذَاتِ وَسَلَّى عَنْ
الشَّهَوَاتِ وَقَصَّرَ مِنَ الْأَمَلِ وَأَيَقَظُ النَّائِمَ وَتُبَّهَ الْغَافِلَ .

أَعَانَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ عَلَى هَذَا الْخَطَرِ الْعَظِيمِ وَأَوْقَعَ الدُّنْيَا مِنْ قَلْبِكَ وَقَلْبِي مَوْقِعَهَا
مِنْ قُلُوبِ الْمُتَّقِينَ فَإِنَّمَا نَحْنُ لَهُ وَبِهِ وَالسَّلَامُ .

وَأُنْشِدُ بَعْضَهُمْ :

مُرَادُكَ أَنْ يَتِمَّ لَكَ الْمُرَادُ	وَتَرْكُضُ فِي مَطَالِيكِ الْجِيَادِ
وَتَمْضِي فِي أَوَامِرِكَ اللَّيَالِي	فَلَا يُعْصِي هَوَاكَ وَلَا يَكَاذُ
لَقَدْ مَلَكَتْ مُضَلَاتُ الْأَمَانِي	قِيَادَكَ فَاغْتَدَيْتَ بِهَا ثِقَادُ
أَلَمْ تَسْمَعْ بِذِي أَمَلٍ بَعِيدٍ	وَأَمَالَ الْفَتَى مِنْهَا بَعَادُ
رَمَاهُ الْمَوْتُ فَانْقَبَضَتْ إِلَيْهِ	أَمَانِيهِ بِشَيْءٍ لَا يُرَادُ
وَيَلْقَاهُ بِإِثْرِ الْمَوْتِ يَوْمَ	تَمِيدُ لِهَوْلِهِ السَّبْعُ الشَّدَادُ
تُصَمُّ لَوْقِعِهِ الْأَذَانُ صَمًّا	وَيَنْطَلِقُ مِنْ زَلَّازِلِهِ الْجَمَادُ
فَكَمْ سَأَلَتْ هُنَالِكَ مِنْ دُمُوعٍ	يُغَيِّرُهُنَّ مِنْ دَمِهِ الْفُؤَادُ
وَكَمْ شَاهَتْ هُنَالِكَ مِنْ وُجُوهٍ	عَلَى صَفَحَاتِهَا طُلِيَّ الْجَدَادُ

وَمَاذَا الْكَرْبُ يُشْبِهُ مَا عَهِدْنَا وَأَنْتَى يُشْبِهُ الْبَحْرَ الثَّمَادُ
وَمَا الْأَسْمَاءُ تُعْطِيكَ اتِّفَاقاً عَلَى مَعْنَى يَتَمُّ لَكَ الْمَرَادُ
وَلَكِنْ رُبَّمَا كَانَ أَشْتَبَاهُ قَلِيلٌ لَا يُحَسُّ وَلَا يَكَادُ
يُسَمَّى الْبَحْرُ ذُو الْأَهْوَالِ بَحْراً وَبَحْراً مِثْلُهُ الْفَرَسُ الْجَوَادُ

اللَّهُمَّ أَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَوَفَّقْنَا لِلْقِيَامِ بِحَقِّكَ وَبَارِكْ لَنَا فِي الْحَلَالِ مِنْ رِزْقِكَ
وَلَا تُفْضَحْنَا بَيْنَ خَلْقِكَ يَا خَيْرَ مَنْ دَعَاكَ دَاعٍ وَأَفْضَلَ مَنْ رَجَاهُ رَاجٍ يَا قَاضِيَ
الْحَاجَاتِ وَمُجِيبَ الدَّعَوَاتِ هَبْ لَنَا مَا سَأَلْنَاهُ وَحَقِّقْ رَجَاءَنَا فِيمَا تَمَنَّيْنَاهُ يَا مَنْ
يَمْلِكُ خَوَائِجَ السَّائِلِينَ وَيَعْلَمُ مَا فِي ضَمَائِرِ الصَّامِتِينَ أَذِقْنَا بَرْدَ عَفْوِكَ وَحَلَاوَةَ
مَغْفِرَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْل)

قال عُمرُ بن الخطاب رضى الله عنه ، وَيْلٌ لِمَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا أُمْلَهُ ،
وَالْخَطَايَا عَمَلَهُ ، عَظِيمٌ بِطَنَتِهِ ، قَلِيلٌ فِطْنَتِهِ ، عَالِمٌ بِأَمْرِ دُنْيَاهُ ، جَاهِلٌ بِأَمْرِ
آخِرَتِهِ .

وقال العلاء بن زياد لِيُنْزَلَ أَحَدُكُمْ نَفْسُهُ أَنَّهُ قَدْ حَضَرَهُ الْمَوْتُ وَأَنَّهُ اسْتَقَالَ
رَبَّهُ فَأَقَالَهُ فَلْيَعْمَلْ بِطَاعَةِ اللَّهِ .

وقال آخرُ : عَجِبْتُ لِمَنْ يَحْزَنُ عَلَى نُقْصَانِ مَالِهِ وَلَا يَحْزَنُ عَلَى نُقْصَانِ
عُمره .

تَفَكَّرْ فِي نُقْصَانِ مَالِكَ دَائِماً وَتَغَفَّلْ عَنِ نُقْصَانِ دِينِكَ وَالْعُمُرِ
وقال آخرُ :

تَرَاهُ يَشْفُقُ مِنْ تَضْيِيعِ ذَرْهَمِهِ وَلَيْسَ يَشْفُقُ مِنْ دِينِ يَضْيِيعُهُ

وقال آخر :

مَالِي أَرَى النَّاسَ وَالْدُنْيَا مُؤَلَّيَّةٌ وَكُلُّ جَمْعٍ عَلَيْهَا سَوْفَ يَنْبَثِرُ
لَا يَشْعُرُونَ إِذَا مَا دِيْنُهُمْ يُقْصَوْنَ يَوْمًا وَإِنْ تُقْصَتْ دُنْيَاهُمْوَا شَعِرُوا

وقال بعضهم أيها الناس إنَّ لكم مَعَالِمَ تَسْتَبِقُونَ إِلَيْهَا ، وأنَّ لكم مَوَارِدَ تَرُدُّونَ عَلَيْهَا ، وإنَّ الجَدِيدَيْنِ يَسِيرَانِ بِكُمْ وإنَّ لم تَسِيرُوا ، وَيُسْرِعَانِ بِكُمْ وإنَّ لم تُسْرِعُوا ، وإنَّ قُصَارَاكُمْ المَوْتُ وإنَّ بَعْدَ الأَمَدِ .

فَرَحِمَ اللهُ إِمْرَأً أَضْمَرَ نَفْسَهُ لِلْسَّبَاقِ ، وَسَاقَهَا إِلَى الْعَايَةِ أَشَدَّ مَسَاقٍ وَاسْتَعَدَّ لِلْمَوْتِ قَبْلَ هُجُومِهِ وَأَخَذَ حِذْرَهُ مِنْهُ قَبْلَ قُدُومِهِ وَأَنْقَذَ دُمُوعَهُ عَلَى الْأَوْقَاتِ الَّتِي أَضَاعَهَا قَبْلَ أَنْ تَزُلَ بِهِ الْقَدَمُ وَيُؤْخَذَ بِمَا عِلْمٌ وَبِمَا لَمْ يَعْلَمْ .

وقال بعض الحكماء السَّعِيدُ مَنْ صَرَفَ اللهُ أَمَلَهُ إِلَى مَا يَبْقَى وَقَطَعَهُ عَمَّا يَفْنَى وَأَعَانَهُ فِي دَارِ الْفَنَاءِ عَلَى عِمَارَةِ دَارِ الْبَقَاءِ .

والويل الطَّوِيلُ وَالْحَسْرَةُ الَّتِي لَا تُزُولُ لِمَنْ أَعْرَضَ عَنِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَلَمْ يَنْتَهَى نَفْسُهُ عَنِ الْهَوَى .

وقال عيسى بن مريم عليه السلام عَجِبْتُ لِثَلَاثَةِ لِعَافِلٍ وَلَيْسَ بِمَغْفُورٍ عَنْهُ وَمُؤْمِّلٍ دُنْيَاهُ وَالْمَوْتُ يَطْلُبُهُ وَبَانٍ قَصْرًا وَالْقَبْرُ مَسْكَنُهُ .

رُوي أَنَّ رَجُلًا دَخَلَ عَلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَحِمَهُ اللهُ فَرَأَاهُ قَدْ تَغَيَّرَ لَوْنُهُ مِنْ كَثَرَةِ الْعِبَادَةِ وَالْخَوْفِ وَاسْتَحَالَتْ صِفَتُهُ فَجَعَلَ يَتَعَجَّبُ مِنْ تَغْيِيرِ لَوْنِهِ .

فَقَالَ لَهُ عُمَرُ يَا ابْنَ أَخِي وَمَا يُعْجِبُكَ مِنِّي فَكَيْفَ لَوْ رَأَيْتَنِي بَعْدَ دُخُولِ قَبْرِي بِثَلَاثِ لَيَالٍ وَقَدْ خَرَجَتِ الْحَدَقَتَانِ فَسَالَتَا عَلَى الْحَدِيدَيْنِ وَتَقَلَّصَتِ الشَّقَتَانِ عَنِ الْأَسْنَانِ وَخَرَجَ الصَّدِيدُ وَالْدُّودُ مِنَ الْمَنَاخِرِ وَالْفَمِ وَانْتَفَخَ الْبَطْنُ فَعَلَى الصُّدْرِ وَخَرَجَ الصَّلْبُ عَنِ الدُّبْرِ لَرَأَيْتَ إِذْ ذَاكَ مِنِّي أَعْجَبَ مَا رَأَيْتَ الْآنَ .

وأَعْلَمَ رَحْمَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ أَنَّهُ مَنْ تَصَوَّرَ هَذَا وَأَقَامَ هَذَا الْخِيَالَ
نَصَبَ عَيْنِيهِ وَتَفَكَّرَ فِي الْمَيِّتِ وَمَا يُؤُولُ وَيَرْجِعُ إِلَيْهِ .

ثُمَّ نَظَرَ فِيمَا يَقْدَمُ عَلَيْهِ وَعَلِمَ أَنَّ جِسْمَهُ النَّاعِمَ الْعَضَّ وَبَدَنَهُ اللَّيِّنَ الْمُتَعَاثِي
سَيُطْرَحُ وَيُذَبُّ فِي حُفْرَةٍ ضَيِّقَةٍ الْجَوَانِبِ تَقْطَعُ فِيهَا أَوْصَالُهُ وَتُغَيَّرُ فِيهَا أَحْوَالُهُ
ثُمَّ يَتَبَيَّنُ لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ مَالُهُ وَيُطْلَبُ بَعْدَ ذَلِكَ بِكُلِّ مَا عَمِلَهُ وَقَالَ لَمْ يَشْتَغِلْ بِمَيِّتٍ
بَالَهُ وَلَمْ يَنَلِكْ إِلَّا عَلَى نَفْسِهِ وَأُنْشَلُوا فِي ذَلِكَ :

لِمَنْ جَدْتُ أَبْصَرْتُهُ فَشَجَانِي	وَأَرْسَلَ فِي شَجْوِ الْهُمُومِ عَيْنَانِي
سَفَكْتُ عَلَيْهِ أَدْمُعِي فَسَقَيْتُهُ	كَمَا هُوَ مِنْ كَأْسِ الشُّجُونِ سَقَانِي
وَقَفْتُ بِهِ حَيْرَانَ وَقَفَّةَ هَائِمٍ	أَعَالِجُ قَلْبًا دَائِمَ الْخَفَقَانِ
وَمَا بِي مَنْ فِي الْقَبْرِ لَكِنْ رَأَيْتُهُ	عَلَى حَالَةٍ فِيهَا وَشَيْكَ أَرَانِي

آخر :

لِمَنْ الْأَقْبَرُ فِي تِلْكَ الرَّبِّي	مَلَأْتُ صَدْرِي شَجْوًا وَأَسَى
لِمَنْ الْأَوْجُهُ فِيهَا كَسَفْتُ	بَعْدَ حُسْنٍ وَجَمَالٍ وَضِيَا
لِمَنْ الْأَجْسَامُ فِيهَا بَلَيْتٍ	بَعْدَ زَهْوٍ وَشَبَابٍ وَائْتِشَا
وَمِنْ الْفُرْسَانُ فِيهَا قَدْ نَسُوا	رَوْعَةَ الْحَرْبِ بِرَوْعَاتِ الثَّرَا
وَرَمَوْا إِذْ هَتَفَ الْمَوْتُ بِهِمْ	بِسُيُوفِ الْهِنْدِ رَوْعًا وَالْقَنَا
وَمِنْ الْخُرْدُ فِيهَا شَدَمَا	فَتَكَّتْ قَبْلَ آسَادِ الشُّرَا
نَظَرَ الْمَوْتُ إِلَيْهَا فَقَدَتْ	تَنْفُرُ الْأَنْفُسُ مِنْهَا إِذْ تُرَى
لِمَنْ الْأَقْبَرُ فِي تِلْكَ الرَّبِّي	أَلْبَسْتُ جِسْمِي أَثْوَابَ الضَّنَا
يَا جُفُونَا أَرْسَلْتَ أَدْمُعَهَا	مَا بَدَأَ بَأْسٌ لَوْ أَرْسَلْتَ الدَّمَا
صَاحَ يَا صَاحَ وَنِيرَانُ الْجَوَى	عَلِقْتُ مِنِّي بِأَثْنَاءِ الْحَشَا
لَا تَظُنُّنْ بُكَائِي لَهُمُوا	لَيْسَ وَاللَّهِ لَهُمْ هَذَا الْبُكََا

إِنَّمَا أَتُوبُكَ لِنَفْسِي لَا لَهُمْ
هَامِدُ الْجَمْرَةِ مَوْهُونُ الْقَوَى
رَبِّ يَا رَبِّ يَا رَبَّ الْوَرَى
كَفَرَ الْإِحْسَانَ قَدَمًا وَبَعَى
مَا تَرَى فِي أَمْرِهِ يَا مَنْ تَرَى
لَيْسَ إِلَّا عَفْوُكَ الْمَرْجُوُّ أَوْ
وَعِيَاذًا بِكَ يَا مَوْلَايَ أَنْ
وَإِذَا أَسْلَمْتَهُ رَبِّ فَمَنْ
فَكَأَنِّي الْيَوْمَ فِيهِمْ أَوْ غَدًا
دَائِمُ الْحَسْرَةِ مَقْطُوعُ الْعُرَى
مَا تَرَى فِي عَبْدٍ سُوءٍ مَا تَرَى
وَطَعَى ثُمَّ طَعَى ثُمَّ طَعَى
كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ رَبُّ لَا يُرَى
دَفْعَةً تُنْزِلُهُ قَعَرَ لَطَى
يَلْتَوِي فِي يَدِهِ حَبْلُ الرَّجَا
يَقْصُدُ الْيَوْمَ لَهُ أَوْ يُرْتَجَى

اللهم اغفر لنا ما قَطَعَ قُلُوبَنَا عَنْ ذِكْرِكَ وَاغْفِرْ عَنْ تَقْصِيرِنَا فِي طَاعَتِكَ
وَشُكْرِكَ وَأَدِّمْ لَنَا لُزُومَ الطَّرِيقِ إِلَيْكَ وَهَبْ لَنَا نُورًا نَهْتَدِي بِهِ إِلَيْكَ وَاسْئَلْ بِنَا
سَبِيلَ أَهْلِ مَرْضَاتِكَ واقْطَعْ عَنَّا كُلَّ مَا يُبْعِدُنَا عَنْ سَبِيلِكَ وَيَسِّرْ لَنَا مَا يَسِّرُهُ
لِأَهْلِ مَحَبَّتِكَ وَأَيِّقِظْنَا مِنْ غَفْلَاتِنَا وَأَلْهِمْنَا رُشْدَنَا وَحَقِّقْ بِكَرَمِكَ قَصْدَنَا
وَاسْتُرْنَا فِي دُنْيَانَا وَآخِرَتِنَا وَاحْشُرْنَا فِي زُمْرَةِ الْمُتَّقِينَ وَالْحَقْنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ
وَإِغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْل)

اعلم وَفَقْنَا اللَّهَ وَإِيَّاكَ وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ أَنَّ تَقْصِيرَ الْأَمَلِ دَلِيلٌ عَلَى كَمَالِ الْعَقْلِ
فَسَبِّحْ الْعَاقِلُ تَقْصِيرَ آمَالِهِ فِي الدُّنْيَا وَالتَّقَرُّبُ إِلَى اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا بِصَالِحِ
الْأَعْمَالِ .

وَمَعْنَى تَقْصِيرِ الْأَمَلِ اسْتِشْعَارُ قُرْبِ الْمَوْتِ وَلِهَذَا قَالَ بَعْضُهُمْ قَصَرَ الْأَمَلِ
سَبَبٌ لِلزَّهْدِ لِأَنَّ مَنْ قَصَرَ أَمَلُهُ زَهَدَ ، وَيَتَوَلَّى مِنْ طَوْلِ الْأَمَلِ الْكَسَلُ عَنْ

الطَّاعَةِ وَالتَّسْوِيفُ بِالتَّوْبَةِ وَالرَّغْبَةُ فِي الدُّنْيَا وَالتَّسْيَانُ لِلْآخِرَةِ وَالتَّسَاهُلُ بِتَأْخِيرِ
قَضَاءِ الدُّيُونِ وَالْقَسْوَةُ فِي الْقَلْبِ .

وَقِيلَ مَنْ قَصُرَ أَمَلُهُ قَلَّ هَمُّهُ وَتَوَرَّ قَلْبُهُ .

لأنه إذا اسْتَحْضَرَ الموتَ اجْتَهَدَ فِي الطَّاعَةِ وَرَضَى بِالْقَلِيلِ وَقَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ
الْأَمَلُ مَذْمُومٌ إِلَّا لِلْعُلَمَاءِ فَلَوْلَا مَا جَعَلَ اللَّهُ فِيهِمْ مِنَ الْأَمَلِ لَمَّا أَلْفَوْا
وَلَا صَنَّفُوا .

وَفِي الْأَمَلِ سِرٌّ لَطِيفٌ جَعَلَهُ اللَّهُ لَوْلَاهُ لَمَّا تَهَنَّا أَحَدٌ بِعَيْشٍ وَلَا طَابَتْ نَفْسُهُ
أَنْ يَشْرَعَ بِعَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ الدُّنْيَا . قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِنَّمَا الْأَمَلُ رَحْمَةٌ مِنَ اللَّهِ لِأُمَّتِي
وَلَوْلَا الْأَمَلُ مَا أَرْضَعَتْ أُمٌّ وَلَدَهَا وَلَا غَرَسَ غَارِسٌ شَجَرًا . رَوَاهُ الْخَطِيبُ .

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَالْمَذْمُومُ مِنَ الْأَمَلِ الْاسْتِرْسَالُ فِيهِ وَعَدَمُ
الاسْتِعْدَادِ لِأَمْرِ الْآخِرَةِ فَمَنْ سَلِمَ مِنْ ذَلِكَ لَمْ يُكَلَّفْ بِإِزَالَتِهِ .

وَوَرَدَ فِي ذِمِّ الْاسْتِرْسَالِ فِي الْأَمَلِ حَدِيثُ أَنَسٍ رَفَعَهُ أَرْبَعَةٌ مِنَ الشُّقَّاءِ
جَمُودِ الْعَيْنِ وَقَسْوَةِ الْقَلْبِ وَطُولِ الْأَمَلِ وَالْجِرْصُ عَلَى الدُّنْيَا . رَوَاهُ الْبَزَارُ .

وَرَوَى عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ : « أَخُوفُ مَا أَخَافُ
عَلَيْكُمْ إِثْنَانِ طُولُ الْأَمَلِ وَاتِّبَاعُ الْهَوَى فَإِنَّ طُولَ الْأَمَلِ يَنْسِي الْآخِرَةَ وَاتِّبَاعُ
الْهَوَى يَصُدُّ عَنِ الْحَقِّ » .

وَرَوَى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : « صَلَاحُ هَذِهِ الْأُمَّةِ بِالزُّهْدِ وَالْيَقِينِ ،
وَهَلَاكُ آخِرِهَا بِالْبُخْلِ وَطُولِ الْأَمَلِ » وَقِيلَ إِنْ طَوَّلَ الْأَمَلُ حَبَابٌ عَلَى
الْقَلْبِ يَمْنَعُهُ مِنْ رُؤْيَا قُرْبِ الْمَوْتِ وَمُشَاهَدَتِهِ وَوَقَرٌ فِي الْأُذُنِ يَمْنَعُ مِنْ سَمَاعِ
وَجِبَتِهِ وَدَوِيٍّ وَقَعْتِهِ وَبِقَدْرِ مَا يُرْفَعُ لَكَ مِنَ الْحَبَابِ تَرَى وَبِقَدْرِ مَا تُخَفَّفُ
عَنْ أَذُنِكَ مِنَ الْوَقْرِ تَسْتَمِعُ .

فَانْظُرْ رَحْمَكَ اللَّهُ نَظَرَ مَنْ رُفِعَ عَنْهُ الْحِجَابُ وَفُتِحَ لَهُ الْبَابُ وَاسْتَمِعَ
سَمَاعَ مَنْ أُرِيْلَ وَقُرْهُ وَخُوطِبَ سِرُّهُ وَبَادِرَ قَبْلِ أَنْ يُبَادَرَ بِكَ وَيُنْزَلَ عَلَيْكَ
وَيَنْفُذَ حُكْمَ اللَّهِ فِيكَ فَتُطَوَّى صَحِيفَةُ عَمَلِكَ وَيُخْتَمَ عَلَى مَا فِي يَدَيْكَ .

وَيَقَالُ لَكَ اجْنِ مَا غَرَسْتَ وَاحْصُدْ مَا زَرَعْتَ وَاقرأ كِتَابَكَ الَّذِي كَتَبْتَ
كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا وَبِرَبِّكَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى رَقِيبًا ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأَمَلَ
يُكْسَلُ عَنِ الْعَمَلِ وَيُورِثُ التَّرَاخِي وَالتَّوَانِي ، وَيَعْقِبُهُ التَّشَاغُلُ وَالتَّقَاعُسُ ،
وَيُخْلِدُ إِلَى الْأَرْضِ وَيَمِيلُ إِلَى الْهَوَى .

وَهَذَا أَمْرٌ قَدْ شُوْهِدَ بِالْعَيَانِ فَلَا يَحْتَاجُ إِلَى بَيَانٍ ، وَلَا يُطَالَبُ صَاحِبُهُ
بِزُهَانٍ ، كَمَا أَنَّ قَصَرَ الْأَمَلِ يَنْبَغُ عَلَى الْجِدِّ وَالْاجْتِهَادِ فِي الْعَمَلِ ، وَيُنْجِلُ
عَلَى الْمُبَادَرَةِ ، وَيَحْتَثُّ عَلَى الْمُسَابَقَةِ قَالَ :

وَسَأَضْرِبُ لَكَ فِي ذَلِكَ مَثَلًا ، مِثْلُ مَلِكٍ مِنَ الْمُلُوكِ كَتَبَ إِلَى رَجُلٍ يَقُولُ
لَهُ إِفْعَلْ كَذَا وَكَذَا ، وَانْظُرْ فِي كَذَا وَكَذَا ، وَأَصْلِحْ كَذَا وَكَذَا ، وَانْتَظِرْ
رَسُولِي فَلَنَأْتِيَنِي سَابِعُهُ إِلَيْكَ لِیَأْتِيَنِي بِكَ .

وَإِيَّاكَ ثُمَّ إِيَّاكَ أَنْ يَأْتِيَكَ إِلَّا وَقَدْ فَرَغْتَ مِنْ أَشْعَالِكَ وَتَخَلَّصْتَ مِنْ
أَعْمَالِكَ ، وَنَظَرْتَ فِي زَادِكَ ، وَأَخَذْتَ مَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي سَفَرِكَ .

وَالَا أَحَلَلْتُ بِكَ عِقَابِي وَأَنْزَلْتُ عَلَيْكَ سَخَطِي ، وَأَمَرْتُهُ يَأْتِيَنِي بِكَ مَعْلُولَةً
يَدَاكَ مُقَيَّدَةً رِجْلَاكَ ، مُشَمَّتًا بِكَ أَعْدَاكَ ، مَسْحُوبًا عَلَى وَجْهِكَ إِلَى دَارِ
خِزْيٍ وَهَوَانٍ وَمَا أَعْدَدْتُهُ لِمَنْ عَصَانِي .

وَإِنْ وَجَدَكَ قَدْ فَرَغْتَ مِنْ أَعْمَالِكَ وَقَضَيْتَ جَمِيعَ أَشْعَالِكَ أَتَى بِكَ
مُكْرَمًا مَرْفَعًا مَرْفَعًا إِلَى دَارِ رِضْوَانِي وَكَرَامَتِي وَمَا أَعْدَدْتُهُ لِمَنْ امْتَثَلَ أَمْرِي
وَعَمِلَ بِطَاعَتِي .

وَاحْذَرْ أَنْ يَخْدَعَكَ فُلَانٌ أَوْ فُلَانَةٌ عَنْ امْتِثَالِ أَمْرِي وَالِاشْتِغَالِ بِعَمَلِي ،
وَكَتَبَ إِلَى رَجُلٍ آخَرَ بِمِثْلِ ذَلِكَ الْكِتَابِ .

فَأَمَّا الرَّجُلُ الْأَوَّلُ فَقَالَ هَذَا كِتَابُ الْمَلِكِ يَأْمُرُنِي فِيهِ بِكَذَا وَكَذَا ، وَذَكَرَ
لِي أَنْ رَسُولُهُ يَأْتِينِي لِيَحْمِلَنِي إِلَيْهِ وَأَنَا لَا أَمْضِي إِلَيْهِ حَتَّى يَأْتِينِي رَسُولُهُ ، وَلَعَلَّ
رَسُولَهُ لَا يَأْتِينِي إِلَّا إِلَى خَمْسِينَ سَنَةً أَوْ أَكْثَرَ فَأَنَا عَلَى مُهَلَّةٍ .

وَسَأَلْتُ فِيمَا أَمَرَنِي بِهِ ، وَلَمْ يَقَعْ الْكِتَابُ مِنْهُ بِذَلِكَ الْمَوْقِعِ ، وَلَمْ يُنْزِلْهُ مِنْ
نَفْسِهِ بِتِلْكَ الْمَنْزِلَةِ ، وَقَالَ وَاللَّهِ لَقَدْ أَتَى كِتَابُهُ إِلَى خَلْقٍ كَثِيرٍ بِجِثْلٍ مَا أَتَانِي ، وَلَمْ
يَأْتِهِمْ رَسُولُهُ إِلَّا بَعْدَ السِّنِينَ الْكَثِيرَةِ ، وَالْمُدَدِ الطَّوِيلَةِ ، وَأَنَا وَاحِدٌ مِنْهُمْ .

وَلَعَلَّ رَسُولَهُ يَتَأَخَّرُ عَنِّي كَمَا تَأَخَّرَ عَنْهُمْ ، وَجَعَلَ الْغَالِبَ عَلَى ظَنِّهِ أَنْ
الرَّسُولَ لَا يَأْتِيهِ إِلَّا إِلَى خَمْسِينَ سَنَةً كَمَا ظَنُّ ، أَوْ أَكْثَرَ أَوْ إِلَى الْمُدَّةِ الَّتِي جَعَلَ
لِنَفْسِهِ بِزَعْمِهِ .

ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى اشْتِغَالِ نَفْسِهِ مِمَّا لَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ وَمِمَّا كَانَ غَنِيًّا عَنْهُ وَتَرَكَ أَوَامِرَ
الْمَلِكِ وَالشُّغْلَ الَّذِي كَلَّفَهُ النَّظَرَ فِيهَا وَالِاشْتِغَالَ بِهِ .

فَكَلِمَا دَخَلَتْ عَلَيْهِ سَنَةٌ قَالَ أَنَا مَشْغُوعٌ فِي هَذِهِ السَّنَةِ وَسَأُنْظُرُ فِي السَّنَةِ
الْمُقْبِلَةِ وَالْمَسَافَةَ أَمَامِي طَوِيلَةً وَالْمُهْلَ بَعِيدَ .

وَهَكَذَا كُلَّمَا دَخَلَتْ عَلَيْهِ سَنَةٌ قَالَ أَنَا مَشْغُوعٌ ، وَسَأُنْظُرُ فِي الْآخِرَى أَوْ
سَأُنْظُرُ فِي أَمْرِي فَيَبِينُ مَا هُوَ عَلَى ذَلِكَ مِنْ تَسْوِيفِهِ ، وَاغْتِرَارِهِ ، إِذْ جَاءَهُ رَسُولُ
الْمَلِكِ فَكَسَّرَ بَابَهُ وَهَتَكَ حِجَابَهُ وَحَصَلَ مَعَهُ فِي قَعْرِ بَيْتِهِ .

وَقَالَ لَهُ أَجِبِ الْمَلِكَ فَقَالَ وَاللَّهِ لَقَدْ جَاءَنِي كِتَابُهُ يَأْمُرُنِي فِيهِ بِأَعْمَالٍ
أَعْمَلُهَا وَأَشْغَالٍ أَنْظُرُ لَهُ فِيهَا ، وَمَا قَضَيْتُ مِنْهَا شُغْلًا ، وَلَا عَمَلْتُ فِيهَا حَتَّى
الآنَ شَيْئًا .

فقال الرسول لَهُ وَيْلَكَ وما الذي أَبْطَأَكَ عنها وما الذي حَبَسَكَ عن
الاشتغال بها والنظر فيها . فقال لَمْ أَكُنْ أَطُنُّ أَنَّكَ تَأْتِينِي فِي هَذَا الْوَقْتِ .
فقال له : وَيْلَكَ وَمِنْ أَيْنَ كَانَ لَكَ هَذَا الظَّنُّ وَمَنْ أَخْبَرَكَ بِهِ وَمَنْ أَعْلَمَكَ
بَأَنِّي لَا آتِيكَ إِلَّا فِي الْوَقْتِ الذي تَطُنُّ . قال ظَنَنْتُ وَطَمِعْتُ وَسَوَّلَتْ لِي
نَفْسِي وَخَدَعَنِي الشَّيْطَانُ وَغَرَّنِي .

فقال لَهُ أَلَمْ يُحَذِّرَكَ الْمَلِكُ فِي كِتَابِهِ مِنْهُمَا وَأَمَرَكَ أَلَّا تَسْمَعَ لَهُمَا قَالَ بَلَى
وَاللَّهِ لَقَدْ فَعَلْتُ وَلَقَدْ جَاءَنِي هَذَا فِي كِتَابِهِ وَلَكِنِّي خَدَعْتُ فَأَخَذَعْتُ وَفُتِنْتُ
فَافْتَنَنْتُ وَارْتَبْتُ فِي وَقْتٍ مَجِيئِكَ فَتَرَبَّصْتُ .

فقال له وَيْلَكَ غَرَّكَ الْغُرُورُ وَخَدَعَكَ الْمُخَادِعُ أَجِبَ الْمَلِكُ لَا أُمُّ لَكَ ،
قال أَتَشُدُّكَ إِلَّا مَا تَرَكْتَنِي حَتَّى أَنْظُرَ فِيمَا أَمَرَنِي بِهِ ، أَوْ بِي بَعْضِهِ أَوْ فِيمَا تَيْسَّرُ
مِنْهُ حَتَّى لَا أَقْدِمَ عَلَيْهِ فِي جُمْلَةِ الْمُفْرِطِينَ وَعِصَابَةِ الْمُقْصِرِينَ .

وهذا مال قد كُنْتُ جَمَعْتُهُ لِنَفْسِي ، وَأَعْدَدْتُهُ لِمُؤُونَةِ زَمَانِي ، فَاتَّرَكْتَنِي
حَتَّى آخُذَ مِنْهُ زَاداً أَتَزَوَّدُهُ وَدَابَّةً أُرْكَبُهَا ، فَإِنَّ الطَّرِيقَ شَاقَّةٌ ، وَالْمَفَازَةَ صَعْبَةٌ ،
وَالْعَقَبَةَ كَوُودٌ ، وَالْمَنْزِلَ لَيْسَ فِيهِ مَاءٌ .

قال أَتُرْكُكَ حَتَّى أَكُونَ عَاصِياً مِثْلَكَ ثُمَّ دَفَعَهُ دَفْعَةً أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ ثُمَّ جَمَعَ
يَدَيْهِ إِلَى عُنُقِهِ وَانْطَلَقَ بِهِ يَجْرُهُ مِنْ خَلْفِهِ خَزَيَانٌ نَذَمَانِ جَوْعَانِ عَطْشَانِ ، وَهُوَ
يُنْشِدُ بِلِسَانِ الْحَالِ :

لَا كَحُزْنِي إِذَا لَقِيتُ حَزِينًا جَلَّ خَطِيئِي فَدَيِّتُكُمْ أَنْ يَهُونَا
ضَاقَ صَدْرِي عَنْ بَعْضِهِ وَاحْتِمَالِي فَاسْلُكُوا بِي حَيْثُ أَلْقَى الْمَنُونَا
مَا تُرِيدُ الْعُدَاةُ مِنِّي وَإِنِّي لِبَحَالٍ يَرِقُ لِي الْمَبْغُضُونَا
زَفَرَاتٍ هَتَكْنَ حُجَبَ فَوَادِي وَهُمُومٌ قَطَعْنَ مِنِّي الْوَتِينَا
خُنْتُ عَهْدَ الْمَلِكِ قَوْلًا وَفِعْلًا وَاتَّخَذْتُ الْخِلَافَ شَرْعًا وَدِينَا

غَرَسْتَ فِي الْحَيَاةِ كَفِيَّ شَرًّا فَاجْتَنَيْتُ الْعِقَابَ مِنْهُ فُؤُونَا
لَيْتَنِي لَمْ أَكُنْ وَأَيْنَ لِمِثْلِي ظَالِمٌ نَفْسُهُ بَأْسٌ لَا يَكُونَا
يَا حَلِيلِي وَلَا حَلِيلَ لِي الْيَوْمَ مَ سِوَى حَسْرَةٍ تُدِيمُ الْأَيْسَا
رَبَّحَ الرَّابِحُونَ وَانْقَضَتِ السُّوْقُ وَحَلَى بِعَيْنِهِ الْمَعْبُودَا .
فَابْكِنِي إِنْ يَكُنْ بُكَاءُ مُفِيداً أَوْ فَدَعْنِي وَعُصْبَةً يَبْكُونَا
اللهم يَا مَنْ لَا تَضُرُّهُ الْمَعْصِيَةُ وَلَا تَنْفَعُهُ الطَّاعَةُ أَيْقِظْنَا مِنْ نَوْمِ الْعَفْلَةِ
وَنُبِّهْنَا لِاغْتِنَامِ أَوْقَاتِ الْمُهِلَةِ وَوَفِّقْنَا لِمَصَالِحِنَا وَاعْصِمْنَا مِنْ قَبَائِحِنَا وَلَا
تَوَاحِدْنَا بِمَا انْطَوَتْ عَلَيْهِ ضَمَائِرُنَا وَأَكْتَنَتْ سَرَائِرُنَا مِنْ أَنْوَاعِ الْقَبَائِحِ وَالْمَعَائِبِ الَّتِي
تَعْلَمُهَا مِنَّا ، وَأَمُنْ عَلَيْنَا . يَا مَوْلَانَا بِتَوَيَّةٍ تَحْوِيهَا عَنَا كُلَّ ذَنْبٍ وَاغْفِرْ لَنَا
وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْل)

وَأَمَّا الْآخِرُ الَّذِي كَتَبَ إِلَيْهِ الْمَلِكُ بِمِثْلِ مَا كَتَبَ بِهِ إِلَى هَذَا فَإِنَّهُ أَخَذَ
كِتَابَ الْمَلِكِ وَقِيلَهُ وَقَرَّاهُ وَتَصَفَّحَهُ وَتَدَبَّرَهُ ، وَقَالَ أَرَى الْمَلِكَ قَدْ كَتَبَ إِلَيَّ
بَأَنِّ أَعْمَلُ لَهُ كَذَا وَكَذَا ، وَأَقْضِي لَهُ كَذَا وَكَذَا ، وَأَنْظُرُ لَهُ فِي كَذَا وَكَذَا .
وَمِنْ أَيْنَ سَبَقَتْ لِي هَذِهِ السَّابِقَةُ عِنْدَ الْمَلِكِ ، وَمَنْ الَّذِي عَنَى لِي عِنْدَهُ ،
وَمَنْ الَّذِي أَنْزَلَنِي مِنْ هَذِهِ الْمَنْزِلَةِ ، حَتَّى جَعَلَنِي مِنْ بَعْضِ خُدَّامِهِ ، وَالْقَائِمِينَ
بِأَمْرِهِ .

وَاللَّهُ إِنْ هَذِهِ لَسَعَادَةٌ وَاللَّهُ لَهَا لِعِنَايَةِ الْحَمْدِ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، ثُمَّ نَظَرَ فِي
الْكِتَابِ وَقَالَ أَسْمَعَ الْمَلِكِ وَقَدْ قَالَ لِي فِي كِتَابِهِ ، وَانْتَظِرْ رَسُولِي فَإِنِّي سَابَعْتُهُ
إِلَيْكَ لِيَأْتِيَنِي بِكَ وَأَرَاهُ لَمْ يَحْدِدْ لِي الْوَقْتَ الَّذِي يَبْعَثُ فِيهِ الرِّسُولَ إِلَيَّ وَلَا سَمَاءَ
لِي .

وَلَعَلِّي لَا أَفْرُغُ مِنْ قِرَاءَةِ كِتَابِهِ إِلَّا وَرَسُولُهُ قَدْ أَتَانِي وَنَزَلَ عَلَيَّ ، وَاللَّهُ لَا قَدَمْتُ شُغْلًا عَلَى شُغْلِ الْمَلِكِ وَلَا نَظَرْتُ فِي شَيْءٍ إِلَّا بَعْدَ فَرَاحِي مِمَّا أَمَرَنِي بِهِ الْمَلِكُ ، وَاعْدَادِي زَادَ أَنْزَوْدُ بِهِ ، وَمَرْكُوبًا أَرْكَبُهُ إِذَا جَاءَنِي رَسُولُهُ وَحَمَلَنِي إِلَيْهِ .

فَتَعَرَّضَ لَهُ رَجُلٌ وَقَالَ لَهُ لِمَ هَذِهِ الْمَسَارِعَةُ كُلُّهَا وَفِيمَ هَذِهِ الْمُبَادَرَةُ كُلُّهَا .
فَقَالَ لَهُ وَيَحَكَ أَمَّا تَرَى كِتَابَ الْمَلِكِ بَمَا جَاءَنِي أَمَّا تَسْمَعُ مَا فِيهِ أَمَّا تُصَدِّقُهُ ، أَمَّا تَوْمِنُ بِهِ قَالَ بَلَى سَمِعْتُ وَأَمَنْتُ وَصَدَّقْتُ ، وَلَكِنْ لَمْ يَقُلْ لَكَ فِيهِ أَنَّ رَسُولَهُ يَأْتِيكَ الْيَوْمَ وَلَا غَدًا وَلَا وَقْتًا مَعْلُومًا .
وَلَكِنَّهُ سَيَأْتِيكَ وَقَدْ جَاءَ كِتَابُهُ إِلَى فُلَانٍ بِهَذَا الَّذِي قَدْ جَاءَكَ أَنْتَ بِهِ ، وَقَدْ بَقِيَ مُنْتَظَرًا لِرَسُولِهِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ سَنَةً ، وَإِلَى الْآنَ مَا أَتَاهُ .
وَبَعْدَ زَمَانٍ طَوِيلٍ مَا جَاءَهُ ، وَفُلَانٌ أَتَاهُ بَعْدَ ثَمَانِينَ سَنَةً ، وَفُلَانٌ أَتَاهُ بَعْدَ مِائَةِ سَنَةٍ ، وَأَنْتَ وَاحِدٌ مِنَ الْمُرْسَلِ إِلَيْهِمْ ، فَلِمَ هَذِهِ الْعَجَلَةُ ، وَفِيمَ هَذَا الْإِسْرَاعُ .

فَقَالَ وَيَحَكَ أَمَّا تَرَى أَنْتَ فُلَانًا قَدْ جَاءَهُ كِتَابُ الْمَلِكِ بِهَذَا الَّذِي جَاءَنِي وَجَاءَهُ الرُّسُولُ فِي إِثْرِ مَجِيءِ الْكِتَابِ ، وَفُلَانٌ كَذَلِكَ ، وَفُلَانٌ قَدْ جَاءَهُ بَعْدَ سَنَةٍ .

فَقَالَ بَلَى وَلَكِنْ لَا تَنْظُرُ إِلَى هَؤُلَاءِ خَاصَّةً وَانْظُرْ إِلَى الَّذِينَ قُلْتُ لَكَ مِمَّنْ تَأَخَّرَ عَنْهُ الْمَجِيءُ فَقَالَ لَهُ دَعْنِي يَا هَذَا فَقَدْ شَغَلْتَنِي وَاللَّهُ وَإِنِّي لِأَتَخَافُ أَنْ يَأْتِيَنِي الرُّسُولُ وَأَنَا أَكَلِّمُكَ .

ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى مَا أَمَرَهُ بِهِ الْمَلِكُ فَاِمْتَثَلَهُ ، وَنَظَرَ فِيمَا حَدَّثَهُ ، وَاشْتَغَلَ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَشْتَغَلَ بِهِ ، وَأَخَذَ الزَّادَ لِسَفَرِهِ ، وَأَخَذَ الْأَهْبَةَ بِطَرِيقِهِ وَجَعَلَ يَنْتَظِرُ الرُّسُولَ أَنْ يَأْتِيَهُ وَأَقْبَلَ يَلْتَفِتُ يَمِينًا وَشِمَالًا يَنْظُرُ مِنْ أَيْنَ يَأْتِيهِ وَمِنْ أَيْنَ يُقْبَلُ عَلَيْهِ .

فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ وَإِذَا بَرَسُولُ الْمَلِكِ قَدْ أَتَاهُ فَقَالَ أَجِبِ الْمَلِكَ قَالَ نَعَمْ
قَالَ السَّاعَةَ ، قَالَ السَّاعَةَ ، قَالَ وَفَرَّغْتَ مِمَّا أَمَرَكَ بِهِ ، وَعَمِلْتَ مَا حَدَّ لَكَ أَنْ
تَعْمَلَهُ ، قَالَ نَعَمْ ، قَالَ فَانْطَلِقْ .

قَالَ بِسْمِ اللَّهِ فَخَلَعَ عَلَيْهِ خِلْعَةَ الْأَوْلِيَاءِ وَكَسَاهُ كِسْوَةَ الْأَصْفِيَاءِ وَاعْطَاهُ
مَرْكُوبًا يَلِيْقُ بِهِ وَيَجْمُلُ بِمِثْلِهِ وَانْطَلَقَ بِهِ فِي حُبُورٍ وَسُرُورٍ .

فَبَانَ لَكَ بِهَذَا الْمَثَلِ وَبِغَيْرِهِ فَضِيلَةُ قِصْرِ الْأَمَلِ ، وَفَضِيلَةُ الْمُبَادَرَةِ إِلَى
الْعَمَلِ ، وَالِاسْتِعْدَادِ لِلْمَوْتِ قَبْلَ نُزُولِهِ ، وَالِإِنْتِظَارَ لَهُ قَبْلَ حُلُولِهِ .

وَقَدْ كَثُرَ الْحِصْصُ عَلَى هَذَا وَكَثُرَتِ الْأَقَاوِيلُ فِيهِ ، وَلَمْ يَزَلِ الْمَذْكُورُونَ
يُذَكِّرُونَ وَالْمُنْتَبِهُونَ يُنَبِّهُونَ لَوْ يَجْلُونَ سَمْعًا وَوَعْيًا وَقَلْبًا حَافِظًا وَمَحَلًّا قَابِلًا
فَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ انْتَهَى .

وَمِنْ كَلَامٍ بَعْضُهُمْ أَمَّا تَسْمَعُونَ أَيُّهَا النَّاسُ دَاعِي الْمَوْتِ يَدْعُوكُمْ ، وَخَادِيهِ
يُخْلُوكُمْ أَمَّا تَرَوْنَ صَرَغَاهُ فِي مَنَازِلِكُمْ وَقِتْلَاهُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ فَفِيمَ التَّصَامُمِ عَنِ
الدَّاعِيِ وَالتَّشَاغُلِ عَنِ الْخَادِيِ وَالتَّعَامِيِ عَنِ مَصَارِعِ الْقَتْلَى وَالتَّغَافُلِ عَنِ
مُشَاهَدَةِ الْهَلَكَى ، فَارْجَمَ اللَّهُ أَمْرًا أُيْقِظَ نَفْسَهُ فِي مُهَلَّةِ الْحَيَاةِ قَبْلَ أَنْ تَوْقِظَهُ
رَوْعَةُ الْمَمَاتِ ، وَاسْتَعْدَّ لِمَا هُوَ آتٍ قَبْلَ الْإِثْبَاتِ ، وَحُلُولِ الْفَوَاتِ ، وَكَانَ
الْحَكَمُ قَدْ وَقَعَ وَالْخِطَابُ قَدْ اِرْتَفَعَ ، أَعْرَضَ مَنْ أَعْرَضَ ، وَسَمِعَ مَنْ سَمِعَ .
شعرا :

قَطَعْتُ زَمَانِي جِنَاءً فَحِينَا	أُدِيرُ مِنَ اللَّهِوِ فِيهِ فُنُونَا
وَأَهْمَلْتُ نَفْسِي وَمَا أَهْمِلْتُ	وَهَوَّلْتُ مِنْ ذَاكَ مَا لَمْ يَهُونَا
وَرُبُّ سُرُورٍ شَفَى غَلَّةَ	وَوَلَّى فَأَعْقَبَ حُزْنَ رَصِينَا
وَكَمْ آكِلُ سَاعَةٍ مَا يُرِيدُ	يُكَابِدُ مَا أَوْرَثَهُ سِينِنَا
وَمَا كَانَ أَغْنَى الْفَتَى عَنْ نَعِيمٍ	يَعُودُ عَلَيْهِ عَذَابًا مُهِينَا

وكم وعظمتي عِظَاةَ الزَّمان
وكم دَعَانِي دَاعِي المُنُون
وماذا أُوْمِلُ أو أُرْتَجِيهِ
فلو كَانَ عَقْلِي مَعِي حَاضِرًا
وَلَنْ يَبْرَحَ المَرءُ فِي رَقْدَةٍ
فَتَوْقُظُهُ عِنْدَهَا رَوْعَةٌ
وَإِذْ ذَاكَ بِدَرِي بِمَا كَانَ فِيهِ
وَتَجْلُو الحَقَائِقُ مِنْهُ الظُّنُونَا

اللَّهُمَّ انْظُمْنَا فِي سَبِيلِكَ حِزْبِكَ الْمُفْلِحِينَ ، واجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الْمُخْلِصِينَ
وَأَمِنَّا يَوْمَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ يَوْمَ الدِّينِ ، واحْشُرْنَا مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ
النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وصلى الله على محمد وعلى
آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْل)

وقال رحمه الله عليه بعد كلام له فإذا أضيفَ إلى الفِكْرَةِ في الموتِ الفِكْرَةُ
فِيمَا بَعْدَ المَوْتِ فِي حَالِ المَيِّتِ وَمَالِهِ وَمَا يُجَازَى بِهِ مِنْ أَقْوَالٍ وَأَفْعَالٍ وَفِي أَيِّ
مَرْبَعٍ وَمَتَجَرِّ فَاتِهِ وَأَيِّ بَضَاعَةٍ قَرِطَ وَأَيِّ جُزْءٍ مِنْ عُمُرِهِ ضَيَّعَهُ هُنَالِكَ تُطِيشُ
الْأَلْبَابُ وَتَذْهَلُ الْعُقُولُ وَتَحْرُسُ الْأَلْسُنُ وَتُنْبِذُ الدُّنْيَا بِالْعَرَاءِ وَتُطْرَحُ بِجَمِيعِ مَا
فِيهَا بِالْوَرَاءِ وَلَا يُلْتَفَتُ لَهَا .

وَمِنْ فَوَائِدِ ذِكْرِ المَوْتِ أَنَّهُ يُورِثُ الاسْتِشْعَارَ بِالْإِثْرِ عَاجٍ عَنْ هَذِهِ الدَّارِ
الْفَانِيَةِ الْمَمْلُوءَةِ بِالْاِكْدَارِ وَالْاِنْكَادِ وَالْهَمُومِ وَالْعُمُومِ .

وَيَحْتُكُّ ذِكْرُ المَوْتِ عَلَى التَّوَجُّهِ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ إِلَى الْآخِرَةِ بِالِاسْتِعْدَادِ لَهَا ثُمَّ
إِنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَنْفَكُ عَنْ حَالَتِي ضَيْقٍ وَسَعَةٍ وَنِعْمَةٍ وَمُحَنَةٍ .

فإن كان في حال ضيقٍ ومحنةٍ فذكر الموت سهل عليه بعض ما هو فيه إذ لا مصيبة إلا والموت أعظم منها وهو ذائقه ولابد .

قال الله تعالى : ﴿ كل نفس ذائقة الموت ﴾ وإن كان في حال سعة ونعمة .

فذكر الموت يمنع من الإغترار بالدنيا والركون إليها لتتحقق عدم دوامها وتحقق ذهابها عنه وانصرامها .

قال الله جل وعلا وتقدس : ﴿ فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور ﴾ .

يا نائما والمُنُونُ تَقْضَى	وَعَالِباً وَالْجَمَامُ أَوْفَى
جَاءَكَ أَمْرٌ وَأَيُّ أَمْرٍ	طَمَّ عَلَى غَيْرِهِ وَعَفَى
هَلْ بَعْدَ هَذَا الْمَشِيبِ شَيْءٌ	غَيْرَ تُرَابٍ عَلَيْكَ يُحْشَى
فَلَيْسَ هَذَا الْأَمْرُ سَهْلاً	وَلَا بِشَيْءٍ عَلَيْكَ يَخْفَى
مِنْ بَعْدِ مَا الْمَرْءُ فِي بَرَّاحٍ	يَهْتَزُّ تَيْهاً بِهِ وَظُرْفَا
سَاكِنُ نَفْسٍ قَرِيرٍ عَيْنٍ	يُرْشَفُ نَعْرَ النَّعِيمِ رَشْفَا
إِذْ عَصَفَتْ فِي دَارِهِ رِيحٌ	تَقْصِفُ كُلَّ الظُّهُورِ قَصْفَا
فَبَاتَ فِي أَهْلِهِ حَصِيداً	قَدْ جَعَفَتُهُ الْمُنُونُ جَعْفَا
فَعَادَ ذَاكَ النَّعِيمُ بُؤْسَا	وَصَارَ ذَاكَ السُّكُونُ رَجْفَا
وَسَبَقَ سَوْقاً إِلَى ضَرِيحٍ	يُرْصَفُ بِالرَّغْمِ فِيهِ رَصْفَا
وَبَاتَ لِلدُّودِ فِيهِ طَعْمَاً	وَلِلْهُوَامِ الْعِطَاشِ رَشْفَا
وَلَيْتَهُ لَمْ يَكُنْ رَهيناً	بِكُلِّ مَا قَدْ هَفَاً وَأُهْفَا

(فَضْل)

وَأَمَّا مَشَاهِدَةُ صُورَةِ مَلِكِ الْمَوْتِ وَمَا يَدْخُلُ فِي الْقَلْبِ مِنْهُ مِنَ الرُّوعِ وَالْفَزَعِ فَهُوَ أَمْرٌ لَا يُعْبَرُ عَنْهُ لِإِعْظَمِ هَوَاهُ وَفَضَاعَةِ رُؤْيَاهُ وَلَا يَعْلَمُ حَقِيقَةَ ذَلِكَ إِلَّا اللَّهُ جَلُّ جَلَالُهُ وَالَّذِي يُشَاهِدُهُ وَيَطَّلِعُ عَلَيْهِ وَإِنَّمَا هِيَ أَمْثَالُ تُضْرَبُ وَحِكَايَاتُ تُحْكَى .

وَيُرَوَّى أَنَّ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ لِمَلِكِ الْمَوْتِ هَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُرِينِي الصُّورَةَ الَّتِي تَقْبِضُ بِهَا رُوحَ الْفَاجِرِ فَقَالَ لَا تُطِيقُ ذَلِكَ قَالَ بَلَى قَالَ فَأَعْرِضْ عَنِّي فَأَعْرِضَ عَنْهُ ثُمَّ التَفَتَ .

فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ أَسْوَدَ الثِّيَابِ قَائِمِ الشَّعْرِ مُنْتِنَ الرِّيحِ يَخْرُجُ مِنْ فِيهِ وَمَنَاجِرِهِ لَهَبُ النَّارِ وَالْدُّخَانِ قَالَ فَعُشِّي عَلَى إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ثُمَّ أَفَاقَ وَقَدْ عَادَ مَلَكُ الْمَوْتِ إِلَى صُورَتِهِ الْأُولَى .

فَقَالَ يَا مَلِكُ الْمَوْتِ لَوْ لَمْ يَلْقَ الْفَاجِرُ عِنْدَ مَوْتِهِ إِلَّا رُؤْيَا وَجْهِكَ لَكَانَ ذَلِكَ حَسْبَهُ « أَيُّ يَكْفِي » .

وَنَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى أَنَاسٍ يَتَرَحَّمُونَ عَلَى مَيِّتٍ فَقَالَ لَوْ تَتَرَحَّمُونَ عَلَى أَنْفُسِكُمْ لَكَانَ خَيْرًا لَكُمْ ، إِنَّ مَيِّتَكُمْ قَدْ مَرَّ بِهِ أَهْوَالٌ ثَلَاثَةٌ ، وَجْهُ مَلِكِ الْمَوْتِ وَقَدْ رَأَاهُ ، وَمَرَارَةُ الْمَوْتِ وَقَدْ ذَاقَهَا ، وَخَوْفُ الْخَاتِمَةِ وَقَدْ مَضَى .

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى :

يُرَوَّى عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ إِذَا قَبِضَ مَلَكُ الْمَوْتِ رُوحَ الْعَبْدِ قَامَ عَلَى عَتَبَةِ بَابِهِ وَلَأَهْلَ الْبَيْتِ ضَجَّةً ، فَمِنْهُمْ الضَّارِبَةُ وَجْهَهَا ، وَمِنْهُمْ النَّاشِيرةُ شَعْرَهَا ، وَمِنْهُمْ الدَّاعِيَةُ يَا وَيْلَهَا .

فَيَقُولُ مَلَكُ الْمَوْتِ فِيمَ هَذَا الْجَزَعُ ، فَوَاللَّهِ مَا انْتَقَصْتُ لِأَحَدٍ مِنْكُمْ عُمْراً ، وَلَا أَتَّخِذُ لِأَحَدٍ مِنْكُمْ رِزْقاً وَلَا ظَلَمْتُ أَحَدًا مِنْكُمْ حَقًّا .

فَإِنْ كَانَتْ شِكَايَتُكُمْ وَتَسَخُّطُكُمْ عَلَيَّ فَإِنِّي وَاللَّهِ مَأْمُورٌ ، وَإِنْ كَانَتْ عَلَى مَيِّتِكُمْ فَإِنَّهُ مَقْهُورٌ ، وَإِنْ كَانَتْ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَنْتُمْ بِهِ كَفَرَةٌ ، وَلِي فِيكُمْ عَوْدَةٌ ثُمَّ عَوْدَةٌ حَتَّى لَا أَبْقِيَ مِنْكُمْ أَحَدًا .

قَالَ لَوْ سَمِعْتُمْوَا كَلَامَهُ وَرَأَوْا مَكَانَهُ لَشَغِلُوا عَنْ مَيِّتِهِمْ وَبَكَوْا عَلَى أَنْفُسِهِمْ .
شِعْرًا :

بَكَى لِأَنْ مَاتَ مَيِّتٌ مِنْ عَشِيرَتِهِ وَقَالَ وَاحْرَبَا وَصَاحَ يَا هَرَبَا
وَبَاتَ فَوْقَ حَشَاهُ لِلْأَسَى لَهَبٌ إِذَا أَرَادَ خُبُوءًا فَارَ وَالتَّهَبَا
وَلَوْ رَأَى بِصَحِيحِ الْعَقْلِ حِينَ رَأَى وَكَشَفَ اللَّهُ عَنْهُ لِلْهَوَى حُجُبَا
لَمَّا رَأَى الدُّمْرَ مَيِّتًا أَوْ أَحْسَّ بِهِ إِلَّا بَكَى نَفْسُهُ الْمِسْكِينُ وَاتَّحَبَا
وَمَنْ رَأَى السُّمْرَ فِي جَنْبِيهِ شَارِعَةً أَنَّى يَرَاهَا بِجَنْبِ نَاءٍ أَوْ قَرَبَا
وَطَلَعَةُ الْمَوْتِ إِنْ تَطَّلَعَ عَلَى أَحَدٍ أَرْتُهُ فِي نَفْسِهِ مِنْ هَوْلِهَا عَجَبَا

وَقَالَ أَحَدُ الْعُلَمَاءِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي مَوْعِظَةٍ وَعَظَهَا أَلَّا أَنْ الدُّنْيَا بَقَاؤُهَا قَلِيلٌ ، وَغَزِيرَتُهَا ذَلِيلٌ ، وَغَنِيهَا فَقِيرٌ ، شَابُّهَا يَهْرَمُ ، وَحَيُّهَا يَمُوتُ ، وَلَا يَغُرُّكُمْ إِقْبَالُهَا مَعَ مَعْرِفَتِكُمْ بِصُرْعَةِ إِذْبَارِهَا وَالْمَعْرُورُ مَنْ اغْتَرَّ بِهَا .

أَيَنْ سُكَانَهَا الَّذِينَ بَنَوْا مَرَابِعَهَا وَشَقَّقُوا أَنْهَارَهَا وَغَرَسُوا أَشْجَارَهَا وَأَقَامُوا فِيهَا أَيَّامًا يَسِيرَةً وَغَرَّتْهُمْ بِصُحْبَتِهِمْ وَغُرُّوا بِنَشَاطِهِمْ فَارَكَبُوا الْمَعَاصِي إِنْهُمْ كَانُوا وَاللَّهِ بِالدُّنْيَا مَغْبُوطِينَ بِالْمَالِ عَلَى كَثْرَةِ الْمَنَعِ عَلَيْهِ مَحْسُودِينَ عَلَى جَمْعِهِ .

مَا صَنَعَ الثَّرَابُ بِأَبْدَانِهِمْ وَالرَّمْلُ بِأَجْسَامِهِمْ وَالذِّيدَانُ بِأَوْصَالِهِمْ وَلُحُومُهُمْ وَعِظَامُهُمْ وَإِذَا مَرَرْتَ فَنَادِهِمْ إِنْ كُنْتَ مُتَادِيًا وَادْعُهُمْ إِنْ كُنْتَ لَا بُدَّ دَاعِيًا .

وَمَرَّ بِعَسْكَرِهِمْ وَانْظُرَ إِلَى تَقَارُبِ مَنَازِلِهِمْ وَسَلَّ غَيْبُهُمْ مَا بَقِيَ مِنْ غِنَاهُ
وَسَلَّ فَقِيرَهُمْ مَا بَقِيَ مِنْ فَقْرِهِ وَاسْأَلَهُمْ عَنِ الْأَلْسُنِ الَّتِي كَانُوا بِهَا يَتَكَلَّمُونَ
وَعَنِ الْأَعْيُنِ الَّتِي كَانُوا بِهَا يَنْظُرُونَ وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْأَعْضَاءِ الرَّقِيقَةِ .

وَالْوُجُوهِ الْحَسَنَةِ وَالْأَجْسَادَ النَّاعِمَةَ مَا صَنَعَتْ بِهَا الدِّيدَانُ .

مَحَبَتِ الْأَلْوَانِ ، وَأَكَلَتِ اللَّحْمَانَ ، وَعَفَرَتِ الْوُجُوهُ ، وَمَحَبَتِ
الْمَحَاسِنِ ، وَكَسَرَتِ الْفَقَارَ ، وَأَبَانَتِ الْأَعْضَاءَ ، وَمَزَّقَتِ الْأَشْلَاءَ قَدْ حَيَّلَ
بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْعَمَلِ وَفَارَقُوا الْأَحَبَّةَ .

فَكَمَ مِنْ نَاعِمٍ وَنَاعِمَةٍ أَصْبَحَتْ وَجُوهُهُمْ بِالِيَةِ ، وَأَجْسَادُهُمْ مِنْ أَعْنَاقِهِمْ
بَائِنَةً ، وَأَوْصَالُهُمْ مُتَمَزِّقَةً ، وَقَدْ سَأَلَتْ الْحَدَقُ عَلَى الْوَجَنَاتِ ، وَأُمْتَلَأَتِ
الْأَفْوَاهُ صَدِيدًا ، وَدَبَّتْ دَوَابُّ الْأَرْضِ فِي أَجْسَامِهِمْ ، وَتَفَرَّقَتْ أَعْضَاؤُهُمْ .

ثُمَّ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى عَادَتِ الْعِظَامُ رَمِيمًا قَدْ فَارَقُوا الْحَدَائِقَ فَصَارُوا
بَعْدَ السَّعَةِ إِلَى الْمَضَائِقِ قَدْ تَزَوَّجَتْ نِسَاؤُهُمْ وَتَرَدَّدَتْ فِي الطَّرِيقِ أَبْنَاؤُهُمْ .

فَمِنْهُمْ وَاللَّهُ الْمَوْسِعُ لَهُ فِي قَبْرِهِ الْعَضُّ النَّاعِمُ فِيهِ الْمُتَنَعِّمُ بِلَذَائِهِ ، فَيَا سَاكِنَ
الْقَبْرِ مَا الَّذِي غَرَّكَ فِي الدُّنْيَا هَلْ تَظُنُّ أَنَّكَ تَبْقَى أَوْ تَبْقَى لَكَ أَيْنَ دَارُكَ الْفَيْحَاءِ
وَنَهْرُكَ الْمُطَرِّدِ وَأَيْنَ ثَمَرُكَ الْحَاضِرُ يَنْعُمُهَا وَأَيْنَ رِقَاقُ ثِيَابِكَ وَأَيْنَ كِسْوَتُكَ
لِصَيْفِكَ وَشِتَائِكَ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ يَا مُغْمَضُ الْوَالِدِ وَالْأَخِ وَغَاسِلَةُ وَحَامِلَةُ يَا
مُدْلِيَهُ فِي قَبْرِهِ وَرَاجِلُ عَنْهُ ، لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ نِمْتُ عَلَى نُحْشُونَةِ الثَّرَى ،
وَبَأَيِّ حَدِيدِكَ بَدَأَ الْبَلَى ، يَا مُجَاوِرَ الْهَلَكِي صِرْتُ فِي مَحَلَّةِ الْمَوْتِ ، لَيْتَ
شِعْرِي مَا الَّذِي يَلْقَانِي بِهِ مَلَكُ الْمَوْتِ عِنْدَ خُرُوجِ رُوحِي مِنَ الدُّنْيَا .

مَا حَالُ مَنْ سَكَنَ الثَّرَى مَا حَالُهُ أُمْسَى وَقَدْ قُطِعَتْ هُنَاكَ جِبَالُهُ
أُمْسَى وَلَا رَوْحَ الْحَيَاةِ يُصِيبُهُ يَوْمًا وَلَا لُطْفَ الْحَيِيبِ يَنَالُهُ

أَمْسَى وَحَيْدًا مُوَحَّشًا مُتَفَرِّدًا مُتَشِيتًا بَعْدَ الْجَمِيعِ عِيَالُهُ
أَمْسَى وَقَدْ دَرَسَتْ مَحَاسِنُ وَجْهِهِ وَتَفَرَّقَتْ فِي قَبْرِهِ أَوْصَالُهُ
وَاسْتَبَدَلَتْ مِنْهُ الْمَجَالِسُ غَيْرُهُ وَتُقَسِّمَتْ مِنْ بَعْدِهِ أَمْوَالُهُ
هَلْ مِنْ قَبِيلٍ تَعْلَمُونَ مَكَائِهِ سَلِمَتْ عَلَى حَدِيثِ الزَّمَانِ رِجَالُهُ

اللَّهُمَّ اسئلكَ بِنَا سَبِيلَ الْإِبْرَارِ ، وَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الْمُصْطَفَيْنِ الْأَخْيَارِ ،
وَأْمُنْ عَلَيْنَا بِالْعَفْوِ وَالْعِتْقِ مِنَ النَّارِ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْل)

إِعلم وفقنا الله وإياك وجميع المسلمين أَنَّ تَقْصِيرَ الْأَمَلِ مَعَ حُبِّ الدُّنْيَا
مُتَعَدِّرٌ وَانْتِظَارُ الْمَوْتِ مَعَ الْإِكْبَابِ عَلَى الدُّنْيَا غَيْرُ مُتَيْسِّرٍ ، فَإِنَّ حُبَّ الدُّنْيَا هُوَ
سَبَبُ طُولِ الْأَمَلِ فِيهَا ، وَالْإِكْبَابُ عَلَيْهَا يَمْنَعُ مِنَ الْفِكْرَةِ فِي الْخُرُوجِ مِنْهَا .

وَالْجَهْلُ بِعَوَائِلِهَا وَعَوَاقِبِهَا يَحْمِلُ الْإِرَادَةَ لَهَا وَالْإِزْدِيَادِ مِنْهَا ، لِأَنَّ مَنْ
أَحَبَّ شَيْئًا أَحَبَّ الْكَوْنَ مَعَهُ ، وَالْإِزْدِيَادَ مِنْهُ ، وَمَنْ كَانَ مَشْغُوفًا بِالدُّنْيَا مُجِبًّا
لَهَا حَرِيصًا عَلَيْهَا قَدْ خَدَعَتْهُ بِزُخْرُفِهَا وَأَمَلَتْهُ بِرُؤْيَقِهَا وَسَحَرَتْهُ بِزِينَتِهَا ، كَيْفَ
يُرِيدُ مُفَارَقَتَهَا ، أَمْ كَيْفَ يُحِبُّ مُزَايَلَتَهَا ، هَذَا أَمْرٌ مَا أَجْرَى اللَّهُ الْعَادَةَ بِهِ وَلَا
حَدَّثَنَا عَنْهُ .

بَلْ تَجِدُ مَنْ كَانَ عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ أَعْمَى عَنْ طَرِيقِ الْخَيْرِ أَصَمَّ عَنْ دَاعِيِ
الرُّشْدِ ، قَلِيلَ الرَّأْيِ سَيِّءَ النِّظَرَةِ ، ضَعِيفَ الْإِيمَانِ ، لَمْ تَتْرُكْ لَهُ الدُّنْيَا مَا يَسْمَعُ
بِهِ ، وَلَا مَا يَرَى الْحَقَائِقَ بِوَاسِطَتِهِ .

إِنَّمَا دِينُهُ وَشُغْلُهُ وَحَدِيثُهُ دُنْيَاهُ لَهَا يَنْظُرُ وَلَهَا يَسْمَعُ وَلَهَا يُعْطِي وَلَهَا يَأْخُذُ
قَدْ مَلَأَتْ عَيْنُهُ وَسَمِعُهُ .

فتجده قد طَوَّلَ أَمَلَهُ وَمَدَّ المسافة بين يديه فَإِنْ كَانَ شَابًا قَالَ أَنَا صَغِيرُ
وَالْوَقْتُ بَيْنَ يَدَيَّ وَأَسْعَى وَأُنْبِي حَتَّى أَبْلُغَ سِتِينَ سَنَةً أَوْ سَبْعِينَ سَنَةً .

وَأَنَا مُحْتَاجٌ إِلَى الزَّوْاجِ وَالزَّوْجَةِ تَحْتَاجُ إِلَى ثَقَفَةٍ وَكُسُوفٍ وَإِذَا حَصَلَتْ
الزَّوْجَةُ وَجَاءَ الْأَوْلَادُ احْتَاجُوا إِلَى أَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ وَهَذَا إِنَّمَا يَحْصُلُ بِالْمَالِ وَإِنْ لَمْ
يَكُنْ مَالٌ لَمْ أَصِلْ إِلَى الْمَطْلُوبِ وَالْمَرْغُوبِ .

وَإِنْ قَعَدْتُ عَنِ الطَّلَبِ احْتَجْتُ إِلَى النَّاسِ وَإِذَا احْتَجْتُ إِلَى النَّاسِ
اسْتَحْفَ بِي وَاحْتَقَرْتُ كَمَا قَالَ الْقَائِلُ :

وَالْمَرْءُ لَا يَصْغُرُ مِقْدَارُهُ إِلَّا إِذَا احْتَاجَ إِلَى النَّاسِ
آخِرُ :

مَنْ عَفَّ حَفَّ عَلَى الصَّدِيقِ لِقَاؤُهُ وَأُخُو الْحَوَائِجِ وَجْهُهُ مَمْلُوءٌ
وَأُخُوكَ مَنْ وَفَّرْتَ مَا فِي كَفِّهِ وَمَتَى عَلِقَتْ بِهِ فَأَنْتَ ثَقِيلٌ
وَانْظُرْ إِلَى فَلَانٍ قَدْ اكْتَسَبَ ، وَجَمَعَ وَاعْتَنَى وَتَزَوَّجَ ، وَتَنَعَّمَ وَتَمَتَّعَ وَظَهَرَ
بِالْمِرَادِ وَوَصَلَ إِلَى مَا أَرَادَ .

وَلَا يَخْطُرُ بِيَالِهِ فَيَقُولُ فَلَانٌ كَانَ شَابًا مِثْلِي وَأَرَادَ مَا أَرَدْتُ وَسَعَى فِيمَا
سَعَيْتُ فَاخْتَرَمْتُهُ الْمُنِيَّةُ ، وَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَى مُرَادِهِ .

وَلَا يَقُولُ فَلَانٌ طَلَبَ الدُّنْيَا وَاجْتَهَدَ فِي تَحْصِيلِهَا فَلَمَّا اجْتَمَعَ لَهُ مَا اجْتَمَعَ
سُرِقَ مَا تَعَبَ بِهِ أَوْ اعْتَدِيَ عَلَيْهِ فَعَصِبَ مَا جَمَعَ وَأَخَذَ مِنْهُ بِالْقُوَّةِ .

وَلَا يَقُولُ اخْتَرَقَ مَالُ فَلَانٍ الَّذِي تَعَبَ فِي تَحْصِيلِهِ أَوْ غَرَقَ مَالُهُ فِي الْبَحْرِ

أو في رُجوعه إلى بلده ، وانصرافه إلى وطنه هَلَكَ مَالُهُ فَاخْتَلَّ عَقْلُهُ بِسَبَبِ
فقدان المال أو مات في طريقه ، ونحو ذلك مما يَجْرِي كثيرًا .

إِنَّمَا يَغْرِضُ عَلَى نَفْسِهِ وَيَجْرِي عَلَى خَاطِرِهِ مَنْ بَلَغَ إِلَى إِرَادَتِهِ وَوَصَلَ إِلَى
أَمْنِيَّتِهِ ، لَأَنَّ ذَلِكَ هُوَ الَّذِي غَلَبَ عَلَى قَلْبِهِ وَشَغَفَ بِحَدِيثِهِ .

فتراه يَسْتَعَى وَيَرْغَبُ وَيَخْرِصُ وَيَطْلُبُ وَيَكِيدُ وَيَزْفِرُ وَيَلْهَثُ فِي حُدُورِ
وصُعودِ وطلُوعِ وهُبُوطِ آناء الليل والنهار ولا يَقْرُبُهُ قَرَارٌ وَلَا تَضُمُّهُ فِي أَكْثَرِ
الأوقات دار .

وكلما فَرَّغَ مِنْ شُغْلٍ أَخَذَ فِي شُغْلٍ آخَرَ مِمَّا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ بَلْ لَا يَفْرَغُ مِنْ
شُغْلٍ إِلَّا عَرَضَتْ لَهُ أَشْغَالٌ وَلَا يَصِلُ إِلَى أَمَلٍ إِلَّا اتَّبَعَتْ لَهُ آمَالٌ فَيَمْنِي نَفْسُهُ
بِالْأَمَانِ الْبَاطِلَةِ وَيُحَدِّثُهَا بِالْأَحَادِيثِ الْكَاذِبَةِ .

فإِنْ وَصَلَ إِلَى حَظٍّ مِنَ الْمَالِ وَنَصِيبٍ وَافِرٍ مِنَ الْكَسْبِ مِمَّا يُمَكِّنُ أَنْ يَعِيشَ
بِهِ عُمُرَهُ كُلَّهُ أَوْ طَعَنَ فِي السِّنِّ وَقِيلَ لَهُ يَا فُلَانُ أَرِخْ نَفْسَكَ وَدَعْ جِسْمَكَ فَهَذَا
الَّذِي عِنْدَكَ يَكْفِيكَ .

قَالَ يَا أَخِي لَا تُثْقِلْ هَذَا اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ بَيْنَ يَدَيَّ وَلَا يَكْفِيهِمَا قَلِيلٌ وَلَنْ
يَكُونُ مَا عَلَى أَحَدٍ إِلَّا أَذْهَبَ مَا فِي يَدِهِ ، وَأَخَذَ مَا كَانَ عِنْدَهُ ، وَلَا يَذَرِي مَا
يَكُونُ .

وَالْآفَاتُ كَثِيرَةٌ وَالْأَمْرَاضُ مُتَوَقَّعَةٌ وَالْحَاجَةُ إِلَى النَّاسِ صَعْبَةٌ لَا سِيَّامًا مَعَ
الْكِبَرِ فَيَقِينُ الْعَذْرَ لِنَفْسِهِ وَيَطْلُبُ لَهَا الْحُجَّةَ وَيُوجِدُ لَهَا الدَّلِيلَ وَيُصَحِّحُ لَهَا
بَرْغَمِهِ التَّأْوِيلَ .

فإِنْ ذُكِرَ لَهُ الْمَوْتُ أَوْ حَدِثَ بِمَوْتِ إِنْسَانٍ ، قَالَ بِلِسَانِهِ فَقَطْ : ﴿ إِنَّا لِلَّهِ
وإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ وَاللَّهُ إِنَّا لَفِي غَفْلَةٍ عَظِيمَةٍ ، وَاللَّهُ إِنِّي لَفِي غُرُورٍ .

والله إنها لمصيبة عظيمة لا يدري الإنسان متى يهلك ولا متى يُختطف
ولا متى تفجؤه المنيّة وتحلّ به الرزية ، وتنزل به هذه المصيبة .

هكذا قولاً بلا فعل وكلاماً بلا نيّة ولو كان ذلك عن صدق نيّة وصحّة
طويّة لظهر ذلك عليه وبدت محايّله منه .

وربّما وعد نفسه ومناها وطمّعتها في التوبة ورّجأها ، وقال إذا جيئت من
هذه السفرة ، وإذا فرغت من عمارة الدار ، أو إذا جمعت ما كان متفرقاً أو
نحو ذلك لتفرغت للنظر لنفسي ، وقدمت ما أجده في رمسي ، وكنت من
داري إلى المسجد ، ومن المسجد إلى داري ، ولا أنظر في شيء ، ولا أشتغل
في شيء .

فإذا جاء من سفره تجهّز لسفر آخر ، وإذا فرغ من عمارة داره نظّر فيما
يصلح لها ، وإن جمّع ماله نظر في تفريقه في الوجه الذي ينيّيه .

وهكذا يحدث نفسه عن الأموات ولا يحدث نفسه أنّه يموت ، ويشيع
الجنائز ولا يتصور أنّ جنازته تُشيع .

ألا وكما شيعت يوماً جنازةً فأنت كما شيعتهم ستشيع

ويقدّر لنفسه العيش الطويل ولا يقدّر لها الموت القريب ، قد غلب عليه
السّهو وأطبّق الجهل وسدّت عليه العقلة طرق الإنابة وصرفته عن أسباب
الفكرة .

شِعْراً :

لَمَنْ وَرَقَاءَ بِالْوَادِي الْمَرِيعِ تَشُبُّ بِهِ تَبَارِيحُ الضُّلُوعِ
عَلَى فَيَئَاتِهِ خَضَاءَ يَصْفُو عَلَى أَعْطَافِهَا وَشَيُّ الرِّبِيعِ

تُرَدُّ صَوْتٌ بَاكِيةً عَلَيْهَا
فَشَتَّتْ شَمْلَهَا وَأَدَالَ مِنْهُ
عَجِبْتُ لَهَا تَكَلُّمُ وَهِيَ خَرَسَا
فَهَمْتُ حَدِيثَهَا وَفَهَمْتُ أَنِّي
أُنَبِّئُكَ تِلْكَ أَنْ فَقَدْتُ أُنَيْسَا
وَهَا أَنَا لَسْتُ أَبْكِي فَقَدْ نَفْسِي
وَلَوْ أَنِّي عَقَلْتُ الْيَوْمَ أَمْرِي
أَلَا يَا صَاحِبَ الشَّكْوَى ضُرُوبُ
لَعَلَّكَ أَنْ تُعِيرَ أَحَاكَ دَمْعَا
رَمَاهَا الْمَوْتُ بِالْأَهْلِ الْجَمِيعِ
عَرَامًا عَاثَ فِي قَلْبٍ صَرِنِ
وَتُبْكِي وَهِيَ جَامِدَةُ الدُّمُوعِ
مِنَ الْخُسْرَانِ فِي أَمْرِ شَنِيعِ
وَتَشْرَبُ مِنْهُ بِالْكَأْسِ الْفَظِيعِ
وَتَضْنِيعُ الْحَيَاةَ مَعَ الْمُضْنِيعِ
لَأُرْسَلْتُ الْمَدَامِيعَ بِالنَّجِيعِ
وَذَكَرُ الْمَوْتِ يَذْهَبُ بِالْهَجُوعِ
فَمَا فِي مُقْلَتَيْهِ مِنَ الدُّمُوعِ

اللَّهُمَّ انْظُمْنَا فِي سِلْكِ الْفَائِزِينَ بِرِضْوَانِكَ ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الْمُتَّقِينَ الَّذِينَ
أَعَدَدْتَ لَهُمْ فَسِيحَ جَنَانِكَ ، وَأَدْخِلْنَا بِرَحْمَتِكَ فِي دَارِ أَمَانِكَ وَعَافَا يَا مَوْلَانَا
فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِنْ جَمِيعِ الْبَلَايَا وَأَجْزِلْ لَنَا مِنْ مَوَاهِبِ فَضْلِكَ وَهِبَاتِكَ
وَمَتَّعْنَا بِالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ الْكَرِيمِ مَعَ الَّذِينَ أُنْعِمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ
وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ، وَاعْفُ رُفْقًا وَلَوْلَا دِينُنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْل)

إِعلم وفقنا الله وأَيَّاكَ وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ وَأَيُّقِظْ قُلُوبَنَا وَقُلُوبَكُمْ مِنَ الْعَقْلَةِ
وَرَزَقْنَا وَإِيَّاكُمْ الْإِسْتِعْدَادَ لِلثَّقَلَةِ مِنَ الدَّارِ الْفَانِيَةِ إِلَى الدَّارِ الْبَاقِيَةِ أَنْ مِنْ أَضَرَّ مَا
عَلَى الْإِنْسَانِ طُولُ الْأَمَلِ .

وَمَعْنَى ذَلِكَ اسْتِشْعَارُ طُولِ الْبَقَاءِ فِي الدُّنْيَا حَتَّى يَغْلِبَ عَلَى الْقَلْبِ وَيُنْسَى

أَنَّهُ مُهَدَّدٌ بِالْمَوْتِ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ وَلَا بُدَّ مِنْهُ وَكُلُّ مَا هُوَ آتٍ قَرِيبٌ فَتَاهَبْ
لِسَاعَةٍ وَدَاعِكَ مِنَ الدُّنْيَا وَخُرُوجِكَ مِنْهَا .

وَكَُنْ يَا أَخِي عَلَى حَذَرٍ مِنْ مُفَاجَأَةِ الْأَجْلِ فَإِنَّكَ عَرَضٌ لِلآفَاتِ وَهَدَفٌ
مَنْصُوبٌ لِسِهَامِ الْمَنَآيَا وَإِنَّمَا رَأْسُ مَالِكَ الَّذِي يُمَكِّنُكَ أَنْ وَفَّقَكَ اللَّهُ أَنْ
تَشْتَرِيَ بِهِ سَعَادَةَ الْأَبَدِ هَذَا الْعَمْرَ .

قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا : ﴿أَوَلَمْ نَعْمَرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ﴾ الْآيَةُ فَإِيَّاكَ
أَنْ تُنْفِقَ أَوْقَاتَ عُمْرِكَ وَأَيَّامَهُ وَسَاعَاتِهِ وَأَنْفَاسَهُ فِيمَا لَا خَيْرَ فِيهِ وَلَا مَنْفَعَةَ
فَيَطُولَ حُزْنُكَ وَتَذَامُتَكَ وَتَحَسُّرَكَ بَعْدَ مَوْتِكَ .

وَاجْعَلْ مَا يَلِي مِنَ الْآيَاتِ نَصَبَ عَيْنَيْكَ دَائِمًا لِتَحُكَّمَ عَلَى الْإِسْتِعْدَادِ لِيَوْمِ
الْمَعَادِ .

قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا : ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتًا عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي جَنْبِ
اللَّهِ﴾ .

وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلَّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا
عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ .

وَقَوْلُهُ : ﴿يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمْتُ يَدَاهُ﴾ .
وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ
لِغَدٍ﴾ .

وَقَوْلُهُ تَعَالَى : وَأَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّي
لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ الْآيَةُ .

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ واتقوا يوماً لا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون ﴾ .

وقال جل وعلا : ﴿ وأُنذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاطْمِينَ ﴾ .

ونحو هذه الآيات التي مرّت عَلَيْكَ فَإِنْ كُنْتَ مُؤمناً حَقِيقَةً فَاشْعِرْ قَلْبَكَ بِتِلْكَ الْمَخَافِ وَالْأَخْطَارِ وَأَكْثِرْ فِيهَا التَّفَكُّرَ وَالْإِعْتِبَارَ لِتَسْلِبَ عَنْ قَلْبِكَ الرَّاحَةَ وَالْقَرَارَ فِي هَذِهِ الدَّارِ فَتَشْتَغِلَ بِالْجَدِّ وَالْاجْتِهَادِ وَالتَّشْمِيرِ لِلْعَرْضِ عَلَى الْجَبَّارِ .

وَتَفَكَّرْ أَوَّلًا فِيمَا يَقْرَعُ سَمْعَ سُكَّانِ الْقُبُورِ مِنْ شِدَّةِ نَفْخِ الصُّورِ ، فَإِنَّهَا صَيِّحَةٌ وَاحِدَةٌ تَنْفُجُ بِهَا الْقُبُورُ عَنْ رُؤُوسِ الْمَوْتَى ، فَيَثُورُونَ دُفْعَةً وَاحِدَةً .

قال الله جل جلاله : ﴿ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ ﴾ وقال جل وعلا : ﴿ ثُمَّ نُفْخُ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴾ .

فَتَصَوَّرْ نَفْسَكَ إِنْتَبِهْ يَا أَخِي لِهَذَا الْيَوْمِ الْعَظِيمِ الَّذِي لَيْسَ عِظْمُهُ مِمَّا يُوصَفُ ، وَلَا هَوْلُهُ مِمَّا يُكَيَّفُ ، وَلَا يَجْزِي عَلَى مِقْدَارٍ مِمَّا يُعْلَمُ فِي الدُّنْيَا وَيُعْرَفُ بَلْ لَا يَعْلَمُ مِقْدَارَ عِظَمِهِ وَلَا هَوْلَهُ إِلَّا اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَمَا ظَنُّكَ بِيَوْمِ عَبَّرَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَنْ بَعْضِ مَا يَكُونُ فِيهِ شَيْءٌ عَظِيمٌ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنْ عَذَابُ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ وَمَاذَا عَسَى أَنْ يَقُولَ الْقَائِلُ فِيهِ وَمَاذَا عَسَى أَنْ يَصِفَهُ الْوَاصِفُ بِهِ الْأَمْرُ الْأَعْظَمُ وَالْحَطْبُ أَكْبَرُ وَالْهَوْلُ أَشْنَعُ كَمَا قَالَ الْقَائِلُ :

وما عسى أن أقول أو أقوم به الأمر أعظم مما قيل أو وصفا
وقال آخر :

يَضْحَكُ المرء والبكاء أَمَامَهُ وَيُرْوَمُ البقاء والموت رَامَهُ
وَيَمْشِي الحديث في كُلِّ لَفْوٍ وَيُخْلَى حديث يوم القيامة
وَلَأْمَرٌ بَكاء كُلِّ لَيْبٍ وَتَفَى في الضلام عنه مَمَامَهُ
صَاحَ حَدَثٌ حَدِيثُهُ وَاخْتَصَرَهُ فَمَحَالَ بِأَنْ تُطِيقَ تَمَامَهُ
عَجَزَ الوَاصِفُونَ عَنْهُ فَقَالُوا لَمْ تَجِءْ مِنْ بَحَارِهِ بِكُضَامَهُ
فَلْتَحَدِّثْهُ جُمْلَةً وَشَتَاتاً وَدَعِ الآنَ شَرْحَهُ وَنِظَامَهُ

فَتَصَوَّرَ نَفْسَكَ وَقَدْ خَرَجْتَ مِنْ قَبْرِكَ مُتَغَيِّراً وَجْهَكَ مُغْبِراً بِدَنِكَ مِنْ
تُرَابِ قَبْرِكَ مَبْهُوْتاً مِنْ شِدَّةِ الصَّعْقَةِ قَالَ تَعَالَى : ﴿ تَحْشَعُوا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ
مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنتَشِرٌ مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِي ﴾

وقال جل وعلا وتقدس : ﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ
الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ ﴾ الآية . وقال تعالى : ﴿ وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِي مِنْ مَكَانٍ
قَرِيبٍ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمَ الْخُرُوجِ ﴾ .
وقال جل وعلا : ﴿ وَنَفَخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ
يَنْسِلُونَ ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ فَإِذَا نُفِرَ فِي النُّاقُورِ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ عَسِيرٌ عَلَى الْكَافِرِينَ
غَيْرِ يَسِيرٍ ﴾ فَتَفَكَّرَ فِي الْخَلَائِقِ وَرُغِبَ فِيهِمْ وَذُلُّهُمْ وَاسْتِكْنَانُهُمْ عِنْدَ الْإِثْبَاعِ خَوْفًا
مِنْ هَذِهِ الصَّعْقَةِ وَانْتِظَارًا لِمَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ مِنْ سَعَادَةٍ أَوْ شَقَاوَةٍ .
قال تعالى : ﴿ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعاً كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصَبٍ
يُوفَضُّونَ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهُقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمَ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴾ .
وقال تعالى : وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى
يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴾ .

شعرا :

كَأَنِّي بِنَفْسِي عَلَى ضَعْفِهَا تَجَرَّعُ رَغْمًا كُؤُوسَ الرَّدَى
وَقَدْ كَشَفَ اللَّهُ عَنْهَا الْغَطَا فَحَثَّتْ هُنَاكَ لِكَشْفِ الْغَطَا
وَمَدَّتْ إِلَيْهَا يَدَ فَظَّةٍ لَفِظَ غَلِيظَ شَدِيدِ الْقُوَى
فَمَا شِئْتَ مِنْ نَفْسٍ ضَيِّقٍ وَجَذَبَ عُرُوقٍ وَقَطَعَ الْحَشَا
وَنَفْسٍ تُسَاقُ أَشَدَّ مَسَاقٍ فَتَضَعُطُ فِي لَهَوَاتِ الْفَتَى
وَلَا دَافِعَ يُرْتَجَى دَفْعُهُ وَلَا قَائِلَ مَا بِهِ يُفْتَدَى
وَمَا لِي انْتِصَارًا وَلَا لِي قَرَارَ وَمَالِي مِنْ حِيلَةٍ تُرْتَجَى
فَدَعْنِي وَيَوْمِي أَبْكِي لَهُ فَحَقَّ لِيَوْمِي بِطُولِ الْبُكََا

اللَّهُمَّ احْتِمِ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ أَعْمَارَنَا وَحَقِّقْ بِفَضْلِكَ آمَالَنا وَسَهِّلْ
لِبُلُوغِ رِضَاكَ سُبُلَنَا وَحَسِّنْ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ أَعْمَالَنَا يَا مُنْقِذَ الْغُرَفَى يَا مُنْجِيَ
الْهَلَكَى يَا ذَائِمَ الْإِحْسَانِ أَذِقْنَا بَرْدَ عَفْوِكَ وَأَثْلْنَا مِنْ كَرَمِكَ وَجُودِكَ مَا تَقَرُّ بِهِ
عُيُونُنَا مِنْ رُؤْيَيْكَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ صَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
أَجْمَعِينَ .

(فَصْل)

إِعْلَمَ رَحِمَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ أَنَّ فِي الْقَبْرِ وَظُلْمَتِهِ ، وَضِيْقَهُ
وَوَحْشَتِهِ وَطَرَحِ الْمَيِّتِ فِيهِ غَيْرَ مُمَهَّدٍ وَلَا مُوسَّدٍ قَدْ بَاشَرَ التُّرَابَ وَوَاجَهَ الْبَلَى
وَتَرَكَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا لِلْوَرَى .

وَنَبَذَ مِنْهَا مَا كَانَ فِي يَدَيْهِ فِي الْعَرَاءِ مَعَ حَبِيبِ تَرْكِهِ وَقَرِيبِ أَسْلَمِهِ ،
وَنَصِيْبٍ أَفْرَدَهُ ، وَتَرَكَ كُلَّ مَا كَانَ عَهْدَهُ إِنْ ذَلِكَ لِمِمَّا يَفْطِمُ النَّفُوسَ عَنْ

الشهوات ، وإن كَانَتْ صَعْبَةَ الْفَطَامِ ، وَيَقْطَعُهَا عَنِ اللَّذَاتِ ، وَإِنْ كَانَ قَطْعُهَا
بَعِيدَ الْمَرَامِ ، إِذَا بَحَثَ عَنِ الْحَقِيقَةِ وَنَظَرَ بَعَيْنَ الْبَصِيرَةِ وَسَمِعَ النَّدَاءَ مِنْ قَرِيبٍ
فَبَيْنَا الْإِنْسَانَ فِي رَحَاءِ الْعَيْشِ مَسْرُوراً فِيمَا بَيْنَ يَدَيْهِ غَافِلاً عَنْ يَوْمِ صَرَاعَتِهِ قَدْ
فَتَحَ لِلْهُوَى بَابَهُ ، وَأَرْسَلَ عَلَيْهِ حِجَابَهُ ، وَلَمْ يُبَالِ بِمَنْ لَامَهُ فِي ذَلِكَ أَوْعَابَهُ ، إِذْ
هَجَمَتْ عَلَيْهِ الْمَنِيَّةُ ، فَهَتَكَتْ أَسْتَارَهُ ، وَكَسَفَتْ أُنُورَهُ ، وَشَتَّتْ شَمْلَهُ
وَطَمَسَتْ أَعْلَامَهُ وَآثَارَهُ .

فَأَخْرَجَتْهُ مِنْ ذَلِكَ الْقَصْرِ الْمَشِيدِ ، وَالْمَنْزِلِ الْمُنْجِدِ وَالْمَتَاعِ الْمُرْخَرَفِ
الْمُنْضِدِّ ، إِلَى حُفْرَةٍ مِنَ الْأَرْضِ ظُلُمَاءَ ضَيْقَةِ الْجَوَانِبِ مَمْلُوءَةً مِنَ الرُّغْبِ
وَالْفَرَعِ وَالْخَوْفِ وَالْقَلَقِ وَالذُّعْرِ .

فَحَذَارِ حَذَارٍ وَبِدَارٍ بِدَارٍ قَبْلَ أَنْ تُصْرَعَ هَذَا الْمَصْرَعُ فَيَقُتَّ فِي عَضْدِكَ
وَيُسْقَطُ فِي يَدِكَ وَتُرْمَى بِكَ عَنْ أَهْلِكَ وَوَلَدِكَ فِي مَهْوَاةٍ تَزْدِجُهُ فِيهَا الْأَهْوَالُ ،
وَتَنْقَطِعُ فِيهَا الْأَمَالُ .

قَدْ جُمِعَتْ فِيهَا جَمْعاً وَرُصِغَتْ فِيهَا رَصْعاً وَثَرِكَتْ فِيهِ لِلْهُوَامِ وَالذِّيدَانِ
طَعْماً ، وَمَرَعَى .

وَلَعَلَّكَ مِمَّنْ يَرْغَبُ فِي تَبْدِيلِ الْمَنَازِلِ وَإِنْ كَانَتْ حِسَاناً ، وَلَا تَرَى لِزُبُكٍ
عَزَّ وَجَلَّ فِيهَا تَفَضُّلاً وَامْتِنَاناً .

فَانْظُرْ الْآنَ كَمْ بَيْنَ الْمَنْزِلَتَيْنِ وَكَمْ قَدَرُ مَا بَيْنَ الْوَحْشَتَيْنِ إِلَّا أَنْ يُدْرِكَكَ اللَّهُ
بِرَحْمَتِهِ فَتَتَسَبَّعَ مِنَ الْقَبْرِ أَقْطَارُهُ وَتَمْتَدَّ فِيهِ أُنُورُهُ وَأُنْشَلُوا فِي هَذَا الْمَعْنَى :

مَنْ كَانَ يُوَحِّشُهُ تَبْدِيلُ مَنْزِلِهِ	وَأَنْ يُبَدِّلَ مِنْهَا مَنْزِلاً حَسَنًا
مَاذَا يَقُولُ إِذَا ضَمَّتْ جَوَانِبَهَا	عَلَيْهِ وَاجْتَمَعَتْ مِنْ هَاهُنَا وَهُنَا
مَاذَا يَقُولُ إِذَا أَمْسَى بِحُفْرَتِهِ	فَرْدًا وَقَدْ فَارَقَ الْأَهْلِينَ وَالسَّكَنَا
هُنَاكَ يَعْلَمُ قَدْرَ الْوَحْشَتَيْنِ وَمَا	يَلْقَاهُ مَنْ بَاتَ بِاللَّذَاتِ مَرْتَهَنًا

يَا غَفْلَةً وَرِمَاحُ الْمَوْتِ شَارِعَةً وَالشَّيْبُ أَلْقَى بِرَأْسِي نَحْوَهُ الرَّسَنَا
وَلَمْ أُعِدْ مَكَانًا لِلنِّزَالِ وَلَا أَعْدَدْتُ زَادًا وَلَكِنْ غِرَّةً وَمُنَا
إِنْ لَمْ يَجِدْ مَنْ تَوَالَى جُودُهُ أَبَدًا وَيَعْفُ مَنْ عَفُوهُ مِنْ طَالِبِيهِ دَنَا
فِيَا إِلَهِي وَمُزْنُ الْجُودِ وَكَفَّةُ سَحًّا فَتَمَطَّرْنَا الْإِفْضَالَ وَالْمِنَنَّا
آيِسْ هُنَالِكَ يَا رَحْمَنُ وَحَشَّتْنَا وَالْطُفْ بِنَا وَتَرَفَّقْ عِنْدَ ذَاكَ بِنَا
نَحْنُ الْعَصَاةُ وَأَنْتَ اللَّهُ مَلَجُونَا وَأَنْتَ مَقْصِدُنَا الْأَسْنَى وَمَطْلَبُنَا
فَكُنْ لَنَا عِنْدَ بَأْسَاهَا وَشِدَّتِهَا أُولَى فَمَنْ ذَ الَّذِي فِيهَا يَكُونُ لَنَا

وكان عثمان رضى الله عنه إذا وقف على القبر يبكي حتى يبل لحيته فقيل له
تذكر الجنة والنار فلا تبكي وتبكي من هذا .

فقال سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ القَبْرُ أَوَّلُ مَنْزِلٍ مِنْ مَنْزِلِ الْآخِرَةِ ،
فَإِنْ نَجَا مِنْهُ صَاحِبُهُ فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ ، وَإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُّ مِنْهُ .

وَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ « مَا رَأَيْتُ مَنْظَرًا قَطُّ إِلَّا وَالْقَبْرُ أَفْطَحَ مِنْهُ »
أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ .

وأخرج ابن أبي الدنيا والحكيم الترمذي وأبو يعلى والحاكم في الكنى
والطبراني في الكبير وأبو نُعَيْمٍ عن أبي الحجاج الثمالي قال قال رسول الله ﷺ :
« يَقُولُ الْقَبْرُ لِلْمَيِّتِ حِينَ يُوضَعُ فِيهِ أَلَمْ تَعْلَمْ وَيَحَاكَ أُنِي بَيْتُ الْفِتْنَةِ ، وَبَيْتُ
الظُّلْمَةِ ، وَبَيْتُ الْوَحْدَةِ ، وَبَيْتُ الدُّودِ ، يَا ابْنَ آدَمَ مَا غَرَّكَ بِي إِذْ كُنْتُ تُمْرَ
عَلَيَّ فَدَادَا » .

فإن كان مُصْلِحاً أَجَابَ عَنْهُ مُجِيبُ الْقَبْرِ فيقولُ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ يَأْمُرُ
بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ فيقولُ الْقَبْرُ إِنِّي إِذَا أَتَحَوَّلْتُ عَلَيْهِ خَضِيراً وَيَعُودُ
جَسَدُهُ نُوراً وَتَصْعَدُ رُوحُهُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى .
وَجَدْتُ مَكْتُوبٌ عَلَى قَبْرِ :

ما خال من سكن الثرى ما حاله
أُمسى ولا رُوح الحياة يُصيبه
أضحى وحيداً موحشاً مُتفرداً
أُمسى وقد دَرسَتْ مَحاسِنُ وجهه
واستبدلت منه المَجالسُ غيرَه
هل من قِبل تُعلمون مكانه
أُمسى وقد صُرمَتْ هُناكَ جِبالُه
يوماً ولا لُطف الحبيب يَنالُه
مُتَشِيتاً بَعْدَ الجَمِيعِ عِيالُه
وتَفَرَّقتْ في قَبْرِه أوصالُه
وتُقسِّمَتْ مِنْ بَعْدِهِ أُمُوالُه
سَلِمَتْ على حَدَثِ الزَّمانِ رِجالُه

وَمَكْتُوبٌ على قَبْرِ آخَرٍ :

يا باكي المَيِّتِ على قَبْرِه
مَنْ عَايَنَ المَوْتَ فَذاك الذي
كَمْ مِنْ شَقِيقٍ لَمْ يَجِدْ غَيْرَ أَنْ
وَكَمْ مُحِبٍّ لِحَبِيبٍ إِذَا
إمضِ ودَعُهُ سَوَفَ تَسْلَاهُ
لَمْ تَرِ مِثْلَ المَوْتِ عَيْنَاهُ
أُغْمَضَ مَنْ يَهْوَى وَسَجَاهُ
سوى عليه اللّٰحْدُ نَحْلَاهُ

اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ سِرَّنَا وَعَلَانِيَتَنَا وَتَسْمَعُ كَلَامَنَا وَتَرَى مَكَانَنَا لَا يَخْفَى
عَلَيْكَ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِنَا نَحْنُ الْبُؤْسَاءُ الْفُقَرَاءُ إِلَيْكَ الْمُسْتَغِيثُونَ الْمُسْتَجِيرُونَ بِكَ
نَسْأَلُكَ أَنْ تُقَيِّضَ لِدِينِكَ مَنْ يَنْصُرُهُ وَيُزِيلُ مَا حَدَثَ مِنَ الْبَدْعِ وَالْمُنْكَرَاتِ
وَيُقِيمَ عِلْمَ الْجِهَادِ وَيَقْمَعَ أَهْلَ الزَّيْغِ وَالْكَفْرِ وَالْعِنَادِ وَنَسْأَلُكَ أَنْ تُغْفِرَ لَنَا
وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى
آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْل)

وقال رحمه الله :

فَكَمْ رَأَى مِنْ إِنْسَانٍ قَدْ أَعَدَّ ثَوْباً لِيَلْبِسَهُ فَكَانَ كَفَنَهُ ، وَكَمْ رَأَى مِنْ
بَنِي دَارٍ لَيْسَ كُنْهَا فَكَانَتْ قَبْرَهُ ، وَكَمْ رَأَى إِنْسَاناً يُحِبُّ الْوَلَدَ وَيَشْتَهِيهِ ،

وَيَسْأَلُ اللَّهُ أَنْ يَرْزُقَهُ وَلَدًا فَلَمَّا جَاءَهُ الْوَلَدُ صَارَ ضَرَرًا عَلَيْهِ فِي دِينِهِ وَدُنْيَاهُ .

وَرُبَّمَا قَتَلَ أَبَاهُ أَوْ أُمَّهُ اسْتِعْجَالًا لِلْمِيرَاثِ ، وَرُبَّمَا صَارَ عَارًا عَلَى وَالِدَيْهِ وَنِقْمَةً وَخِزْيًا كَمَا تَرَى وَتَسْمَعُ وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ أَمْرٍ لَا يُسْتَحَارَ اللَّهُ فِيهِ .

وَتَجِدُ كَثِيرًا مِمَّنْ ضَاعَتْ أَعْمَارُهُمْ فُرْطًا إِذَا ذُكِرَ بِالتَّوْبَةِ وَالرَّجُوعِ إِلَى اللَّهِ أَوْ خُوفٍ بِالْعُقُوبَةِ أَوْ بِالْمَوْتِ ، قَالَ دَعْنَا مِنْ هَذِهِ الْمُقَبَّضَاتِ ، وَحَدَّثْنَا بِالْمُبَشِّرَاتِ وَالْمُفْرَحَاتِ ، هَذَا عَصْرُ الشُّبَابِ وَاللَّدَاتِ .

وَإِذَا كَبِرْنَا ثُبْنَا إِلَى اللَّهِ ، وَالْأَمْرُ وَاسِعٌ ، وَلَا يَرَى الْمُسْكِينُ أَنَّهُ قَدْ شِيعَ جَنَائِزٌ إِلَى الْآخِرَةِ أَصْغَرَ مِنْهُ فِي السَّنِ ، وَأَحْدَثَ مِنْهُ بِالرَّحِمِ عَهْدًا ، قَدْ غَرَّتْهُ الشَّيْبَةُ وَخَدَعَتْهُ الصَّحَّةُ ، وَتَمَكَّنَتْ مِنَ الْغِرَّةِ بِمَا عِنْدَهُ مِنَ الثَّرْوَةِ وَالْقُوَّةِ .

وَلَا يَتَأَمَّلُ وَيُفَكِّرُ وَيَعْتَبِرُ فَيَرَى أَنَّ الْمَوْتَ فِي الشُّبَابِ أَكْثَرُ ، وَحَادِثُهُ فِيهِمْ أَسْرَعُ وَأَنَّ الَّذِي يَمُوتُ فِي الْهَرَمِ قَلِيلٌ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يَمُوتُ بَعْتَةً فِي السَّكَنَةِ الْقَلْبِيَّةِ وَأَنَّ الزَّمَانَ كُلَّهُ وَقْتُ لِلْمَوْتِ ، وَلَا يَخْتَصُّ مِنَ الْأَرْضِ بِمَكَانٍ دُونَ مَكَانٍ ، وَلَا مِنَ الزَّمَانِ بِوَقْتٍ دُونَ وَقْتٍ ، وَلَا يَزِلُ هَذَا الْمَغْرُورُ مُنْكَبًا عَلَى شَهَوَاتِهِ مُدَاوِمًا عَلَى لَذَّتِهِ غَافِلًا عَنْ يَوْمِ صَرَعَتِهِ ، حَتَّى يُؤْخَذَ بِمَا تَأْخِرُ وَمَا تَقْدَمُ ، وَيُلْقَى صَرِيحًا لِلْيَدَيْنِ وَلِلْفَمِ إِلَى حَيْثُ أَلْقَتْ رَحْلَهَا أُمَّ قَشْعَمِ .

وَفِي هَذَا وَأَمْثَالِهِ قَالَ الشَّاعِرُ :

نَالَ أُمُورًا خَابَ مَنْ نَالَهَا	ثُمَّ سَعَى يَطْلُبُ أَمْثَالَهَا
وَوَاقَعَ الذُّنْبَ فَمَا هَالَهُ	وَالْبَادِخَاتُ الشَّمُّ قَدْ هَالَهَا
وَقَالَ هَذِهِ سَنَوَاتُ الصَّبَا	فَاسْحَبْ عَلَى رِسْلِكَ أَذْيَالَهَا
وَمَرَّ يَسْتَهْتِرُ فِي عُصْبَةٍ	مِنْ شَكْلِهِ تَصْنَبُ أَشْكَالَهَا
أَوَّلَى لَهُ ثَمَّتْ أَوَّلَى لَهُ	وَتِلْكَمُ الْعُصْبَةُ أَوَّلَى لَهَا

ثم اعلم رَجِمَنَا اللهُ وَإِيَّاكَ والمسلمين أَنَّ حُبَّ الدُّنْيَا فِي القلبِ رَاسِخٌ
وإِخْرَاجُهَا مِنْهُ صَعْبٌ جَدًّا إِلَّا لِمَنْ عَصَمَهُ اللهُ جَلَّ وَعَزَّ ، والنَّفْسُ إِلَى الدُّنْيَا
أُمِيلُ وَهِيَ بِهَا أَشْغَفُ ، وَفِي طَلِبِهَا أَهْلُكَ وَعَنْ طَرِيقِ الرُّشْدِ أَبْعَدُ وَأَصْرَفُ ،
وَاسْمَعْ إِلَى مَا قِيلَ فِي الدُّنْيَا :

هِيَ الْمُشْتَهَى وَالْمُنْتَهَى وَمَعَ السُّهَى أَمَانِيْ مِنْهَا دُونُهُنَّ الْعَظَائِمُ
وَلَمْ تُلْفِنَا إِلَّا . وَفِينَا تَحَاسُدٌ عَلَيْهَا وَلَا فِي الصُّدُورِ سَخَائِمُ

وقال الآخر :

يُسِيءُ أَمْرُوْنا مَا فَيَغْضُ دَائِمًا وَدُنْيَاكَ مَا زَالَتْ تُسِيءُ وَتُومَقُ
أَسْرَ هَوَاهَا الشَّيْخُ وَالْكَهْلُ وَالْفَتَى بِجَهْلِهِ فَمَنْ كُلِّ النَّوَاطِرِ تُرْمَقُ
وَمَا هِيَ أَهْلٌ أَنْ يُؤْهَلَ مِثْلُهَا لَوْ دُ . وَلَكِنَّ ابْنَ آدَمَ أَحْمَقُ

وقال الآخر :

لِسَائِكَ لِلدُّنْيَا عِلْوٌ مُشَاحِنٌ وَقَلْبُكَ فِيهَا لِلْسَّانِ مُبَايِنٌ
وَمَا ضَرَّهَا مَا كَانَ مِنْكَ وَقَدْ صَفَا لَهَا مِنْكَ وَدٌّ فِي قُوَادِكَ كَامِنٌ

وإِنَّ حُبَّ الدُّنْيَا لَهْوُ الدَّاءِ الْعُضَالِ ، الَّذِي أَهْلَكَ التَّسَاءَ وَالرِّجَالَ وَأَفْسَدَ
كَثِيرًا مِنَ الْأَعْمَالِ ، إِلَّا أَنْ تَأْتِيَ الْعِنَايَةُ الْإِلَهِيَّةُ ، فَتَصْرِفُ الْإِنْسَانَ إِلَى النَّظَرِ
الصَّحِيحِ ، وَتَجْمِلُهُ عَلَى الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ .

فَيَرَى بَعَيْنَ الْحَقِيقَةِ وَصَحِيحَ الْبَصِيرَةِ إِنَّهُ لَا بُدَّ مِنَ الْمَوْتِ ، وَأَنَّهُ يُدْفَنُ
تَحْتَ أَطْبَاقِ الْكُرَى ، وَيُرْمَى بِهِ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ ، وَيُسَلَّطُ الدُّوْدُ عَلَى
جَسَدِهِ ، وَالْهَوَامُّ عَلَى بَدَنِهِ ، فَتَأْخُذُهُ مِنْ قَرْنِهِ إِلَى قَدَمِهِ .

وقد عدم الطيب واسلمه القريب ، وتركه الصديق والحبيب والقريب ،
وأناه منكر ونكير ، ولم يجد هناك أنيساً إلا عمله .

أَسْلَمْنِي الْأَهْلُ يَبْطِنِ الثَّرَى وَأَنْصَرَفُوا عَنِّي فَيَا وَحْشَتَا
وَعَادَرُونِي مُغْدِمًا يَائِسًا مَا بِيَدِي الْيَوْمَ إِلَّا الْبُكَاءُ
وَكُلُّ مَا كَانَ كَانَ لَمْ يَكُنْ وَكَانَ مَا حَادَرْتُهُ قَدْ أَتَى
وَذَاكُمُ الْمَجْمُوعُ وَالْمُقْتَنَى قَدْ صَارَ فِي كَفِّي مِثْلَ الْهَبَا
وَلَمْ أَجِدْ لِي مُؤْنِسًا هَاهُنَا غَيْرَ فُجُورٍ كَانَ لِي أَوْ تُقَى
فَلَوْ تَرَانِي أَوْ تَرَى حَالَتِي بَكَيتَ لِي يَا صَاحَّ مِمَّا تَرَى

اللَّهُمَّ نَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ النَّارِ وَعَافِنَا مِنْ دَارِ الْخِزْيِ وَالْبَوَارِ وَأَدْخِلْنَا
بِفَضْلِكَ الْجَنَّةَ دَارَ الْقَرَارِ وَعَامِلِنَا بِكَرَمِكَ وَجُودِكَ يَا كَرِيمُ يَا غَفَّارُ وَاغْفِرْ لَنَا
وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْل)

وَأَمَّا الدُّنْيَا فَيَنْظُرُ إِلَيْهَا فَإِنْ كَانَ مَلِكًا نَظَرَ إِلَى مَنْ تَقَدَّمَ مِنْهُ مِنَ الْمُلُوكِ وَمَا
فَعَلَ الْمَوْتُ بِهِمْ كَيْفَ فَرَّقَ جُمُوعَهُمْ وَشَتَّتْ شَمْلَهُمْ وَأَقْفَرَتْ مِنْهُمْ قُصُورُهُمْ
وَعَمَرَتْ بِهِمْ حُفَرُهُمْ وَقُبُورُهُمْ .

وَكَذَلِكَ إِنْ لَمْ يَكُنْ مَلِكًا وَكَانَ مِنْ أَصْنَافِ النَّاسِ وَصِفَاتِهِمْ فِي ثَقَلِ الدُّنْيَا
بِهِمْ مَعْلُومَةٌ وَأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ إِنْسَانٍ إِلَّا وَلَهُ نَصِيبٌ مِنَ الْكَدْرِ وَالْهَمِّ يَقِلُّ عِنْدَ
إِنْسَانٍ وَيَكْثُرُ عِنْدَ آخَرٍ .

فَإِذَا أَخَذَ الْإِنْسَانُ نَفْسَهُ بِهَذِهِ الْأَفْكَارِ وَعَرَضَ عَلَيْهَا هَذَا الْإِعْتِبَارَ أَثَرُ عَلَيْهِ
هَذَا وَأَعْرَضَ عَنِ الدُّنْيَا وَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهَا إِلَّا بِمَقْدَارٍ مَا يَقِيتُهُ ، وَتَذَكَّرَ الْمَوْتَ
وَحَافَ فَجَأَتَهُ وَلَمْ يَأْمَنْ بَعَثَتُهُ وَهَجَمَتُهُ وَصَدَمَتُهُ وَصَرَعَتُهُ .

والله سبحانه وتعالى وَلِيُّ التَّوْفِيقِ بِفَضْلِهِ وَكَرَمِهِ لَا رَبَّ غَيْرُهُ وَلَا مَعْبُودَ سِوَاهُ .

وقال رحمه الله : وَاعْلَمُ أَنَّ مَنْ كَانَ مُنْتَظِرًا لِعِقَابٍ أَنْ يَنْزَلَ بِهِ مِنْ أَمِيرِ بَلَدَتِهِ فَإِنَّهُ لَا يَزَالُ مُتَأَلِّمَ الْقَلْبِ مَشْغُولَ النَّفْسِ .

فَإِنَّ مَنْ تُوعِدَ أَنْ يُضْرَبَ مِائَةً سَوْطٍ فَإِنَّهُ أَشْغَلَ قَلْبًا مِمَّنْ تُوعَدُ أَنْ يُضْرَبَ عَشْرَةَ أَسْوَاطٍ .

وَمَنْ تُوعِدَ أَنْ يُقَطَعَ مِنْهُ جَارِحُهُ أَكْثَرَ تَوَجُّعًا مِمَّنْ تُوعَدُ أَنْ يُضْرَبَ مِائَةً سَوْطٍ وَمَنْ تُوعِدَ أَنْ يُضْرَبَ عُنُقُهُ أَشَدَّ خَوْفًا مِمَّنْ تُوعِدَ أَنْ يُقَطَعَ أَحَدُ جَوَارِحِهِ يَدِهِ أَوْ رِجْلِهِ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ .

وَمِمَّا مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ تُوعَدُ بِالْقَتْلِ لِأَنَّ الْمَوْتَ قَتْلٌ فِي الْبَاطِنِ كَالْحَنْقِ فَقَدْ بَانَ لَكَ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَّا يَنْتَظِرُ الْقَتْلَ يَنْتَظِرُ مَلَكٌ يَثْبُ عَلَيْهِ فَيَقْبِضُ رُوحَهُ .

فَلَوْ كُشِفَ لِلنَّاسِ عَنْ أَبْصَارِهِمْ فَرَأَوْا الْمَوْتَ حِينَ يَهْجُمُ عَلَيْكَ وَشَاهَدُوهُ فِي الْبَاطِنِ حِينَ يَأْخُذُ رُوحَكَ لَمَا كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ إِنْسَانٍ يَفْتُلُكَ فِي الظَّاهِرِ فَرْقٌ إِلَّا أَنَّ الْإِنْسَانَ يَحْتَاجُ إِلَى آلَةٍ يَقْتُلُ بِهَا مِنْ سَيْفٍ أَوْ سَكِينٍ أَوْ نَحْوِهِمَا وَمَلَكُ الْمَوْتِ لَا يَحْتَاجُ إِلَى شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ .

وَاعْلَمْ أَنَّ شِدَّةَ سَكَرَاتِ الْمَوْتِ لَا يَعْرِفُهَا عَلَى الْحَقِيقَةِ إِلَّا اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا وَمَنْ ذَاقَهَا ، وَمَنْ لَمْ يَذُقْهَا فَإِنَّمَا يَعْرِفُهَا إِذَا بِالْقِيَاسِ عَلَى الْآلَامِ الَّتِي أَذْرَكَهَا وَإِنَّمَا بِالْإِسْتِدْلَالِ بِأَحْوَالِ النَّاسِ فِي النَّزْعِ عَلَى شِدَّةِ مَا هُمْ فِيهِ ، وَالنَّزْعُ عِبَارَةٌ عَنْ مُؤَلِّمِ نَزْلِ نَفْسِ الرُّوحِ فَاسْتَعْرِقَ جَمِيعَ أَجْزَائِهِ .

فَالَّذِي النَّزْعُ يَهْجُمُ عَلَى نَفْسِ الرُّوحِ فَيَسْتَعْرِقُ جَمِيعَ أَجْزَائِهِ ، فَإِنْ

الْمَنْزُوعَ وَالْمَجْدُوبَ مِنْ كُلِّ عِرْقٍ مِنَ الْعُرُوقِ وَعَصَبٍ مِنَ الْأَعْصَابِ وَجُزْءٍ مِنَ
الْأَجْزَاءِ وَمَفْصِلٍ مِنَ الْمَفَاصِلِ وَمِنْ أَصْلِ كُلِّ شَعْرَةٍ وَبَشْرَةٍ مِنْ رَأْسِهِ إِلَى قَدَمِهِ
فَلَا تَسْأَلُ عَنْ كَرْبِهِ وَأَلَمِهِ .

وَلَا تَسْأَلُ عَنْ بَدَنِ يُجَذَّبُ مِنْهُ كُلُّ عِرْقٍ مِنْ عُرُوقِهِ ، وَلَوْ كَانَ الْمَجْدُوبُ
عِرْقًا وَاحِدًا لَكَانَ أَلَمُهُ عَظِيمًا فَكَيْفَ وَالْمَجْدُوبُ نَفْسُ الرُّوحِ الْمُتَأَلَّمِ ، وَلَيْسَ
هُوَ مِنْ عِرْقٍ وَاحِدٍ ، بَلْ مِنْ جَمِيعِ الْعُرُوقِ .

ثُمَّ يَمُوتُ كُلُّ عُضْوٍ مِنْ أَعْضَائِهِ تَدْرِيجًا فَتَبْرُدُ أَوَّلًا قَدَمَاهُ لِفَرَاغِهَا مِنَ
الرُّوحِ ، ثُمَّ سَاقَاهُ كَذَلِكَ ، ثُمَّ فَخِذَاهُ وَلِكُلِّ عُضْوٍ سَكْرَةٌ بَعْدَ سَكْرَةٍ ،
وَكُرْبَةٌ بَعْدَ كُرْبَةٍ حَتَّى يَبْلُغَ بِهَا الْحُلُقُومَ .

فَعِنْدَ ذَلِكَ يَنْقَطِعُ نَظَرُهُ عَنِ الدُّنْيَا وَأَهْلِهَا ، وَيُعَلِّقُ دُونَهُ بَابَ التَّوْبَةِ ، وَتُحِيطُ
بِهِ الْحَسْرَةُ وَالنَّدَامَةُ وَالْهُمُومُ ، وَالْغُمُومُ ، وَسَائِرُ الْأَحْزَانِ .

تَسْأَلُ اللَّهُ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ الْحَيِّ الْقَيُّومِ ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ أَنْ يُلَطِّفَ بِنَا
وَيَتَدَارَكُنَا بِعَفْوِهِ وَغُفْرَانِهِ وَجُودِهِ وَإِحْسَانِهِ .

وَيُرَوِّى أَنَّ الْعَبْدَ يَقُولُ لِمَلِكِ الْمَوْتِ عِنْدَ الْمَوْتِ يَا مَلِكَ الْمَوْتِ أَخْرِنِي يَوْمًا
أَسْتَعْتِبُ فِيهِ وَأَتُوبُ إِلَى رَبِّي وَأَعْمَلُ صَالِحًا فَيَقُولُ لَهُ فَنَيْتِ الْأَيَّامَ فَلَا يَوْمَ فَيَقُولُ
أَخْرِنِي سَاعَةً فَيَقُولُ فَنَيْتِ السَّاعَاتِ فَلَا سَاعَةَ .

فَتَبْلُغُ الرُّوحُ الْحُلُقُومَ فَيُؤَخَذُ بِكَضْمِهِ عِنْدَ الْعَرَاغَةِ . فَيُعَلِّقُ بَابَ التَّوْبَةِ
دُونَهُ ، وَيُحَجِّبُ عَنْهَا وَتَنْقَطِعُ الْأَعْمَالُ وَتُطَوَّى الصُّحُفُ وَتَتِمُّ الْأَوْقَاتُ وَيَبْقَى
عَدَدُ الْأَنْفَاسِ يَشْهَدُ فِيهَا الْمُعَايِنَةَ عِنْدَ كَشْفِ الْغِطَاءِ .

وَشَيْعُوهُ جَمَاعَاتٌ تَطُوفُ بِهِ تُعْشَى الْعُيُونُ بِمَرَاةَا وَكَثَرَتْهَا

مِنْ بَيْنِ بِالٍ يَكْفُ فَيُضَ دَمْعَتِهِ وَيَبْنَ صَارِخَةً تُفْرِغُ بَصْرِخَتِهَا
 حَتَّى أَتُوا حُفْرًا إِزَاءَ بَلَدِ تِهِمْ فَعَادَرُوهُ بِهَا رَهْنًا لَوْحَشَتِهَا
 وَمَا دَرَوْا هَلْ تَلَقَّتُهُ بِنَفْحَتِهَا دَارَ الْمَقَامَةِ أَوْ نَارَ بِلْفَحَتِهَا
 ثُمَّ انْتَنَوْا نَحْوَ أَمْوَالٍ قَدْ أَحْرَزَهَا لِلنَّائِبَاتِ فَحَازُوَهَا بِجُمْلَتِهَا
 وَذَاكُمْ الْبَائِسُ الْمَعْرُورُ مَا دَفَعَتْ عَنْهُ الْقَضَاءَ وَلَا أَسْتَشْفَى بَلَدَتِهَا
 لَكِنْ تَحْمَلُ مِنْهَا كُلَّ فَادِحَةٍ مِنَ الْكِبَائِرِ لَا يَقْوَى لِعِدَّتِهَا
 وَمَا بَكَتُهُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ حِينَ مَضَى وَلَا الرِّيَاضُ نَضَّتْ أَثْوَابَ زَهْرَتِهَا

اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا لِصَالِحِ الْأَعْمَالِ ، وَنَجِّنَا مِنْ جَمِيعِ الْأَهْوَالِ ، وَأَمْنًا مِنَ الْفِرَاقِ
 الْأَكْبَرِ يَوْمَ الرَّجْفِ وَالزَّلْزَالِ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا ، وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
 الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ
 وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْل)

وقال رحمه الله تعالى :

واعلم أن الناسَ في قِصَرِ الْأَمَلِ وطُولِهِ مُخْتَلِفُونَ وفي دَرَجَاتِهِ مُتَفَاوِتُونَ ،
 فَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمَلُ أَنْ يَعِيشَ أَقْصَى مَا يَعِيشُهُ إِنْسَانٌ مِمَّنْ شَاهَدَ أَوْ سَمِعَ بِهِ فِي
 زَمَانِهِ .

ولو كان الإِخْتِيَارُ إِلَيْهِ لَمَا مَاتَ أَبَدًا حُبًّا مِنْهُ لِلدُّنْيَا وَكَلْفًا بِهَا وَتَلَذُّذًا بِالْبَقَاءِ
 فِيهَا وَهِيَئَاتِ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمْنَى وَلَا يُدْرِكُ كُلَّ مَا فِيهِ تَعْنَى .

مَا كُلُّ مَا يَتَمَنَّى الْمَرْءُ يُدْرِكُهُ تَجْرِي الرِّيحُ بِمَا لَا تَشْتَهِي السُّفُنُ

وغايةُ هذا أَنْ يَتَمَنَّى طُولَ الْعُمَرِ وَيَوَدُّ لَوْ يَبْقَى الْأَحْقَابَ الْكَثِيرَةَ مِنَ الدَّهْرِ .

قال الله جل وعلا في قوم كانوا كذلك : ﴿ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يَعْمُرُ الْآلِفَ سَنَةً ﴾ .

ويمكن أن يكون هؤلاء تمنوا لأنهم لم يتحقق في الآخرة لهم رجاء لكفرهم بمحمد ﷺ وتكذيبهم له مع صحة نبوته عندهم لكن حملهم بغيههم وحسداهم له على الكفر به والانكار لدعوته وهذه الآية نزلت في اليهود .

وممنهم من يؤمل أن يعيش ستين سنة وسبعين وأكثر من ذلك ومن الناس من لا يجاوز أمله يومه وربما كان أمله أقصر من ذلك .

بل منهم من يكون الموت نصب عينيه يتوقعه مع الأنفاس أن يشب عليه . كان بعض الصالحين يقول ما أحسبني إلا رجلاً قد أقعد ليقتل وجرد السيف عليه ومدت عنقه فهو ينتظر أن يضرب فيلقى رأسه بين يديه . وأنشد بعضهم :

والبس لهذا الموت جبة خائف	قد ضاق عنه مسلك ومقام
لأأمنن عليك من إقدامه	قله على هذا الورى إقدام
واكحل جفونك بالرقاد لأجله	فالسهد حل والمنام حرام
إلا غرأ كالغذاء تناله	لولا الضرورة ما وجدت نيام
ومن العجائب أن تراه نائماً	من طابوه ساهرون نيام

وقال وآخر : قد مد في عمره وطول في أمله فازداد في كسله ودخل الوهن في عمله .

ورجل آخر قد جعل التقوى بضاعته ، والعبادة صناعته ، ولم يتجاوز بأمله ساعته بل جعل الموت نصب عينيه ومثلاً قائماً بين يديه وسيفاً مصلتاً عليه .

فهو مترقب له مستعد لنزوله لا يشغله عن إرتقابه شاغل ، ولا يصرفه عن الاستعداد له صارف قد ملأ قلبه خوفاً وجلالاً وعمره عملاً ، وعد يوماً يعيشه بقاءً ومهلاً وغنيمة تملأ نفسه سروراً وفرحاً وجدلاً .

لَا زِدَادِهِ فِيهِ مِنَ الْخَيْرِ وَأَدَّخَارِهِ فِيهِ مِنَ الْأَجْرِ وَاسْتَسَابِهِ عِنْدَ اللَّهِ عِزٌّ وَجَلٌّ مِنْ جَمِيلِ الذِّكْرِ ، وَمِثْلُ هَذَا قَدْ وَفَّقَهُ اللَّهُ ، فَرَفَعَ التَّوْفِيقَ عَلَيْهِ لَوَاعَهُ ، وَأَلْبَسَهُ رِدَاءَهُ ، وَأَعْطَاهُ جَمَالَهُ .

فَانْظُرْ رَحِمَكَ اللَّهُ أَيُّ الرَّجُلَيْنِ تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ وَأَيُّ الْعَمَلَيْنِ تُرِيدُ أَنْ تَعْمَلَ ، وَبِأَيِّ الرَّدَائِنِ تُرِيدُ أَنْ تَشْتَمِلَ ، وَبِأَيِّهِمَا تُرِيدُ أَنْ تَتَزَيَّنَ وَتَتَجَمَّلَ .

فَلَسْتُ تَلْبَسُ هُنَاكَ إِلَّا مَا لَبَسْتَ هُنَا وَلَا تُحْشَرُ هُنَاكَ إِلَّا فِيمَا كُنْتَ فِيهِ هُنَا إِنْ صَلَاحٌ فَصَلَاحٌ ، وَإِنْ فُجُورٌ فَفُجُورٌ .

وَلَعَلَّ هَذَا تَأْوِيلُ الْخَبَرِ الْمَرْوِيِّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : « يُنْعَثُ الْمَيِّتُ فِي ثِيَابِهِ الَّتِي مَاتَ فِيهَا » لِأَنَّهُ قَدْ صَحَّ أَنَّ النَّاسَ يُنْعَثُونَ حُفَاةَ عُرَاةٍ غُرْلًا فَتَفَكَّرْ فِي هَذَا الْمَشْهَدِ الْعَظِيمِ ، وَالْيَوْمِ الْعَقِيمِ ، يَوْمٌ يُجْمَعُ فِيهِ كُلُّ الْخَلْقِ ، قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا : ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ ﴾ ، وَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿ ذَلِكَ يَوْمَ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ ﴾ وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « يَجْمَعُ اللَّهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَيَسْمِعُهُم الدَّاعِيَ وَيَنْفِذُهُمُ الْبَصَرَ » .

فَتَفَكَّرْ يَا أَخِي فِي أَيِّ أَرْضٍ تَسْعُهُمْ ، وَأَيِّ مَكَانٍ يَحْمِلُهُمْ ، فَكَيْفَ وَيُجْمَعُ الْوُحُوشُ النَّافِرَةُ وَالْهَوَامُّ الشَّارِدَةُ ، وَكَيْفَ يُحْشَرُونَ مِنْ بَيْنِ مَحْمُولٍ قَدْ مُدَّ ظِلَالُ الرَّحْمَةِ عَلَيْهِ ، وَجُمِعَتِ الْأَمَانِيُّ بَيْنَ يَدَيْهِ .

وَقَسِّمْ آخِرَ يُحْشَرُونَ عَلَى وَجُوهِهِمْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ : ﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وَجُوهِهِمْ عُثْمًا وَبُكْمًا وَصُغْمًا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زُدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴾ .

يُحْشَرُ الْخَلَائِقُ عَلَى أَرْضٍ بَيِّضَاءَ قَاعٍ صَفْصَفٍ مُسْتَوِيَةٍ قَالَ تَعَالَى :

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴾ .

وقال صلى الله عليه وسلم : « يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَرْضٍ يَبْضَاءُ عَفْرَاءَ كَقُرْصِ النَّقِيِّ لَيْسَ فِيهَا عِلْمٌ لِأَحَدٍ » أَرْضٌ مُسْتَوِيَةٌ لَا جَبَلٌ فِيهَا وَلَا أَكْمَةٌ وَلَا رَبْوَةٌ وَلَا وَهْدَةٌ أَرْضٌ يَبْضَاءُ نَقِيَّةٌ .

قال الله جَلَّ وَعَلَا : ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾ .

فَتَفَكَّرْ يَا أَخِي مَا دُمْتَ فِي قَيْدِ الْحَيَاةِ فِي هَذَا الْمَجْتَمَعِ الْعَظِيمِ ، وَهَذَا الْهَوْلِ الْأَشْتَعِ وَالْحَطْبِ الْأَفْدَحِ ، الْأَقْطَعِ الْأَبْشَعِ .

وَفَكَّرْ فِيمَنْ يَحْضُرُهُ وَيَشْهَدُهُ وَيُعَانِيهِ وَيُبْصِرُهُ ، وَكَيْفَ يَقُومُونَ عَلَى أَقْدَامِهِمْ ، وَيَشْخَصُونَ بِأَبْصَارِهِمْ .

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴾ وَأَنْتَ مَعَهُمْ فِي ضَيْيقِ مَقَامٍ ، وَطُولِ قِيَامٍ قَدْ جُمِعُوا .

وَقَدْ أُنْشِقَّتِ السَّمَاءُ فَوْقَهُمْ ، وَطَاشَتِ الْأَكْبَابُ ، وَذَهَلَتِ الْأَوْهَامُ ، وَتَحَيَّرَتِ الْعُقُولُ ، وَتَلَجَلَجَلَ الْأَلْسُنُ ، فَلَمْ يَنْدِرِ قَائِلٌ مَا يَقُولُ .

قال الله جل جلاله وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ : ﴿ وَأُنْذِرُهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاطْمِينَ ﴾ وقال تعالى : ﴿ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴾ .

فَيَالَهُ مِنْ هَوْلٍ تَنْهَدُ مِنْهُ الْجِبَالُ ، فَكَيْفَ الرِّجَالُ ، وَيَالَهُ مِنْ حَطْبٍ تَنْشَقُّ

منه السماء ، فكَيْفَ الأحشاء ، ففكّرَ يَا أُخِي فيما يَشُقُّ سَمْعَكَ مِنْ ذَلِكَ ،
وما يَخْلُعُ قَلْبَكَ مِنَ الرُّوعِ .

وكَيْفَ بِكَ إِذَا رَأَيْتَ الشَّمْسَ مُكْوَرَةً فَذَهَبَ ضَوْؤُهَا ، والنجومَ قَدْ
طُمِسَتْ فَمَجَى نُورُهَا ، وَزَالَتْ عَنْ مَوَاضِعِهَا ، واشتَبَكَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ فِي
بَعْضٍ ، وصَارُوا كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ، وكَانَتْ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ،
وَقَامَتِ الْمَلَائِكَةُ عَلَى أَرْجَاءِ السَّمَاءِ ، وَأَحَاطَتْ بِالْخَلَائِقِ مِنْ كُلِّ الْأَرْجَاءِ .

وَالنَّاسُ حُفَاةٌ غُرَاةٌ غُرَلًا كَمَا خُلِقُوا ، قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا : ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا
فِرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ ﴾ .

فِيَالَهُ مِنْ يَوْمٍ يَخْتَلِطُ فِيهِ الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ ، وَقَدْ أُمِنُوا أَنْ يَنْظُرَ بَعْضُهُمْ إِلَى
بَعْضٍ .

وَفِي مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ
ﷺ يَقُولُ : « يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُفَاةٌ غُرَاةٌ غُرَلًا قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ
النِّسَاءُ وَالرِّجَالُ جَمِيعًا يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالَ يَا عَائِشَةُ الْأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ
يَنْظُرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ .

فِيَالِكَ مَنْ هَوْلٍ مَا أُعْظِمَهُ ، وَمَنْ كَرِبٍ مَا أَشَدَّهُ ، وَمَنْ خَطْبٍ مَا أَبْشَعُهُ
فِيَالِكَ أَنْ تَسْتَبْطِئَ هَذَا الْيَوْمَ أَوْ تَسْتَبْعِدَهُ ، فَمَا سَيَّرَكَ إِلَيْهِ بِطُيْءٍ ، وَمَا هُوَ
مِنْكَ بِبَعِيدٍ ، وَإِنْ طَالَ الْمَدَى وَامْتَدَّتِ الْعَايَةُ فَكُلُّ مَا هُوَ آتٍ قَرِيبٌ .

قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا : ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ
يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ﴾ وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ
ضُحَاهَا ﴾ وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ

بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِينَ ﴿١﴾ وَقَالَ تَعَالَى : ﴿٢﴾ إِذْ يَقُولُ أُمَثِّلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَيْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿٣﴾ وَقَالَ تَعَالَى : ﴿٤﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ ﴿٥﴾ .

شِعْرًا :

يَا آمِنَ السَّاحَةِ لَا يُدْعَرُ	بَيْنَ يَدَيْكَ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ
وَلِئَمَّا أَنتَ كَمَحْبُوسَةٍ	حُمَّ رَدَاهَا وَهِيَ لَا تَشْعُرُ
وَالْمَرْءُ مَنْصُوبٌ لَهُ حَتْفُهُ	لَوْ أَنَّهُ مِنْ عَمِهِ يُبْصِرُ
وَهَذِهِ النَّفْسُ لَهَا حَاجَةٌ	وَالْعُمُرُ عَنْ تَحْصِيلِهَا يَقْصُرُ
وَكَلَّمَا تُزَجَّرُ عَنْ مَطْلَبٍ	كَانَتْ بِهِ أَكْلَفَ إِذْ تُزَجَّرُ
وَلِئَمَّا تَقْصُرُ مَغْلُوبَةً	كَلِمَاءٍ عَنْ غُنْصُرِهِ يَقْصُرُ
وَرُبَّمَا أُلْقَتْ مَعَاذِيرُهَا	لَوْ أَنَّهَا وَيَحَهَا تُعْلَرُ
وَنَاطِرُ الْمَوْتِ لَهَا نَاطِرُ	لَوْ أَنَّهَا تَنْظُرُ إِذْ يَنْظُرُ
وَزَائِرُ الْمَوْتِ لَهُ طَلْعَةٌ	يُبْصِرُهَا الْأَكْمَةُ وَالْمُبْصِرُ
وَرَوْعَةُ الْمَوْتِ لَهَا سَكْرَةٌ	مَا مِثْلُهَا مِنْ رَوْعَةٍ تَسْكِرُ
وَبَيْنَ أَطْبَاقِ الثَّرَى مَنْزِلُ	يَنْزِلُهُ الْأَعْظَمُ وَالْأَحْقَرُ
يَتْرَكَ ذُو الْفَخْرِ بِهِ فَخْرَهُ	وَصَاحِبُ الْكِبَرِ بِهِ يَصْغُرُ
قَدْ مَلَأَتْ أَرْجَاءَهُ رَوْعَةٌ	نَكِيرُهَا الْمَعْرُوفُ وَالْمُنْكَرُ
وَبَعْدُ مَا بَعْدُ وَأَعْظَمُ بِهِ	مِنْ مَشْهَدٍ مَا قَدْرُهُ يُقْدَرُ
يُرْجَفُ مِنْهُ الْوَرَى رَجْفَةٌ	يَنْهَدُ مِنْهَا الْمَلَأُ الْأَكْبَرُ
وَلَيْسَ هَذَا الْوَصْفُ مُسْتَوْفِيًا	كُلُّ الَّذِي مِنْ وَصْفِهِ يُذَكَّرُ
وَلِئَمَّا ذَا قَطْرَةٍ أُرْسِلَتْ	مِنْ أَبْحُرٍ تَتْبَعُهَا أَبْحُرُ
وَقَدْ أَتَاكَ الثَّبْتُ عَنْهُ بِمَا	أُخْبَرَكَ الصَّادِقُ إِذْ يُخْبِرُ
فَاغْمَلْ لَهُ وَنَيْكَ وَإِلَّا فَلَا	عُدْرَ وَمَا مِثْلُكَ مَنْ يُعْدَرُ

اللَّهُمَّ اعْطِنَا مِنَ الْخَيْرِ فَوْقَ مَا نَرْجُو وَاصْرِفْ عَنَّا مِنَ السُّوءِ فَوْقَ مَا نَحْذَرُ . اللَّهُمَّ عَلِّ قُلُوبَنَا بِرَجَائِكَ وَاقْطَعْ رَجَاءَنَا عَمَّنْ سِوَاكَ . اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ عُيُوبَنَا فَاسْتُرْهَا وَتَعْلَمُ حَاجَاتِنَا فَاقْضِهَا كَفَى بِكَ وَكْفَى بِكَ نَصِيرًا يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا لِسُلُوكِ سَبِيلِ عِبَادِكَ الْأَخْيَارِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

فصل (

قال أحد العلماء أعلم أن الموت هائل وخطره عظيم وغفلة الناس عنه لِقَلَّةِ فِكْرِهِمْ فِيهِ ، وَقَلَّةِ ذِكْرِهِمْ لَهُ ، والذي يذكره لَيْسَ يَذْكُرُ بِقَلْبٍ فَارِغٍ بَلْ بِقَلْبٍ مَشْغُولٍ بِالدُّنْيَا وَشَهَوَاتِهَا وَلَا يُفْقِدُ ذِكْرَ الْمَوْتِ فِي اللِّسَانِ فَقَطْ .

فَالطَّرِيقُ النَّافِعُ بِإِذْنِ اللَّهِ أَنْ يُفَرِّغَ الْعَبْدُ قَلْبَهُ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَا وَالَاهِ وَذِكْرِ الْمَوْتِ الَّذِي هُوَ بَيْنَ يَدَيْهِ قَالَ جَل وَعَلَا : ﴿ إِنْ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ .

فَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ يُؤَثِّرَ فِيكَ ذِكْرُ الْمَوْتِ فَاجْعَلْ نَفْسَكَ كَالَّذِي يُرِيدُ أَنْ يُسَافِرَ إِلَى مَحَلِّ خَطَرٍ أَوْ إِلَى مَفَازَةٍ مُخْطِرَةٍ أَوْ كَالَّذِي يُرِيدُ أَنْ يَرْكَبَ فِي الْبَحْرِ أَوْ فِي أَيِّ مَرْكَبٍ مِنَ الْمَرَائِبِ الْخَطِرَةِ فَإِنَّهُ لَا يَتَفَكَّرُ إِلَّا فِيهِ .

فَإِذَا بَاشَرَ ذِكْرَ الْمَوْتِ قَلْبَكَ فَيُوشِكُ أَنْ يُؤَثِّرَ فِيهِ وَعِنْدَ ذَلِكَ يَقِلُّ فَرَحُكَ وَسُرُورُكَ وَيَنْكَسِرُ قَلْبُكَ وَيَضْعُفُ اهْتِمَامُكَ بِالدُّنْيَا وَشُؤْنِهَا وَيَقْوَى اهْتِمَامُكَ لِلْآخِرَةِ .

وَأَنْجَحُ الطَّرِيقِ لِذَلِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ تَتَذَكَّرَ أَقْرَانِكَ فِي السَّنِ الدِّينِ

قَصَمَتْهُمْ هَادِمُ اللَّذَاتِ وَمُشْتَتِ الشَّمْلِ وَمُفَرِّقِ الْجَمَاعَاتِ فَتَذَكَّرُ مَوْتَهُمْ
وَمَصَارِعَهُمْ تَحْتَ التُّرَابِ ، وَتَذَكَّرُ صُورَهُمْ وَمَنَاصِبَهُمْ وَأَحْوَالَهُمْ ؛
وَأَزْوَاجَهُمْ ، وَأَوْلَادَهُمْ ، وَمَسَاكِنَهُمْ مِنْ بَعْدِهِمْ وَتَفَكَّرُ وَتَأْمُلُ كَيْفَ مَحَا
التُّرَابِ أَجْسَامَهُمْ وَحُسْنَ صُورِهِمْ وَكَيْفَ تَبَدَّدَتْ أَجْزَاؤُهُمْ فِي قُبُورِهِمْ وَكَيْفَ
أَرْمَلُوا نِسَاءَهُمْ وَآيَتَمُّوا أَوْلَادَهُمْ وَضَيَّعُوا أَمْوَالَهُمْ الَّتِي قَاسُوا عَلَى جَمْعِهَا
الشَّدَائِدَ وَالْمَشَقَّاتِ وَتَنَعَّمَ بِهَا غَيْرُهُمْ مِمَّنْ جَاءَتْهُمْ عَفْوَاً بِلَا تَعَبٍ وَالْحِسَابُ
وَالثُّبَعَاتُ عَلَى الْمَسْكِينِ الَّذِي ضَيَّعَ نَفْسَهُ وَصَارَ كَمَا قَالَ الْقَائِلُ :

وَذِي حِرْصٍ تَرَاهُ يُلِمُّ وَفَرّاً لِيَوَارِيهِ وَيَذْفَعُ عَنْ جِمَاهُ
كَكَلْبِ الصَّيِّدِ يُنْسِكُ وَهُوَ طَاوٍ فَرِيْسَتُهُ لِيَأْكُلَهَا سِوَاهُ

وَتَفَكَّرُ كَيْفَ خَلَّتْ مِنْهُمْ الْمَسَاجِدُ وَالْمَجَالِسُ وَانْقَطَعَتْ آثَارُهُمْ فَمَهْمَا
تَذَكَّرْتَ أُولَئِكَ الزُّمْلَاءَ وَالْأَسَاتِذَةَ وَالْمَشَايخَ وَالْأَقَارِبَ وَالْجِيرَانَ وَتَصَوَّرْتَ حَالَهُ
وَمَوْتَهُ وَتَفَرَّقَهُمْ وَتَذَكَّرْتَ نَشَاطَهُمْ ، وَتَرَدُّدَهُمْ ، وَأَمْلَهُمْ فِي الْبَقَا لِلْعَيْشِ
وَبَسْيَانِهِمْ لِلْمَوْتِ وَانْخِدَاعِهِمْ لِلنَّفْسِ وَابْتِلَاسِ الْهَوَى وَالْذُّنُوبِ وَرُكُوبِهِمْ إِلَى
الْقُوَّةِ وَالشَّبَابِ وَتَسْيَانِهِمْ لِلْمَوْتِ وَانْخِدَاعِهِمْ بِمُؤَاتَاتِ الْأَسْبَابِ ، وَمِيلِهِمْ إِلَى
الضُّحْكِ وَاللَّهْوِ ، وَغَفْلَتِهِمْ عَمَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ مِنَ الْمَوْتِ الْعَظِيمِ وَالْهَلَاكِ السَّرِيعِ .

وَيَتَفَكَّرُ كَيْفَ أَتَاهُمْ كَانُوا يَتَرَدَّدُونَ ، وَالْآنَ قَدْ تَهَدَّمَتْ أَجْسَادُهُمْ وَتَفَرَّقَتْ
أَوْصَالُهُمْ ، وَأَنَّهُمْ كَانُوا يَتَكَلَّمُونَ وَيَمْرُحُونَ ، وَالْآنَ أَكَلَ الدُّودُ اللِّسَانَ
وَتَفَرَّقَتْ فِي الْقَبْرِ الْمَفَاصِلُ وَالْأَسْتَانَ .

وَيَتَفَكَّرُ كَيْفَ أَتَاهُمْ كَانُوا يَجْمَعُونَ لِأَنْفُسِهِمْ مَا يَكْفِي لِعِلَّةِ سِنِينَ فِي وَقْتٍ
لَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْمَوْتِ إِلَّا زَمَنٌ يَسِيرٌ ، وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ عَمَّا يُرَادُّ بِهِمْ حَتَّى إِذَا
جَاءَهُمُ الْمَوْتُ فِي وَقْتٍ مَا أَحْتَسِبُوا لَهُ وَانْكَشَفَ لَهُمْ صُورَةُ الْمَلِكِ وَقَرَعَ
أَسْمَاعَهُمُ الْبَدَاءُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِمَّا إِلَى النَّارِ .

فَعِنْدَ ذَلِكَ يَنْظُرُ فِي نَفْسِهِ وَأَنَّهُ مِثْلَهُمْ وَغَفَلَتْهُ كَغَفْلَتِهِمْ وَسَتَكُونُ عَاقِبَتُهُ
كَعَاقِبَتِهِمْ قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ إِذَا ذَكَرْتَ الْمَوْتَ فَعُدَّ نَفْسَكَ كَأَحَدِهِمْ .

قال ابن الجوزي عَجِبْتُ مِنْ عَاقِلٍ يَرَى اسْتِيلَاءَ الْمَوْتِ عَلَى أَقْرَانِهِ وَجِيرَانِهِ
كَيْفَ يَطِيبُ عَيْشَهُ خُصُوصاً إِذَا عَلَتْ سَنَّهُ .

وَأَعَجَباً لِمَنْ يَرَى الْأَفَاعِي تَدْبُ إِلَيْهِ وَهُوَ لَا يَنْزَعُجُ أَمَّا يَرَى الشَّيْخَ ذَيْبَ
الْمَوْتِ فِي أَعْضَائِهِ ثُمَّ فِي كُلِّ يَوْمٍ يَزِيدُ النَاقِصَ .

ففي نظر العاقل إلى نَفْسِهِ مَا يُشْغِلُهُ عَنِ النَّظَرِ إِلَى تَحْرَابِ الدُّنْيَا وَفِرَاقِ
الْإِخْوَانِ وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ مُزْعِجاً .

وَلَكِنْ شُغْلٌ مَنْ اخْتَرَقَ بَيْتَهُ بَنَقْلٍ مَتَاعِهِ يُلْهِمُهُ عَنِ ذِكْرِ بُيُوتِ الْجِيرَانِ
انتهى ١ هـ .

فَمَلَا زَمَةَ هَذِهِ الْأَفْكَارِ وَأُمَثَالِهَا مَعَ دُخُولِ الْمَقَابِرِ وَالْمَسْتَشْفِيَّاتِ
وَالْمُصْتَوَصِّفَاتِ ، وَعِيَادَةِ الْمَرْضَى هُوَ الَّذِي يُجَدِّدُ ذِكْرَ الْمَوْتِ فِي الْقَلْبِ حَتَّى
يَعْتَادُهُ وَيَغْلِبُ عَلَيْهِ بِحَيْثُ يَصِيرُ نَصَبَ عَيْنَيْهِ فَعِنْدَ ذَلِكَ يُوشِكُ أَنْ يَسْتَعِدَّ لَهُ
وَيَتَجَافَى عَنِ دَارِ الْعُرُورِ .

وَالْأَفَالِدُ بِاللِّسَانِ فَقَطْ قَلِيلُ الْفَائِدَةِ وَ الْجَدْوَى فِي التَّحْذِيرِ وَالتَّنْبِيهِ
وَمَهْمَا طَابَ قَلْبُكَ بِشَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا مَالٍ أَوْ وَلَدٍ أَوْ عَمَارَةٍ أَوْ فُلَةٍ أَوْ قَصْرِ أَوْ
بُسْتَانٍ .

يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَتَذَكَّرَ فِي الْحَالِ أَنَّكَ مُفَارِقُهُ فِرَاقٌ لَا يُشْبِهُهُ فِرَاقٌ .

نَظَرَ ابْنُ مُطِيعٍ ذَاتَ يَوْمٍ إِلَى دَارِهِ فَأَعْجَبَهُ حُسْنُهَا ثُمَّ بَكَى وَقَالَ وَاللَّهِ لَوْ لَا
الْمَوْتُ لَكُنْتُ بِكَ مَسْرُوراً وَلَوْ لَا مَا نَصِيرُ إِلَيْهِ مِنْ ضَيْقِ الْقُبُورِ لَقَرْتُ بِالدُّنْيَا
أَعْيُنُنَا ثُمَّ بَكَى بُكَاءً شَدِيداً حَتَّى ارْتَفَعَ صَوْتُهُ .

عَادَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيَّ عَلِيلاً فَوَافَقَهُ فِي سَكَرَاتِ الْمَوْتِ وَرَأَى تَقَلُّبَهُ وَشِدَّةَ مَا نَزَلَ بِهِ فَلَمَّا رَجَعَ إِلَى دَارِهِ قَدَّمُوا لَهُ طَعَاماً فَقَالَ عَلَيْكُمْ بِطَعَامِكُمْ وَشَرَابِكُمْ فَإِنِّي رَأَيْتُ مَصْرَعاً لَا بُدَّ لِي مِنْهُ وَلَا أَرَأَى أَعْمَلَ حَتَّى أَلْقَاهُ .

وَكَانَ يَقُولُ إِنِّيَاكَ وَالْأَعْتَرَارُ فَإِنَّكَ لَمْ يَأْتِكَ مِنَ اللَّهِ أَمَانٌ وَإِنَّ الْهَوَلَ الْأَعْظَمَ وَالْأَمْرَ الْأَكْبَرَ أَمَامَكَ وَإِنَّكَ لَا بُدَّ أَنْ تَتَوَسَّدَ فِي قَبْرِكَ مَا قَدَّمْتَ إِنَّ خَيْراً فَخَيْرٌ وَإِنْ شَرّاً فَشَرٌّ .

فَاغْتَنِمِ الْمُبَادَرَةَ فِي الْمُهَلِّ وَإِيَّاكَ وَالتَّسْوِيفَ بِالْعَمَلِ فَإِنَّكَ مَسْئُولٌ فَأَعِدَّ لِلْمَسْأَلَةِ جَوَاباً وَكَانَ يَقُولُ ابْنُ آدَمَ إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يُصْبِحُ إِلَّا خَائِفاً وَإِنْ كَانَ مُحْسِناً وَلَا يَصْلَحُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ كَذَلِكَ وَلَا يُمْسِي إِلَّا خَائِفاً وَإِنْ كَانَ مُحْسِناً وَلَا يَصْلَحُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ كَذَلِكَ لِأَنَّهُ بَيْنَ مَخَافَتَيْنِ ذَنْبٌ مَضَى لَا يَدْرِي مَا اللَّهُ صَانِعٌ فِيهِ وَأَجَلٌ قَدْ بَقِيَ لَا يَدْرِي مَا اللَّهُ مُبْتَلِيهِ فِيهِ .

فَرَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا فَكَّرَ وَاعْتَبَرَ وَاسْتَبْصَرَ فَأَبْصَرَ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ابْنَ آدَمَ إِنَّ اللَّهَ جَلَّتْ قُدْرَتُهُ أَمَرَ بِالطَّاعَةِ وَأَعَانَ عَلَيْهَا وَلَمْ يَجْعَلْ عُذْرًا فِي تَرْكِهَا وَنَهَى عَنِ الْمَعْصِيَةِ وَأَغْنَى عَنْهَا وَلَمْ يُوسِّعْ لِأَحَدٍ فِي رُكُوبِهَا .

وَلَقَدْ رُوي أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لآدَمَ أَنْتَ الْيَوْمَ عَدْلٌ بَيْنِي وَبَيْنَ ذُرِّيَّتِكَ فَمَنْ رَجَحَ خَيْرُهُ عَلَى شَرِّهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فَلَهُ الْجَنَّةُ حَتَّى تَعْلَمَ أَنِّي لَا أَعْدِبُ إِلَّا ظَالِمًا .

وَكَانَ يَقُولُ ابْنُ آدَمَ لَا يُعْرَنُّكَ مَنْ حَوْلَكَ مِنَ السَّبَاعِ الْعَادِيَةِ إِبْنِكَ وَحَلِيلَتِكَ ، وَخَادِمِكَ ، وَكَوَلَاتِكَ ، أَمَّا ابْنُكَ فَمِثْلُ الْأَسَدِ يُنَازِعُكَ مَا بَيْنَ يَدَيْكَ ، وَأَمَّا حَلِيلَتُكَ فَمِثْلُ الْكَلْبَةِ فِي الْهَرِيرِ وَالْبَصْبَصَةِ ، وَأَمَّا خَادِمُكَ فَمِثْلُ الثَّعْلَبِ فِي الْحِيلَةِ وَالسَّرِيقَةِ ، وَأَمَّا كَوَلَاتُكَ فَوَاللَّهِ لَيَذَرُهُمْ يَصِلُ إِلَيْهِمْ بَعْدَ مَوْتِكَ أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِنْ أَنْ لَوْ كُنْتَ أَعْتَقْتَ رَقَبَةً .

فَإِيَّاكَ أَنْ تُؤَفِّرَ ظَهْرَكَ بِصَلَاحِهِمْ ، فَإِنَّمَا لَكَ مِنْهُمْ أَيَّامُكَ الْقَلِيلُ وَإِذَا
وَضَعُوكَ فِي قَبْرِكَ انصَرَفُوا عَنْكَ ، فَصَفَّوْا بَعْدَكَ الثِّيَابَ ، وَضَرَبُوا الدُّفُوفَ ،
وَضَحِكُوا الْقَهْقَةَ ، وَأَنْتَ تُحَاسِبُ بِمَا فِي أَيْدِيهِمْ فَقَدِمَ لِنَفْسِكَ أَيَّ تَزُودُ مِنْ
الْخَيْرِ .

شِعْرًا :

فَعَقَّبِي كُلَّ شَيْءٍ نَحْنُ فِيهِ مِنْ الْجَمْعِ الْكَثِيفِ إِلَى شَتَاتٍ
وَمَا حُزْنَاهُ مِنْ حِلٍّ وَحُرْمٍ يُورِّعُ فِي الْبَيْنِ وَفِي الْبَنَاتِ
وَفِيمَنْ لَمْ تُؤْهِلْهُمْ بِفَلَسٍ وَفِيمَا الْأَحِبَّةُ بَعْدَ عَشْرِ
وَقَدِّ صِرْنَا عِظَامًا بِأَلْيَاسٍ وَلَمْ يَكُ فِيهِمْ حِلٌّ مُوَاتٍ

وقال رحمه الله تعالى لَمَّا أَهْبَطَ آدَمَ أَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ أَرْبَعُ فَيَنْ جَمَاعِ الْأُمَرِ
لَكَ وَلَوْلَدِكَ مِنْ بَعْدِكَ .

أَمَّا وَاحِدَةٌ فَلِي

وَأَمَّا الثَّانِيَةُ فَلَكَ .

وَأَمَّا الثَّلَاثَةُ فَبَيْنِي وَبَيْنَكَ .

وَأَمَّا الرَّابِعَةُ فَبَيْنَكَ وَبَيْنَ النَّاسِ .

أَمَّا الَّتِي لِي فَتَعْمُدُنِي وَلَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا .

وَأَمَّا الَّتِي لَكَ فَعَمَلُكَ أَجْزِيكَهُ أَفْقَرُ مَا تَكُونُ إِلَيْهِ .

وَأَمَّا الَّتِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ فَعَلَيْكَ الدُّعَا وَعَلَيَّ الْإِجَابَةُ .

وَأَمَّا الَّتِي بَيْنَكَ وَبَيْنَ النَّاسِ فَتَصَاحِبُهُمْ مِمَّا تُحِبُّ أَنْ يُصَاحِبُوكَ بِهِ .

أَرْبَعُ مَنْ حَصَلَ عَلَيْهَا وَاجْتَمَعَتْ عِنْدَهُ اجْتَمَعَ لَهُ خَيْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ

امرأة صالحة عفيفة ، وصديق موافق على طاعة الله ، ومال من حلال واسع يُنفقه في مراضى الله ، وعمل صالح .

أوصى رسول الله ﷺ رجلاً فقال هيء جَهَازَكَ ، وَقَدِّم زَادَكَ ، وَكُنْ وَصِيَّ نَفْسِكَ ، فَإِنَّهُ لَا تَخْلَفُ مِنَ التَّقْوَى ، وَلَا عَوْضَ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَه .
مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِذَا ضَيَّعْتَهُ عَوْضٌ وَمَا مِنَ اللَّهِ إِنْ ضَيَّعْتَهُ عَوْضٌ

وقال صلى الله عليه وسلم لرجل يُوصِيهِ عَلَيْكَ بِذِكْرِ الْمَوْتِ فَإِنَّهُ يَشْغَلُكَ عَمَّا سِوَاهُ وَعَلَيْكَ بِكَثْرَةِ الدُّعَاءِ فَإِنَّكَ لَا تَذَرُنِي مَتَى يُسْتَجَابُ لَكَ وَأَكْثَرُ مِنَ الشُّكْرِ فَإِنَّهُ زِيَادَةٌ .
شِعْرًا :

كَأَنِّي بِنَفْسِي وَهْيَ فِي السَّكْرَاتِ	تُعَالِجُ أَنْ تَرْقَى إِلَى اللُّهُوَاتِ
وَقَدْ زُمَ رَحْلِي وَاسْتَقَلْتُ رَكَائِبِي	وَقَدْ آذَنْتَنِي بِالرَّحِيلِ حُدَاتِي
إِلَى مَنْزِلٍ فِيهِ عَذَابٌ وَرَحْمَةٌ	وَكَمْ فِيهِ مِنْ زَجَرٍ لَنَا وَعِظَاتِ
وَمِنْ أُعْيُنٍ سَالَتْ عَلَى وَجَنَاتِهَا	وَمِنْ أَوْجُهُ فِي الثَّرْبِ مُنْعَفِرَاتِ
وَمِنْ وَارِدٍ فِيهِ عَلَى مَا يَسْرُهُ	وَمِنْ وَارِدٍ فِيهِ عَلَى الْحَسَرَاتِ
وَمِنْ عَائِرٍ مَا أَنْ يُقَالَ لَهُ لَعَا	عَلَى مَا عَهِدْنَا قَبْلُ فِي الْعَثَرَاتِ
وَمِنْ مَلِكٍ كَانَ السُّرُورُ مِهَادُهُ	مَعَ الْآنَسَاتِ الْخُرْدِ الْخَفِرَاتِ
غَدَا لَا يَذُودُ الدُّودَ عَنْ حُرُوجِهِ	وَكَانَ يَذُودُ الْأَسَدَ فِي الْأَجْمَاتِ
وَعَوْضَ أَنْسَاءٍ مِنْ ضِبَاءٍ كِنَاسِهِ	وَأَرَامِهِ بِالرُّقْشِ وَالْحَشَرَاتِ
وَصَارَ يَبْطِنُ الْأَرْضَ يَلْتَحِفُ الثَّرَى	وَكَانَ يَجُرُّ الْوَشَى وَالْحَبَرَاتِ
وَلَمْ تُغْنِهِ أَنْصَارُهُ وَجُودُهُ	وَلَمْ تَحْمِهِ بِالْبَيْضِ وَالْأَسَلَاتِ
وَمِمَّا شَجَانِي وَالشُّجُونُ كَثِيرَةٌ	ذُنُوبٌ عِظَامٌ أُسْبَلَتْ عِبَرَاتِ
وَأَقْلَقْنِي أَنِّي أُمُوتُ مُفْرَطًا	عَلَى أَنَّنِي خَلَفْتُ بَعْدَ لِدَاتِي

وَأَغْفَلْتُ أَمْرِي بَعْدَهُمْ مُسْتَبِطاً
إِلَى اللَّهِ أَشْكُو جَهْلَ نَفْسِي فَإِنَّهَا
وَيَا رَبِّ خَلَّ كُنْتُ ذَاصِلَةً لَهُ
وَكُنْتُ لَهُ أُنْساً وَشُمْساً مُنِيرَةً
سَاضِرِبُ فُسْطَادِي عَلَى عَسْكَرِ الْبَلَى
وَأَرْكَبُ ظَهراً لَا يُؤُوبُ بِرَكِبٍ
وَلَيْسَ يُرَى إِلَّا بِسَاحَةِ ظَاغِنٍ
يُسِيرُ أَذْنِي النَّاسِ سَيْراً كَسِيرِهِ
فَطَوَّراً تَرَاهُ يَحْمِلُ الشَّمَّ وَالرُّبَا
وَرَبِّ حَصَاةٍ قَلَرُهَا فَوْقَ يَذْبُلِ
وَكُلِّ صَغِيرٍ كَانَ لِلَّهِ خَالِصاً
وَكُلِّ كَبِيرٍ لَا يَكُونُ لَوَجْهِهِ
وَلَكِنَّهُ يُرْجَى لِمَنْ مَاتَ مُحْسِناً
وَمَا الْيَوْمُ يَمْتَأَزُ التَّفَاضُلُ بَيْنَهُمْ
إِذَا رُوِّعَ الْحَاطِي وَطَارَ فُؤَادُهُ
وَمَا يَعْرِفُ الْإِنْسَانُ أَيْنَ وَفَاتُهُ
فِيَا إِخْوَتِي مَهْمَا شَهِدْتُمْ جَنَازَتِي
وَجِدُّوا أَيْتِهَالاً فِي الدُّعَاءِ وَاحْلِصُوا
وَقُولُوا جَمِيلاً إِنْ عَلِمْتُمْ خِلَافَهُ
وَلَا تُصِفُونِي بِالَّذِي أَنَا أَهْلُهُ
وَلَا تَتَنَاسَوْنِي فَقَدْ مَآ ذَكَرْتَكُمْ
وَبِالرَّغْمِ فَارَقْتُ الْأَحِبَّةَ مِنْكُمْ
وَإِنْ كُنْتُ مَيِّتاً بَيْنَ أَيْدِيكُمْ لَقَاً

فَيَا عَجَباً مِنِّي وَمِنْ غَفْلَاتِي
تَمِيلُ إِلَى الرَّاحَاتِ وَالشَّهَوَاتِ
يَرَى أَنَّ دَفْنِي مِنْ أَجْلِ صَلَاتِي
فَأَفْرَدَنِي فِي وَحْشَةِ الظُّلُمَاتِ
وَأَرْكُزُ فِيهِ لِلنُّزُلِ قَتَاتِي
وَلَا يُمْتَطَى إِلَّا إِلَى الْهَلَكَاتِ
إِلَى مَصْرَعِ الْفَرَاحَاتِ وَالنَّزَاحَاتِ
بِأَرْفَعِ مَنْعِي مِنَ السُّرَوَاتِ
وَطَوَّراً تَرَاهُ يَحْمِلُ الْحَصِيَّاتِ
كَمَقْبُولٍ مَا يُرْمَى مِنَ الْجَمَرَاتِ
يُرَبَّى عَلَى مَا جَاءَ فِي الصَّدَقَاتِ
فَمِثْلُ رَمَادٍ طَارَ فِي الْهَبَّاتِ
وَيُخْشَى عَلَى مَنْ مَاتَ فِي غَمَرَاتِ
وَلَكِنْ غَدَاً يَمْتَأَزُ فِي الدَّرَجَاتِ
وَأَفْرَحَ رَوْعُ الْبَرِّ فِي الْعُرْفَاتِ
أَفِي الْبَرِّ أَمْ فِي الْبَحْرِ أَمْ بِفَلَاةٍ
فَقُومُوا لِرَبِّي وَاسْأَلُوهُ نَجَاتِي
لَعَلَّ إِلَهِي يَقْبَلُ الدَّعَوَاتِ
وَأَغْضُوا عَلَى مَا كَانَ مِنْ هَفَوَاتِي
فَأَشْقَى وَحَلُونِي بِخَيْرِ صِفَاتِي
وَوَاصَلْتُكُمْ بِالْبَرِّ طُولَ حَيَاتِي
وَلَمَّا تَفَارَقْنِي بِكُمْ زَفَرَاتِي
فَرُوحِي حَيٌّ سَامِعٌ لِنُعَاتِي

أَنَا جِئْتُكُمْ حَيًّا وَإِنْ كُنْتُ صَامِتًا
وَلَيْسَ يَقُومُ الْجِسْمُ إِلَّا بِرُوحِهِ
وَلَا بُدَّ يَوْمًا أَنْ يَحُورَ بِعَيْنِهِ
وَالْأَكُنْ أَهْلًا لِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ
فَمَا زِلْتُ أَرْجُو عَفْوَهِ وَجَنَانَهُ
وَأَسْجُدُ تَعْظِيمًا لَهُ وَتَذَلُّلاً
وَلَسْتُ بِمُتَمَتِّنٍ عَلَيْهِ بِطَاعَتِي
لَهُ الْمُنُّ فِي التَّيْسِيرِ لِلْحَسَنَاتِ

اللَّهُمَّ اسئلكَ بِنَا سَبِيلَ الْأَبْرَارِ ، وَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ،
وَأَمْنُنْ عَلَيْنَا بِالْعَفْوِ وَالْعِتْقِ مِنَ النَّارِ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
الْأَخْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى
آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ

فَصْلٌ

وقال رحمه الله ثم لا تَغْفُلْ عن الميزانِ وَتَطَايُرِ الْكُتُبِ إِلَى الْإِيمَانِ
وَالشَّمَائِلِ ، فَإِنَّ النَّاسَ بَعْدَ السُّؤَالِ ثَلَاثُ فِرَقٍ فِرْقَةٌ لَيْسَ لَهُمْ حَسَنَةٌ .

فَيُخْرِجُ مِنَ النَّارِ عَتَقَ أَسْوَدُ يَلْتَقِطُهُمْ لَقَطَ الطَّيْرِ الْحَبِ وَيَنْطَوِي عَلَيْهِمْ
وَيُلْقِيهِمْ فِي النَّارِ فَتَبْتَغِيهِمُ النَّارُ وَيُنَادِي عَلَيْهِمْ شَقَاوَةٌ لَا سَعَادَةَ بَعْدَهَا .

وَقِسْمٌ آخَرُ لَيْسَ لَهُمْ سَيِّئَةٌ فَيُنَادِي مُنَادٍ لِيَقُمْ الْحَمَادُونَ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ
حَالٍ ، فَيَقُومُونَ وَيَسْرَحُونَ إِلَى الْجَنَّةِ .

ثُمَّ يُفَعَّلُ ذَلِكَ بِأَهْلِ قِيَامِ اللَّيْلِ ثُمَّ يَمَنْ لَمْ تُشْغَلْهُ تِجَارَةُ الدُّنْيَا وَلَا يَبْغِيهَا عَنْ
ذِكْرِ اللَّهِ وَيُنَادِي عَلَيْهِمْ سَعَادَةٌ لَا شَقَاوَةَ بَعْدَهَا .

وَيَبْقَى قِسْمٌ ثَالِثٌ وَهُمْ الْأَكْثَرُونَ تَخَلَّطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا وَهُوَ
يَخْفَى عَلَيْهِمْ وَلَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ أَنَّ الْغَالِبَ حَسَنَاتُهُمْ أَوْ سَيِّئَاتُهُمْ .

وَلَكِنْ يَأْتِي اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُعْرِفَهُمْ ذَلِكَ لِيُبَيِّنَ فَضْلَهُ عِنْدَ الْعَفْوِ وَعَدْلَهُ عِنْدَ
الْعِقَابِ فَتَطَايَرُ الصَّحُفُ وَالْكُتُبُ مُنْطَوِيَّةٌ عَلَى الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ
وَيَنْصَبُ الْمِيزَانُ وَتَشْخَصُ الْأَبْصَارُ إِلَى الْكُتُبِ أَتَقَعُ فِي الْيَمِينِ أَوْ فِي
الشَّمَالِ .

ثُمَّ إِلَى الْمِيزَانِ أَيْمِيلُ إِلَى جَانِبِ السَّيِّئَاتِ أَوْ إِلَى جَانِبِ الْحَسَنَاتِ وَهَذِهِ
حَالَةٌ تَطْلُشُ فِيهَا عُقُولُ الْخَلَائِقِ انْتَهَى كَلَامُهُ رَحِمَهُ اللَّهُ .

ذَكَرَ أَبُو دَاوُدَ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا ذَكَرَتْ النَّارَ فَبَكَتْ
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا يَبْكِيكَ قُلْتُ ذَكَرْتُ النَّارَ فَبَكَيتُ فَهَلْ تَذْكُرُونَ
أَهْلِيكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «أَمَّا فِي ثَلَاثَةِ مَوَاطِنَ فَلَا يَذْكُرُ أَحَدٌ أَحَدًا عِنْدَ
الْمِيزَانِ حَتَّى يَعْلَمَ أَيَحْفُفَ مِيزَانُهُ أَمْ يَثْقُلُ وَعِنْدَ تَطَايُرِ الصُّحُفِ حَتَّى يَعْلَمَ أَيْنَ
يَقَعُ كِتَابُهُ فِي يَمِينِهِ أَمْ فِي شِمَالِهِ أَمْ مِنْ وَرَاءَ ظَهْرِهِ .

وَعِنْدَ الصَّرَاطِ إِذَا وُضِعَ بَيْنَ ظَهْرِي جَهَنَّمَ حَتَّى يَجُوزَ .

وَذَكَرَ التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي قَوْلِ اللَّهِ جَل
وَعَلَا : ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ قَالَ يُدْعَى أَحَدُهُمْ فَيُعْطَى كِتَابُهُ
بِیَمِينِهِ وَيُمَدُّ لَهُ فِي جِسْمِهِ سِتْرٌ ذَرَاعًا وَيُبَيِّضُ وَجْهَهُ وَيُجْعَلُ عَلَى وَاسِطِهِ تَاجٌ
مِنْ لَوْلُو يَتَلَأَلُ .

فَيَنْطَلِقُ إِلَى أَصْحَابِهِ فَيَرُونَهُ مِنْ بَعِيدٍ فَيَقُولُونَ اللَّهُمَّ ابْتِنَا بِهِذَا وَبَارِكْ لَنَا فِي
هَذَا فَيَأْتِيهِمْ فَيَقُولُ أَبْشِرُوا لِكُلِّ رَجُلٍ مُسْلِمٍ مِثْلَ هَذَا .

قَالَ وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيَسْوَدُ وَيُمَدُّ فِي جَسَدِهِ سِتُونِ ذِرَاعًا عَلَى صُورَةِ آدَمَ
فَيُلْبَسُ تَاجٌ مِنْ نَارٍ فَيَرَى أَصْحَابَهُ يَقُولُونَ نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ هَذَا اللَّهِمَّ لَا تَأْتِنَا
بِهِ فَيَأْتِيهِمْ فَيَقُولُونَ اللَّهُمَّ أَخْرَهُ فَيَقُولُ أْبَعْدَكُمْ اللَّهُ فَإِنْ لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْكُمْ مِثْلُ هَذَا .

شِعْرًا :

أُمَدُّ يَمِينِكَ مِنْ دُنْيَاكَ آخِذَةً كِتَابُ فُوزِكَ إِذْ تَحْتَلُّ أَخْرَاكَ
فَلَسْتَ تُدْرِكُ مَا فِي ذَاكَ مِنْ أَمَلٍ إِلَّا بِوَاسِطَةٍ مِنْ دَارِ دُنْيَاكَ
فَإِنْ تَكَاسَلْتَ أَوْ قَصَّرْتَ فِي طَلَبِ كُنْتَ الْمُحَيَّبَ وَالْمَطْلُوبَ إِذْ ذَاكَ
يَا نَائِمَ الْقَلْبِ عَنْ أَمْرِ يُرَادُّ بِهِ نَبَهُهُ وَيَحْكُ إِنَّ الْأَمْرَ حَاذَاكَ
وَاشْدُدْ حَزِيمَكَ وَاكْشِفْ سَاعِدَيْكَ لَهُ فَرَبِّمَا حُمِدْتَ بِالْجِدِّ عُقْبَاكَ
كَمْ رَابِعٍ يَكْتَابُ كَانَ أَمْلَاهُ هُنَا بِمَا شَاءَ لَا مَنْ كَانَ أَفَّاكَ
فَظَلَّ مُرْتَقِيًا أَذْرَاجَ مَكْرُمَةٍ فِي عَدْنٍ أَوْ نَازِلًا فِي النَّارِ أَذْرَاكَ
وَطَلَعَةُ الْمَوْتِ تُبْدِي عَنْ حَقِيقَةِ مَا تُمْلِي فَايَاكَ أَنْ تَنْسَاهُ إِيَّاكَ

اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ يَا بَدِيعَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ نَسْأَلُكَ أَنْ تُوفِّقَنَا لِمَا فِيهِ
صَلَاحٌ دِينَنَا وَدُنْيَانَا وَأَحْسِنْ عَاقِبَتَنَا وَأَكْرِمْ مَقْوَانَا وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ
الْمُسْلِمِينَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
أَجْمَعِينَ .

فَصْلٌ

ذَكَرَ التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « يُجَاءُ
بَابَ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ بَذَخٌ فَيُوقَفُ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ أَعْطَيْتُكَ وَخَوَّلْتُكَ وَأَنْعَمْتُ عَلَيْكَ فَمَاذَا صَنَعْتَ فَيَقُولُ جَمَعْتُهُ
وَتَرَكْتُهُ أَكْثَرَ مَا كَانَ فَارْجِعْنِي آتِيكَ بِهِ فَيَقُولُ لَهُ أَرِنِي مَا قَدَّمْتَ فَيَقُولُ

يَا رَبِّ جَمَعْتُهُ وَثَمَرْتُهُ وَتَرَكْتُهُ أَكْثَرَ مَا كَانَ فَارْجِعْنِي آتِكَ بِهِ فَإِذَا عَبْدٌ لَمْ يُقَدِّمْ
خَيْرًا فَيَمُضَى بِهِ إِلَى النَّارِ .

فَتَفَكَّرَ يَا مُسْكِينِ فِي نَفْسِكَ مَا دُمْتَ فِي قَيْدِ الْحَيَاةِ وَأَنْتَ تَحْكُمُ فِي مَالِكَ
وَلَا لَكَ مُعَارِضٌ وَتَتَصَرَّفُ فِيهِ كَيْفَ شِئْتَ وَاجْعَلْ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ نَصَبَ
عَيْنَيْكَ بَيْنَ مَا أَنْتَ فِي هَذَا الْيَوْمِ الْعَظِيمِ الَّذِي قَدْ امْتَلَأْتَ فِيهِ الْقُلُوبُ مِنَ الْخَوْفِ
وَالْقَلَقِ وَالرَّغْبِ وَالذُّعْرِ وَالْإِنْزِعَاجِ وَقَدْ بَلَعْتَ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ .

قال تعالى : ﴿ وَأُنذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاطِمِينَ ﴾
فَبَيْنَمَا النَّاسُ فِي هَذِهِ الْحَالِ الَّتِي حَدِثْتَ عَنْهَا إِذْ جِيءَ بِجَهَنَّمَ تُقَادُ بِسَبْعِينَ أَلْفَ
زِمَامٍ مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجْرُوتُهَا حَتَّى تَكُونَ بِمَرَأَى مِنَ الْخَلْقِ
وَمَسْمَعٍ يَرَوْنَ لَهَيْبَتِهَا وَيَسْمَعُونَ زَفِيرَهَا فَبَيْنَمَا أَنْتَ فِي تِلْكَ الْحَالِ إِذَا أُخِذَ
بِضَبْعِكَ وَقُبِضَ عَلَى عِضْدَيْكَ وَجِيءَ بِكَ تَتَخَطَّى الرُّقَابَ وَتَخْتَرِقُ الصُّفُوفَ
وَالْخَلَائِقُ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا وَقَفْتَ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ تَعَالَى فَسُئِلْتَ عَنِ الْقَلِيلِ
وَالكَثِيرِ وَالدَّقِيقِ وَالْجَلِيلِ وَالْقَطْمِيرِ وَالتَّقِيرِ وَلَا تَجِدُ أَحَدًا يُجَاوِبُ عَنْكَ بِلَفْظَةٍ
وَلَا يُعِينُكَ بِكَلِمَةٍ وَلَا يُرَدُّ عَنْكَ جَوَابًا فِي مَسْأَلَةٍ .

وَأَنْتَ شَاهِدَتْ مِنْ عِظَمِ الْأَمْرِ وَجَلَالَةِ الْقَدْرِ وَهَيْبَةِ الْحَظَرَةِ مَا أَذْهَبَ
بَيَانَكَ وَأُخْرَسَ لِسَانُكَ وَأَذْهَلَ جَنَانُكَ .

وَنَظَرْتَ يَمِينًا وَشِمَالًا وَبَيْنَ يَدَيْكَ فَلَمْ تَرَ إِلَّا النَّارَ وَعَمَلَكَ الَّذِي كُنْتَ
تَعْمَلُ وَكَلِمَكَ رَبُّ الْعِزَّةِ جَلَّ جَلَالُهُ بِغَيْرِ حِجَابٍ يَحْجُبُكَ وَلَا تُرْجَمُ لَكَ .

وَكَيْفَ تَكُونُ حَيْرُوكَ وَدَهْشُوكَ إِذَا قِيلَ عَامَلْتَ فَلَانًا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا فِي
كَذَا وَكَذَا وَغَبْنَتَهُ فِي كَذَا وَكَذَا وَغَشَشْتَهُ فِي السِّلَعَةِ الْفُلَانِيَّةِ .

وَتَرَكْتَ نَصِيحَتَهُ فِي كَذَا وَكَذَا وَبَعْتَهُ السِّلْعَةَ الْمَعْيُوبَةَ وَلَمْ تُبَيِّنْ لَهُ الْعَيْبَ أَوْ
غَضِبْتَ فُلَانًا أَوْ ظَلَمْتَ فُلَانًا أَوْ قَتَلْتَ فُلَانًا أَوْ أَعَنْتَ عَلَى قَتْلِهِ أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ .
وَقِيلَ مَا حُجَّتُكَ أَقِمِ بَيِّنَةً لِّائْتِ بِرُهَانٍ فَأَرَدْتَ الْكَلَامَ فَلَمْ تُبَيِّنْ وَجِئْتَ بِعُذْرٍ
فَلَمْ يَسْتَبِينَ هِيهَاتَ أَنِّي لَكَ الْكَلَامَ وَلَمْ تُنْقِصْهُ وَأَنِّي لَكَ بِالْعُذْرِ وَأَنْتَ فِي الدُّنْيَا لَمْ
تُصَحِّحْهُ قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا : ﴿ وَكُلُّهُمْ آتِيَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴾ .

وَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ
أُذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴾ الْآيَاتِ وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ
النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ ﴾ الْآيَتِينَ .

فَانْظُرْ فِي هَذَا الْمَوْقِفِ عِنْدَ السُّؤَالِ بِأَيِّ بَدَنِ تَقِفُ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَبِأَيِّ لِسَانٍ
تُجِيبُهُ فَاعِدٌ لِّلْسُّؤَالِ جَوَابًا وَلِلْجَوَابِ صَوَابًا فَمَا شِئْتَ مِنْ قَلْبٍ يُخْلَعُ وَمِنْ كَيْدٍ
تُصَدِّغُ وَمِنْ لِسَانٍ يَتَلَجُّجُ وَمِنْ أَحْشَاءٍ تَتَمَوَّجُ وَمِنْ نَفْسٍ تُرِيدُ أَنْ تَخْرُجَ .

وَانْظُرْ مَا أَشَامَ تِلْكَ الْأَرْبَاحُ الَّتِي رَبِّحْتَهَا وَأَخْسَرَ تِلْكَ الْمَعَامَلَاتِ الَّتِي
أَلْهَيْتَكَ عَنْ مَا خُلِقْتَ لَهُ انْظُرْ كَيْفَ ذَهَبَتْ عَنْكَ مَسْرَاتُهَا وَبَقِيَتْ حَسَرَاتُهَا
وَالشَّهَوَاتُ الَّتِي فِي ظُلْمِ الْعِبَادِ انْفَذَتْهَا كَيْفَ ذَهَبَ عَنْكَ الْفَرْحُ بِهَا وَبَقِيَتْ
التَّيْبَعَةُ

وَانْظُرْ هَلْ يَقْبَلُ مِنْكَ فِدَاً فِي ذَلِكَ الْمَوْقِفِ الرَّهِيْبِ وَمَا الَّذِي يَخْلُصُكَ مِنْ
ذَلِكَ السُّؤَالِ قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ
شَيْعًا ﴾ .

وَفِي بَعْضِ الْأَخْبَارِ يَتَمَنَّى رَجَالٌ أَنْ يُبْعَثَ بِهِمْ إِلَى النَّارِ وَلَا تُعْرَضَ قَبَائِلُهُمْ
عَلَى اللَّهِ تَعَالَى وَلَا تُكْشَفَ مَسَاوِيْهُمْ عَلَى رُؤُسِ الْخَلَائِقِ ، فَمَا ظَنُّكَ بِهَذَا
الْمَقَامِ وَبِهَذَا السُّؤَالِ وَبِهَذَا التَّكَالِ وَالْوَبَالِ .

وما ظَنُّكَ بِنَفْسِكَ وقد جِيءَ بِجَهَنَّمَ عَلَى الْوَصْفِ الَّذِي تَقَدَّمَ وقد دَنَتْ
مِنَ الْخَلَائِقِ ، وَشَهِقَتْ وَزَفَرَتْ ، وَثَارَتْ ، وَفَارَتْ .

وَنَهَضَ خُزَّانُهَا ، وَالْمُوكِّلُونَ بِهَا ، وَالْمُعَدُّونَ لِتَعْدِيبِ أَهْلِهَا مُتَسَارِعِينَ
إِلَى أَخِذٍ مِّنْ أُمُورٍ بِأَخِذِهِ ، سَاحِبِينَ لَهُ عَلَى بَطْنِهِ ، وَخَرَوْا جِهَةً سَامِعِينَ مُطِيعِينَ
لِلَّهِ ﴿ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ .

فَتَصَوَّرَ حَالِكَ ، وَكَيْفَ وَقَدِ امْتَلَأَتِ الْقُلُوبُ خَوْفًا وَرُعْبًا وَذُعْرًا وَفَزَعًا ،
وَارْتَعَدَتِ الْفَرَائِصُ ، وَبَلَّغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ ، وَاصْطَفَقَتِ الْأَحْشَاءُ ،
وَتَقَطَّعَتِ الْأَمْعَاءُ ، وَطَلَبُوا الْفِرَارَ وَطَارُوا لَوْ يَحْصُلُ لَهُمْ مَطَارٌ .

وَجَنَّتِ الْأُمَمُ عَلَى الرُّكَبِ وَأُيْقِنَ الْمَذْنُبُونَ بِالْهَلَاكِ وَالْعَطَبِ وَسُوءِ
الْمُنْقَلَبِ ، وَنَادَى الْأَنْبِيَاءُ ، وَالصَّادِقُونَ ، وَالْأَوْلِيَاءُ نَفْسِي نَفْسِي .

كُلُّ نَفْسٍ قَدْ أَفْرَدَتْ لِشَأْنِهَا وَتُرِكَتْ لِمَا بِهَا قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا وَتَقَدَّسَ :
﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا ﴾ وَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿ يَوْمَ
لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴾ وَظَنَّ كُلُّ إِنْسَانٍ أَنَّهُ هُوَ
الْمَأْخُودُ ، وَأَنَّهُ هُوَ الْمَقْصُودُ ، وَ الْمَطْلُوبُ ، وَذَهَلَتِ الْعُقُولُ ، وَطَاشَتِ
الْأَلْبَابُ ، وَتَحَيَّرَتِ الْأَذْهَانُ ، وَفَرَّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ .

وَاشْتَغَلَ بِشَأْنِهِ الَّذِي يَهْمُهُ وَيَعْنِيهِ ، وَسُئِلَ عَنْ جَمِيعِ أَمْرِهِ سِرِّهِ وَجَهْرِهِ
دَقِيقِهِ وَجَلِيلِهِ كَثِيرِهِ وَقَلِيلِهِ ، وَسُئِلَ عَنْ أَعْضَائِهِ غُضُوءًا وَجَارِحَةً ، وَعَنْ
شُكْرِهِ عَلَيْهَا ، وَعَنْ أَذَاءِ حَقِّ اللَّهِ فِيهَا .

وظَهَرَتِ الْقَبَائِحُ وَكَثُرَتِ الْقَضَائِحُ ، وَبَدَتْ الْخَازِي وَاشْتَهَرَتِ الْمَسَاوِي ،
وَتَرَكَ الْأَهْلُ وَالْأَقْرَبُونَ ، وَلَمْ يَنْفَعَكَ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ، وَأَقْبَلَتْ تُجَادِلُ عَنْ
نَفْسِكَ وَتَخَاصِمُ عَنْهَا وَتَطْلُبُ الْمَعَاذِيرَ لَهَا قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا : ﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ
نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا ﴾ .

وقد أُسْلِمْتُ وَأُفْرِدْتُ وَاشْتَغَلَّ كُلُّ إِنْسَانٍ عَنْكَ بِنَفْسِهِ قَالَ اللَّهُ جَل وَعَلَا : ﴿ لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾ وقال عَزَّ مِنْ قَائِلٍ : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمَ لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً ﴾ الآية .

وَأَنْشَدُوا :

تَحْلِيلِي مَا أَقْضَى وَمَا أَنَا قَائِلٌ إِذَا جِئْتُ عَنْ نَفْسِي بِنَفْسِي أَجَادِلُ
وَقَدْ وَضَعَ الرَّحْمَنُ فِي الْخَلْقِ عَدْلَهُ وَسَيِّقُ جَمِيعَ النَّاسِ وَالْيَوْمُ بَاسِلُ
وَجِيءَ بِحُزْمِ النَّارِ خَاضِعَةً لَهُ وَثَلْتُ عُرُوشَ عِنْدَهَا وَمَعَادِلُ
فِيَا لَيْتَ شَعْرِي ذَلِكَ الْيَوْمَ هَلْ أَنَا أَلْغَفَرُ أَمْ أُجْزَى بِمَا أَنَا فَاعِلُ
فَإِنْ أَكُ مَجْرَباً فَعَسَى أَنْ أَسْجُدَ وَخُجَّةٌ وَإِنْ يَكُ غُفْرَانٌ فَفَضْلٌ وَنَائِلُ

اللَّهُمَّ ثَبِّتْ مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا وَقُوَّاهَا وَارْزُقْنَا الْفَيَاقِمَ بِطَاعَتِكَ وَجَنِّبْنَا مَا
يُسْخِطُكَ وَأَصْلَحْ نِيَاتَنَا وَذُرِّيَّاتَنَا وَأَعِدَّنَا مِنْ شَرِّ نَفُوسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا وَأَعِدَّنَا
مِنْ عَذَابِكَ وَاجْعَلْ هَوَانَا تَبَعاً لِمَا جَاءَ بِهِ رِسُولُكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَغْفِرْ لَنَا
وَلِوَالِدَيْنَا وَلِحَمِيمِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى
مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

فصل في التحذير من النار وما أُعِدَّ لِأَهْلِهَا

قال الله تبارك وتعالى : ﴿ فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ
لِلْكَافِرِينَ ﴾ ، وقال جل وَعَلَا : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ
نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ ، وقال جل وَعَلَا : ﴿ إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالاً
وَجَحِيمًا وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴾ .

فيا أَيُّهَا الغافل عن نفسه المغرور بما هو فيه من شواغل الدُّنيا المُشْرِفَةِ

على الإنقيصاء والزوال ، دَعِ الاشتعال والتفكر فيما أنت مُرتحل عنه ،
واصْرِفْ فِكْرَكَ واجتِهادَكَ إلى مَوْرِدِكَ الذي سَتَرِدُهُ ، فَإِنَّكَ أُخْبِرْتَ أَنَّ النَّارَ
مَوْرِدٌ لِلْجَمِيعِ .

قال الله جَلَّ وَعَلَا وَتَقَدَّسَ : ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا
مَقْضِيًّا ﴾ فَأَنْتَ مِنَ الْوَارِدِ عَلَى يَقِينٍ ، ومن النجاة في شَكِّ .

فاستشعر في قَلْبِكَ هَوَلَ ذَلِكَ الْمَوْرِدِ فَعَسَاكَ تَسْتَعِدُّ لِلنَّجَاةِ مِنْهُ ، وتَأَمَّلْ
في حَالِ الْخَلَائِقِ وقد قَاسُوا من دَوَاهِي الْقِيَامَةِ وَأَهْوَالِهَا وَشِدَائِدِهَا مَا قَاسُوا .

فَبَيْنَا هُمْ فِي كُرْبِهَا وَأَهْوَالِهَا وَدَوَاهِيهَا وَقُوفًا يَنْتَظِرُونَ حَقِيقَةَ أَخْبَارِهَا
وَتَشْفِيعَ شُفَعَائِهَا إِذَا أَحَاطَتْ بِالْمُجْرِمِينَ ظَلَمَتْ ذَاتُ شُعْبٍ وَأُظْلِمَتْ عَلَيْهِم نَارٌ
ذَاتُ لَهَبٍ وَسَمِعُوا لَهَا زَفِيرًا وَجَرَجَرَةً تُفْصِحُ عَنْ شِدَّةِ الْغَيْضِ وَالْغَضَبِ .

قال الله تبارك وتعالى : ﴿ إِذَا رَأَوْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيْظًا
وَزَفِيرًا ﴾ ، فَعِنْدَ ذَلِكَ أُيْقِنَ الْمُجْرِمُونَ بِالْعَطَبِ ، قال الله عَزَّ مِنْ قَائِلٍ :
﴿ وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا ﴾ .

وَجَنَّتِ الْأُمَمُ عَلَى الرُّكْبِ حَتَّى أَشْفَقَ الْبَرَاءُ مِنْ سُوءِ الْمُتَقَلِّبِ ، قال الله
جل وعلا وتقدس : ﴿ وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِيَةٍ كُلُّ أُمَّةٍ تَدْعِي إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ
تَعْجَزُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ .

وَخَرَجَ الْمُنَادِي قَائِلًا أَيْنَ فَلَانُ الْمُسَوِّفِ نَفْسُهُ فِي الدُّنْيَا بِطُولِ الْأَمَلِ ،
الْمُضِيعِ عُمُرَهُ فِي سُوءِ الْعَمَلِ .

فَيَادِرُوتُهُ بِمَقَامِعٍ مِنْ حَدِيدٍ وَيَسْتَقْبِلُونَهُ بِعِظَائِمِ التَّهْدِيدِ وَيَسُوقُونَهُ إِلَى
الْعَذَابِ الشَّدِيدِ وَيُنْكَسُونَهُ فِي جَهَنَّمَ وَيَقُولُونَ لَهُ : ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ
الْكَرِيمُ ﴾ .

فَأَسْكِنُوا دَاراً ضَيِّقَةً الْأَرْجَاءِ ، مُظْلِمَةً الْمَسَالِكِ ، مُبْهَمَةً الْمَهَالِكِ ، قَالَ اللَّهُ
جَلَّ وَعَلَا : ﴿ وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَاناً ضَيِّقاً مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُوراً ﴾ دَارٌ
يُخَلَّدُ فِيهَا الْأَسِيرُ وَيُوقَدُ فِيهَا السَّعِيرُ شَرَابُهُمُ الْحَمِيمُ وَمُسْتَقَرُّهُمْ الْجَحِيمُ .

قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ يَطُوفُونَ
بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آناً ﴾ وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرّاً وَمَقَاماً ﴾ الْهَآوِيَةُ
تَجْمَعُهُمْ وَالزَّآبِيَةُ تَقْمَعُهُمْ .

قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ
فَوْقَ رُءُوسِهِمْ الْحَمِيمُ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ
كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعْيِلُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوصَدَةٌ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴾ أَمَانِيَّتُهُمْ فِيهَا
الْهَلَاكُ ، وَمَا لَهُمْ مِنْهَا فِكَكَ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَنَادُوا يَا مَلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا
رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَأْكُونُونَ ﴾ قَدْ شَدَّتْ أَقْدَامُهُمْ إِلَى النَّوَاصِي ، وَاسْوَدَّتْ
وَجُوهُهُمْ مِنْ ظُلْمَةِ الْمَعَاصِي .

يُنَادُونَ مِنْ أَكْنَافِهَا وَيَصِيحُونَ فِي نَوَاجِيهَا وَأَطْرَافِهَا يَا مَلِكُ قَدْ حَقَّ عَلَيْنَا
الْوَعْدُ يَا مَلِكُ قَدْ أَثْقَلْنَا الْحَدِيدَ ، يَا مَلِكُ قَدْ نَضِجَتْ مِنَّا الْجُلُودُ ، يَا مَلِكُ
الْعَدَمُ خَيْرٌ مِنْ هَذَا الْوُجُودِ ، يَا مَلِكُ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنَّا لَا نَعُودُ .

فَتَقُولُ الزَّآبِيَةُ هَيْهَاتَ لَاتِ حِينَ مَنَاصٍ ، وَلَا تُخْرُجْ لَكُمْ مِنْ دَارِ الْهُونِ قَالَ اللَّهُ
جَلَّ جَلَالُهُ وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ : ﴿ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا
ضَالِّينَ ، رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ، قَالَ اخْسَوْا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُوا ﴾ .

وَلَوْ نَحَرَجْتُمْ لَكُنْتُمْ إِلَى مَا نُهَيِّتُوا عَنْهُ تَعُودُونَ قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى :
﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نَكْذِبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ

من المؤمنين ، بل بَدَأَ لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلِ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٠﴾

فَعِنْدَ ذَلِكَ يَقْنَطُونَ وَعَلَى تَفَرِّطِهِمْ فِي جَنْبِ اللَّهِ يَتَأَسَّفُونَ وَلَا يُنَجِّهِهُمْ النَّدَمُ وَلَا يُغْنِيهِمُ الْأَسَفُ بَلْ يُكَبِّرُونَ عَلَى وَجْهِهِمْ مَغْلُولِينَ قَالَ تَعَالَى : ﴿ فَكَبِّبُوا فِيهَا هُمْ وَالْعَاوُنُ وَجُنُودٌ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴾ .

النَّارُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَالنَّارُ مِنْ تَحْتِهِمْ وَالنَّارُ عَنْ أَيْمَانِهِمْ وَالنَّارُ عَنْ شِمَائِلِهِمْ قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا : ﴿ لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ﴾ فَهُمْ غَرَقُوا فِي النَّارِ طَعَامُهُمْ نَارٌ وَشَرَابُهُمْ نَارٌ وَلِبَاسُهُمْ نَارٌ وَمِهَادُهُمْ نَارٌ قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا : ﴿ لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ﴾ .

فَهُمْ بَيْنَ مُقَطَّعَاتِ الْبِيرَانِ وَسَرَائِلِ الْقِطْرَانِ وَضَرْبِ الْمَقَامِعِ وَثَقُلِ السَّلَاسِلِ فَهُمْ يَتَجَلَّجَلُونَ فِي مَضَائِقِهَا وَيَتَحَطَّمُونَ فِي دَرَكَاتِهَا وَيَضْطَرِبُونَ فِي غَوَاشِيهَا تَغْلِي بِهِمُ النَّارُ كَغَلِي الْقُدُورِ وَيَهْتَفُونَ بِالْوَيْلِ وَالْثُبُورِ .

قَالَ تَعَالَى : ﴿ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾ .

قِيلَ إِنَّ مَقَامِعَ الْحَدِيدِ تُهَشَّمُ بِهَا جِبَاهُهُمْ فَيَتَفَجَّرُ الصَّدِيدُ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَتَنْقَطِعُ مِنَ الْعَطَشِ أَكْبَادُهُمْ وَتَسِيلُ عَلَى الْخُدُودِ أَحْدَاقُهُمْ وَتَسْقُطُ مِنَ الْوَجَنَاتِ لَحُومُهَا وَتَتَمَزَّقُ الْجُلُودُ .

قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا : ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا ﴾ قَدْ عَرِيتُ مِنَ اللَّحْمِ عِظَامُهُمْ فَبَقِيَتْ الْأَرْوَاحُ مَنْوُطَةٌ بِالْعُرُوقِ وَعَلَائِقُ الْعَصَبِ وَهِيَ تَنَشُّ فِي لَفْحِ تِلْكَ الْبِيرَانِ وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ يَتَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ فَلَا يَمُوتُونَ .

قال الله جل وعلا وتقدس : ﴿ وَيَاتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴾ فكيف بلغ لو نظرت إليهم وقد سودت وجوههم وأغميت أبصارهم وأبكمت ألسنتهم وقصمت ظهورهم وكسرت عظامهم ومزقت جلودهم وغلت أيديهم إلى أعناقهم وجميع بين النواصي والأقدام .

قال تعالى : ﴿ يُعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ ﴾ وقال تعالى : ﴿ وَاعْصِرْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمِيًّا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴾ .

فلهيب النار سار في بواطن أجزائهم وحيات الهاوية وعقاربها متشبثة بظواهر أعضائهم . ذكر الترمذي من حديث أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ : « يَخْرُجُ عُقْرُكَ مِنَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَهُ عَيْنَانِ تُبْصِرَانِ وَأُذُنَانِ تَسْمَعَانِ وَلِسَانٌ يُنْطَلِقُ يَقُولُ إِنِّي وَكَلْتُ بِثَلَاثَةِ بَشَرٍ جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَبِكُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ وَبِالْمُصَوِّرِينَ » .

وذكر الترمذي من حديث أبي أمامة عن النبي ﷺ في قوله تعالى : ﴿ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ ﴾ قال : يُقَرَّبُ إِلَى فِيهِ فَيَكْرَهُهُ فَإِذَا أَذْنِي مِنْهُ شَوِيَ وَجْهَهُ وَوَقَعَتْ فَرْوَةُ رَأْسِهِ فَإِذَا شَرِبَ قَطَعَ أَمْعَاءَهُ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ دُبُرِهِ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴾ وَيَقُولُ : ﴿ وَإِنْ يَسْتَنَفِثُوا يُعَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ .

وأنشدوا :

أَمَا سَمِعْتَ بِأَهْلِ النَّارِ فِي النَّارِ وَعَنْ مَقَاسَةِ مَا يَلْقَوْنَ فِي النَّارِ
أَمَا سَمِعْتَ بِأَكْبَادِ لَهُمْ صَدَعَتْ خَوْفًا مِنَ النَّارِ قَدْ ذَابَتْ عَلَى النَّارِ

أَمَّا سَمِعْتَ بِأَغْلَالٍ تُنَاطُ بِهِمْ
 أَمَّا سَمِعْتَ بِضَيْقٍ فِي مَجَالِسِهِمْ
 أَمَّا سَمِعْتَ بِحَيَاتٍ تَدْبُ بِهَا
 أَمَّا سَمِعْتَ بِأَجْسَادٍ لَهُمْ نَضِجَتْ
 أَمَّا سَمِعْتَ بِمَا يُكَلَّفُونَ بِهِ
 حَتَّى إِذَا مَا عَلَوْا عَلَى شَوَاهِقِهَا
 أَمَّا سَمِعْتَ بِرَقُومٍ يُسَوِّغُهُ
 يُسْقُونَ مِنْهُ كُؤُوساً مُلِئَتْ سَقَمًا
 يَشْوِي الْوُجُوهَ وَجُوهًا أَلْبَسَتْ ظُلْمًا
 وَلَا يَنَامُونَ إِنْ طَافَ الْمَنَامُ بِهِمْ
 إِنْ يَسْتَقِيلُوا فَلَا تُقَالُ عُثْرَتُهُمْ
 وَإِنْ أَرَادُوا خُرُوجًا رُدَّ خَارِجُهُمْ
 فَهُمْ إِلَى النَّارِ مَذْفُوعُونَ بِالنَّارِ
 مَا أَنْ يُخَفَّفَ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهِمْ
 فَهَذِهِ صَدَعَتْ أَكْبَادُ سَامِعِهَا
 وَلَوْ يَكُونُ إِلَى وَقْتِ عَذَابِهِمْ
 فَيَا إِلَهِي وَمَنْ أَحْكَامُهُ سَبَقَتْ
 رَحْمَاكَ يَا رَبِّ فِي ضَعْفِي وَفِي ضَعْفِي
 وَلَا عَلَى حَرِّ شَمْسٍ إِنْ بَرَزْتُ لَهَا
 فَإِنْ تَعَمَّدَنِي عَفْوٌ وَثَقْتُ بِهِ

فَيَسْحَبُونَ بِهَا سَحْبًا عَلَى النَّارِ
 وَفِي الْفِرَارِ وَلَا فِرَارَ فِي النَّارِ
 إِلَيْهِمْ خُلِقَتْ مِنْ خَالِصِ النَّارِ
 مِنَ الْعَذَابِ وَمِنْ غَلِي عَلَى النَّارِ
 مِنْ ارْتِقَاءِ جَبَالِ النَّارِ فِي النَّارِ
 صَبُّوا بَعْنِفٍ إِلَى أَسَافِلِ النَّارِ
 مَاءً صَدِيدٌ وَلَا تَسْوِيعَ فِي النَّارِ
 تَرْمِي بِأَمْعَائِهِمْ رَمِيًا عَلَى النَّارِ
 يَفْسَ الشَّرَابِ شَرَابُ سَاكِنِي النَّارِ
 وَلَا مَنَامَ لِأَهْلِ النَّارِ فِي النَّارِ
 أَوْ يَسْتَقِيلُوا فَلَا غِيَاثَ فِي النَّارِ
 بِمَقَمِعِ النَّارِ مَذْخُورًا إِلَى النَّارِ
 وَهُمْ مِنَ النَّارِ يُهْرَعُونَ لِلنَّارِ
 وَلَا تُفْتَرُ عَنْهُمْ سُورَةُ النَّارِ
 مِنْ ذِي الْحِجَبِ وَمِنْ التَّخْلِيدِ فِي النَّارِ
 فِي النَّارِ هَوْنٌ ذَاكُمْ لَفَحَةِ النَّارِ
 فِي الْفِرْقَتَيْنِ مِنَ الْجَنَّاتِ وَالنَّارِ
 فَمَا وَجُودُكَ لِي صَبْرٌ عَلَى النَّارِ
 فَكَيْفَ أَصْبِرُ يَا مَوْلَايَ لِلنَّارِ
 مِنْكُمْ وَإِلَّا فَإِنِّي طُعْمَةُ النَّارِ

اللهم يا عالم الخفيات ، ويا رفيع الدرجات، يا غافر الذنب وقابل التوب
 شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا أنت إليك المصير .

نسألك أن تذيبنا برد عفوك ، وحلاوة رحمتك ، يا أرحم الراحمين وأرأف
الرائفين وأكرم الأكرمين .

اللهم اغثنا من رِقِّ الذُّنُوبِ ، وَخَلِّصْنَا مِنْ شَرِّ النَّفُوسِ ، وَأَذِيبْ عَنَّا
وَحْشَةَ الْإِسَاءَةِ ، وَطَهِّرْنَا مِنْ دَنَسِ الذُّنُوبِ ، وَبَاعِدْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْخَطَايَا وَأَجِرْنَا
مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ .

اللهم طَيِّبْنَا لِلْقَائِلِ ، وَأَهْلُنَا لَوَلَائِكَ وَأَدْخِلْنَا مَعَ الْمَرْحُومِينَ مِنْ أَوْلِيَائِكَ ،
وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ وَالحَقْنَا بِالصَّالِحِينَ .

اللهم أعِنَّا عَلَى ذِكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ ، وَتِلَاوَةِ كِتَابِكَ ، وَاجْعَلْنَا مِنْ
حِزْبِكَ الْمُفْلِحِينَ ، وَأَيِّدْنَا بِجُنْدِكَ الْمَنْصُورِينَ ، وَأَرْزُقْنَا مُرَافَقَةَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ
عليهم مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشَّهَدَاءَ وَالصَّالِحِينَ . وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى
آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

« مَوْعِظَةٌ »

عِبَادَ اللَّهِ قَدْ سَبَقَ ذِكْرُ الْمَوْتِ وَأَحْوَالِ الْمَيِّتِ فِي سَكَرَاتِهِ وَفِتْنَةِ الْقَبْرِ
وَسُؤَالِ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ وَعَذَابِ الْقَبْرِ وَنَعِيمِهِ وَخَطَرُ مَنْ كَانَ مَسْخُوطًا عَلَيْهِ وَأَعْظَمُ
مِنْ ذَلِكَ الْأَخْطَارُ الَّتِي بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ نَفْخِ الصُّورِ وَالْبُعْثِ وَالنُّشُورِ وَالْعَرْضِ
عَلَى الْجَبَّارِ وَالسُّؤَالِ عَنِ الدَّقِيقِ وَالْجَلِيلِ وَنَضْبِ الْمِيزَانِ لِمَعْرِفَةِ الْمَقَادِيرِ .

ثُمَّ جَوَازُ الصِّرَاطِ مَعَ دَقَّتِهِ وَحَدِيثِهِ ثُمَّ انْتِظَارُ النَّدَاءِ عِنْدَ فَضْلِ الْقَضَاءِ إِمَّا
بِالْإِسْعَادِ وَإِمَّا بِالْإِسْقَاءِ فَهَذِهِ أَحْوَالُ وَأَهْوَالُ لَا بُدَّ مِنْ مَعْرِفَتِهَا ثُمَّ الْإِيمَانُ بِهَا
عَلَى سَبِيلِ الْجَزْمِ وَالتَّصَدِيقِ ثُمَّ تَطْوِيلُ الْفِكْرِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي مَقْدَارُهُ
خَمْسُونَ أَلْفَ سَنَةٍ .

كَمَا جَاءَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ يَجْمَعُ اللَّهُ فِيهِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ

وَاجِدٌ يُسْمِعُهُمُ الدَّاعِيَ وَيَنْفَذُهُمُ الْبَصَرَ لَا يَغِيبُ مِنْهُمْ أَحَدٌ وَتَذُنُّ مِنْهُمْ الشَّمْسُ
وَيُلْجِمُهُمُ الْعَرَقُ هَذَا الْيَوْمُ هُوَ الْيَوْمُ الَّذِي تَذْهَلُ فِيهِ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَنْ مَا
أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى
وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ .

فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ يَبْلُغُ الْأَمْرُ مِنَ الْخَيْرَةِ وَالذُّهْشَةِ وَالاضْطِرَابِ وَالذُّهُولِ
أَنْ تَذْهَلَ الْمُرْضِعَةُ عَنْ وَلَدِهَا الَّذِي فَمُهُ فِي ثَدْيِهَا وَهُوَ أَعَزُّ شَيْءٍ لَدَيْهَا فَكَيْفَ
بِالذُّهُولِ عَمَّا سِوَاهُ وَتَسْقِطُ الْحَوَامِلُ مِنَ الْفَرْعِ وَالرُّعْبِ وَالرُّوعِ مَا فِي بُطُونِهَا
مِنَ الْأَجْنَةِ قَبْلَ التَّمَامِ وَتَرَى النَّاسَ كَأَنَّهُمْ سُكَارَى مِنْ شِدَّةِ الرُّوعِ وَالْفَرْعِ
وَالْخَوْفِ الَّذِي صَيَّرَ مَنْ رَأَاهُمْ يُشَبِّهُهُمُ بِالسُّكَارَى لِذَهَابِ عُقُولِهِمْ مِنْ شِدَّةِ
الْخَوْفِ كَمَا يَذْهَبُ عَقْلُ السُّكَرَانِ مِنَ الشَّرَابِ « يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ تَتَّبِعُهَا
الرَّادِفَةُ تَكُونُ الْأَرْضُ كَالسَّفِينَةِ فِي الْبَحْرِ عِنْدَ اضْطِرَابِ الْأَمْوَاجِ تَكْفَأُ
بِأَهْلِهَا .

فَيَمِينُ النَّاسِ عَلَى ظَهْرِهَا وَيَتَسَاقُطُونَ مِنْ شِدَّةِ الْأَمْرِ وَبُلُوغِهِ أَقْصَى
الْغَايَاتِ وَلِهَذَا أَذْهَلَ الْعُقُولَ وَأَذْهَبَ التَّمْيِيزَ وَالْفِكْرَ وَالصُّحُوحَ إِنَّهُ يَوْمُ الْقِيَامَةِ
﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا وَأُخْرِجَتِ الْأَرْضُ أَنْقَالَهَا ﴾ .

إِنَّهَا لَهَزَةٌ عَنِيفَةٌ لِلْقُلُوبِ الْغَافِلَةِ حَيْثُ تَرْجُفُ الْأَرْضُ الثَّابِتَةُ أَرْبَعًا
وَتَزَلْزَلُ زِلْزَالًا وَتَنْفُضُ مَا فِي جَوْفِهَا نَفْضًا وَتُخْرِجُ مَا يُثْقَلُهَا مِنْ أَجْسَادٍ وَنُقُودٍ
وغيرها مِمَّا حَمَلَتْهُ طَوِيلًا وَهُوَ مَشْهَدٌ يَهْزُ كُلُّ شَيْءٍ ثَابِتٍ وَالْأَرْضُ تَهْتَزُّ وَالسَّمَاءُ
تَعُورُ .

إِنَّهُ لَمَشْهَدٌ مُجَرَّدٌ تَصَوُّرُهُ ، يَخْلَعُ الْقُلُوبَ يَرَى الْإِنْسَانُ مَا لَا يَعْهَدُ

وَيُؤَاجِهْ مَا لَا يُدْرِكُ وَيَشْهَدْ مَا لَا يَمْلِكُ الصَّبْرُ أَمَامَهُ وَلَا السُّكُوتُ عَنْهُ ﴿وَقَالَ
الْإِنْسَانُ مَا لَهَا﴾ مَا الَّذِي يُزِلُّهَا هَكَذَا وَيَرْجُّهَا رَجَا .

رُكَّائِهِ مِنْ شِدَّةِ مَا تَزَلُّ يَتَمَايَلُ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ وَيَتَشَبُّثُ وَيُحَاوِلُ أَنْ
يُمْسِكَ بِشَيْءٍ لَعَلَّهُ يَثْبُتُ لِأَنَّ كُلَّ مَا حَوْلَهُ يَمُورُ مَوْرًا شَدِيدًا قَدْ اِمْتَلَأَ مِنَ الرَّعْبِ
وَالْفَزَعِ وَالذُّعْشَةِ وَالْعَجَبِ .

يَرَى الْجِبَالَ وَهِيَ تَسِيرُ وَإِذَا الْجِبَالُ سِيرَتْ ، هَذِهِ الْجِبَالُ وَقَدْ نُسِفَتْ
وَبُسْتُ وَرَأَاهَا ذُرَابٌ فِي الْهَوَاءِ ﴿وَبُسْتُ الْجِبَالَ نَسًا فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا﴾
وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ، وَسِيرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ
سَرَابًا .

هَذِهِ تُصْرِّحُ وَتُسِيرُ إِلَى حَدَثٍ عَظِيمٍ تَتَزَلُّزَلُ مِنْهُ الْجِبَالُ وَتَذْهَبُ هَبَاءً
يَتَلَاشَى ثَبَاتُهَا وَرُسُوخُهَا وَاسْتِقْرَارُهَا وَتَمَاسُكُهَا وَالْإِنْسَانُ يَنْظُرُ وَلَا يَكَادُ يَلْتَقِطُ
أَنفَاسَهُ ﴿إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاطِمِينَ﴾ .

هَنَا يُشَاهِدُ وَيُؤَاجِهُ الْحَشَرَ وَالْجِنَابَ وَالْوَزْنَ وَالْجَزَاءَ وَيَقِفُ جَبْرِئِلُ
عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا بَيْنَ يَدَيِ الرَّحْمَنِ ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ
صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ ﴿كَذَلِكَ يَوْمَ مَجْمُوعٌ لَهُ
النَّاسُ وَكَذَلِكَ يَوْمَ مَشْهُودٌ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلُمُ نَفْسٌ إِلَّا بِأَذْنِهِ﴾ ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ
صَفًّا صَفًّا﴾ .

وَمَوْقِفُ هَؤُلَاءِ الْمُقَرَّبِينَ صَامِتِينَ خَاشِعِينَ خَاضِعِينَ لِعَظَمَةِ اللَّهِ
﴿وَحُشِعَتِ الْأَصْوَابُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِ
الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ .

مَوْقِفُهُمْ هَكَذَا صَامِتِينَ لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا بِأَذْنٍ مِنَ الرَّحْمَنِ يُلْقِي فِي

النَّفْسِ الرَّهْبَةِ وَالرُّعْبَ وَالْفَزَعَ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ الْعَظِيمِ الَّذِي يَنْكَشِفُ فِيهِ كُلُّ مَسْتُورٍ وَيُعْلَمُ فِيهِ كُلُّ مَجْهُولٍ .

وَتَقِفُ فِيهِ النَّفْسُ أَمَامَ مَا أَحْضَرَتْ مِنَ الرُّصِيدِ وَالزَّادِ فِي مَوْقِفِ الْفَصْلِ وَالْحِسَابِ ﴿هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ﴾ «يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا» ﴿يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ ﴿يَوْمَئِذٍ يُوفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ﴾ .

فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ يَكُونُ التَّغْيِيرُ الْعَظِيمُ الشَّامِلُ لِلْمَعْهُودَاتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الشَّمْسُ مُكَوَّرَةٌ وَالنُّجُومُ مُنْكَدِرَةٌ وَالسَّمَاءُ مُنْشَقَّةٌ وَالْوُحُوشُ النَّافِرَةُ مَحْشُورَةٌ وَالْأَنْعَامُ وَالطُّيُورُ وَالْعِشَارُ مُعْطَلَةٌ ﴿فَإِذَا بَرَقَ الْبَصَرُ وَخَسَفَ الْقَمَرُ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُ﴾ ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا﴾ ﴿فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ .

هَذِهِ الْآيَاتُ وَأَمْثَالُهَا تُشِيرُ إِلَى ذَلِكَ الْحَادِثِ الْهَائِلِ فِي الْكَوْنِ كُلِّهِ وَلَا يَعْلَمُ حَقِيقَتَهُ إِلَّا اللَّهُ إِنَّهُ حَادِثٌ عَظِيمٌ تَرْجُفُ الْأَرْضُ مِنْهُ وَتَخَافُ وَتَنْهَارُ فَكَيْفَ بِالْخَلْقِ الضُّعَافِ الْمَهَازِلِ الَّذِينَ تَهْزُهُمُ الصَّوَاعِقُ هَزًّا وَتَخْلَعُ قُلُوبُهُمْ خُلْعًا ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا السَّمَاءُ مُنْفِطِرَةٌ بِهِ﴾ ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلًا﴾ .

وَفِي وَسْطِ هَذَا الرُّعْبِ وَالْخَوْفِ وَالْقَلَقِ وَالْفَزَعِ وَالذُّهُولِ وَالْإِنْقِلَابِ يَتَسَاءَلُ الْإِنْسَانُ الْمَذْعُورُ الْمَرْعُوبُ أَيْنَ الْمَفَرُ وَيَتَدَوَّرُ فِي سُؤَالِهِ وَكَأَنَّمَا يَنْظُرُ فِي كُلِّ اتِّجَاهٍ فَإِذَا هُوَ مَسْدُودٌ دُونَهُ مَاخُودٌ عَلَيْهِ وَلَا مَلْجَأَ وَلَا مَحِيصَ وَلَا مَنَفَذَ وَلَا وَقَايَةَ مِنْ قَهْرِ اللَّهِ وَآخِذِهِ، وَالرُّجْعَةُ إِلَيْهِ وَالْمَصِيرُ وَالْمُسْتَقَرُّ عِنْدَهُ ﴿كَلَّا

لَا وَزَرَ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ﴿١٠﴾ يَا مَعْشَرَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ
تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا .

فَفِي هَذَا الْمَوْقِفِ الرَّهِيْبِ يَتَبَيَّنُ عَجْزُ الْخَلَائِقِ وَضَعْفُهُمْ وَكَمَالُ سُلْطَانِ
اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ وَتَفَوُّذُ مَشِيئَتِهِ ﴿١١﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَابِ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿١٢﴾ إِنَّكُمْ فِي
قَبْضَةِ اللَّهِ ﴿١٣﴾ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا ﴿١٤﴾ إِنَّهُ لَيَوْمٌ عَصِيبٌ وَمَوْقِفٌ رَهِيْبٌ
﴿١٥﴾ إِنَّ كُلَّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ
عَدًّا وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا .

فَلَا مَجَالَ لِهَرَبِ أَحَدٍ وَلَا نِسْيَانٍ لِأَحَدٍ فَعَيْنُ اللَّهِ عَلَى كُلِّ فَرْدٍ وَكُلِّ فَرْدٍ
يَقُومُ وَحِيدًا لَا يَأْنَسُ بِأَحَدٍ فَإِذَا هُوَ فَرِيدٌ وَحِيدٌ أَمَامَ الدِّيَانِ ﴿١٦﴾ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ
تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبْنَاهُ وَصَاحِبَتِهِ وَبَيْنَهُمْ لِكُلِّ
أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ .

مَشْهَدُ الْمَرْءِ يَفِرُّ وَيَنْسَلِخُ وَيَهْرَبُ مِنْ أَقْرَبِ النَّاسِ إِلَيْهِ وَالصَّيْقَلُ بِهِ
أُولَئِكَ الَّذِينَ تَرْتَبِطُهُمْ بِهِ وَشَائِجٌ وَرَوَائِبُ لَا تَنْقُصُ وَلَكِنَّ الصَّاحَّةَ وَالطَّامَةَ تَمْرُقُ
هَذِهِ الرِّوَابِطُ وَتُقَطَّعُ الْوَشَائِجُ وَالصَّلَاتِ ﴿١٨﴾ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا
يَتَسَاءَلُونَ .

فَالْهَوْلُ يُفْرِعُ النَّفْسَ وَيُقْلِقُهَا وَيَفْصِلُهَا مِنْ مُحِيطِهَا وَيَسْتَبِدُّ بِهَا اسْتِبْدَادًا
فِلْكَلِّ نَفْسٍ وَشَأْنُهُ وَلِذَلِكَ الْكِفَايَةُ مِنَ الْهَمِّ الْخَاصِ بِهِ الَّذِي لَا يَدْعُ لَهُ فَضْلَةً مِنْ
وَعْيٍ أَوْ جُهْدٍ ﴿١٩﴾ لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٢٠﴾ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى
الْحَنَاجِرِ كَاطِمِينَ .

أَلَمْ تَسْمَعْ عَنِ النَّبَأِ الْعَظِيمِ وَعَنْ خَطْبِ خُلِقَتْ لَهُ جِسْمِ

وَزَلْزَالَ يَهُدُّ الْأَرْضَ هَدًّا
وَأَهْوَالَ كَأَطْوَادٍ رَوَاسِي
فَمِنْ رَاسٍ يَشِيبُ وَمِنْ فَوَادٍ
وَسَكَرَانٍ وَلَمْ يَشْرَبْ لِسْكَرٍ
وَمُرْضِعَةٍ قَدْ أَذْهَلَهَا أَسَاهَا
وَمُؤْتَمَةٍ تَوَلَّتْ عَنْ بَيْنِهَا
وَحُبْلَى اسْقَطَتْ ذُعْرًا وَخَوْفًا
وَهَذَا مَشْهَدٌ لَا بُدَّ مِنْهُ
وَمَا كِسْرَى وَقِصْرٌ وَالتَّجَاشِي
بِذَاكَ الْيَوْمِ إِلَّا فِي مَقَامٍ
وَمَا لِلْمَرْءِ إِلَّا مَا سَعَاهُ
وَأَنْتَ كَمَا عَلِمْتَ وَرَبِّ أَمْرِ
فَدَعْ عَيْنَيْكَ تَسْبُحُ فِي مَعِينٍ
وَشُقُّ جُيُوبِ صَبْرِكَ شُقُّ تُكْلِ
وَمَاذَا الْأَمْرُ ذَلِكُمْ وَلَكِنْ

وَيَرْمِي فِي الْحَضِيضَةِ بِالنُّجُومِ
تَلَاطُمٌ فِي ظُلُوعِ كَالْهَشِيمِ
يَذُوبُ وَمِنْ هُمُومٍ فِي هُمُومٍ
وَهَيْمَانٍ وَلَمْ يَغْلُقْ بِرِيمٍ
فَمَا تَذَرِي الرُّضِيعَ مِنَ الْفُطِيمِ
وَأَلَقْتَ بِالْيَتِيمَةِ وَالْيَتِيمِ
فِيَاللَّهِ لِلْيَوْمِ الْعَقِيمِ
وَجَمْعُ لِلْحَدِيثِ وَلِلْقَدِيمِ
وَتَبَعُ وَالْقُرُومُ بَنُوا الْقُرُومِ
أَذَلَّ مِنَ الثَّرَابِ لِسُذِي السَّلِيمِ
لِدَارِ الْبُؤْسِ أَوْ دَارِ التَّعْنِيمِ
يَكُونُ أَذَاهُ أَوْقَعُ بِالْعَلِيمِ
وَقَلْبَكَ ذَرُهُ يَقْلُبُ فِي جَحِيمِ
تَعَلَّقَتْ ابْنَهَا رَجُلًا سَهُومِ
تُشَبَّهُ بِالْبَحَارِ يَدُ الْكَرِيمِ

اللَّهُمَّ نَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ النَّارِ وَعَافِنَا مِنْ دَارِ الْخِزْيِ وَالْبَوَارِ وَأَدْخِلْنَا
بِفَضْلِكَ الْجَنَّةَ دَارَ الْقَرَارِ وَعَامِلْنَا بِكَرَمِكَ وَجُودِكَ يَا كَرِيمُ يَا غَفَّارُ وَاعْفِرْ لَنَا
وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

فَصْلٌ

إِعْلَمَ رَحِمَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ أَنْ فِي الْجَنَائِزِ عِبْرَةٌ لِلْمُعْتَبِرِينَ ، وَفِكْرَةٌ لِلْمُتَفَكِّرِينَ ،
وَتَنْبِيْهُهَا لِلْغَافِلِينَ ، وَإِقْظَاةٌ لِلنَّائِمِينَ .

يُنَمَّا الْإِنْسَانُ فِي قِيَامٍ وَقُعُودٍ ، وَتُزُولُ وَصُعُودٍ ، وَتُحَذُّ هَذَا وَاتَّكَ هَذَا ،
وَاشْتَرَّ هَذَا وَبَعَّ هَذَا ، وَابْنُ هَذَا وَاهْدَمَ هَذَا ، وَقَدْ كَانَ وَمَا كَانَ ، وَتَقَدَّمَ هَذَا
وَتَأَخَّرَ هَذَا ، وَعَيْنَ فُلَانٍ وَفُصِّلَ فُلَانٌ ، وَرَبِحَ فُلَانٌ وَخَسِرَ فُلَانٌ .

إِذْ فَاجَأَهُ الْأَمْرُ الْإِلَهِيُّ وَالْحَادِثُ السَّمَائِيُّ وَالْحُكْمُ الرَّبَّانِيُّ فَسَكَنتُ حَرَكَتَهُ
وَطَفِئَتْ شُعَلَتُهُ ، وَذَهَبَتْ نَظَرَتُهُ وَصَارَ كَالْخَشَبَةِ الْمَنْبُودَةِ وَالْحَجَرِ الْمَرْمِيِّ .

إِنْ تُودِي لَمْ يَسْمَعْ وَإِنْ دُعِيَ لَمْ يُجِبْ وَإِنْ قُطِعَ أَوْ سُحِبَ أَوْ حُرِّقَ لَمْ
يُمَانِعْ وَلَمْ يَتَكَلَّمْ ، عِبْرَةٌ لِمَنْ اعْتَبَرَ وَذِكْرٌ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ .

وَلَكِنْ حُبُّ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَشَهَوَاتُهَا وَحِجَابُ الْهَوَى غَطَّى الْقُلُوبَ
وَأَعْمَى الْبَصَائِرَ يَمْنَعُ التَّفَكُّرَ فِي الْجَنَائِزِ وَالْإِعْتِبَارَ بِهَا .

فَصَارَتْ لَا تَزِيدُ رُؤْيُهَا عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ إِلَّا غَفْلَةً وَلَا مُشَاهَدَتُهَا إِلَّا
قَسْوَةً حَتَّى كَانَ الْمَيِّتُ نَائِمٌ يَسْتَيْقِظُ بَعْدَ سَاعَةٍ أَوْ كَانَ الَّذِي يَرَى الْجَنَازَةَ لَا يَكُونُ
مِثْلَهَا وَكَانَ الْمَيِّتُ نَزَلَ بِهِ الْمَوْتُ وَحَدَهُ وَقَصَدَهُ خَاصَّةً .

وَلِذَلِكَ تَجِدُ كَثِيرًا مِنَ الْمَشِيعِينَ يَبْحَثُ فِي مُخَلَّفَاتِهِ نَعْمَ يَعْلَمُ كُلُّ إِنْسَانٍ أَنَّهُ
سَيَمُوتُ لِقَوْلِ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ .

وَقَدْ تَخَالَفَ النَّاسُ إِلَّا فِي الْمَوْتِ فَهُمْ مُتَّفِقُونَ ، وَلَكِنْ لَا يَظُنُّونَ ذَلِكَ مِنْ
قَرِيبٍ قَدْ فَسَحُوا لِأَنْفُسِهِمْ فِي الْمَدَّةِ وَمَدُّوا لَهَا فِي الْمُهْلَةِ بِدَلِيلٍ مَا يُنْشِئُونَهُ مِنَ
الْأَعْمَالِ وَالْقُصُورِ وَالشَّرَكَاتِ وَنَحْوِ ذَلِكَ .

وَإِنْ دَارَ عَلَى لِسَانِهِ ذِكْرُ الْمَوْتِ عَنْ قَرِيبٍ فَهُوَ قَوْلٌ ضَعِيفٌ بِدَلِيلٍ عَدَمِ
تَحْرِكِهِ مِنْ قَبْلِ الْآخِرَةِ وَحَالَتِهِ قَبْلَ رُؤْيَةِ الْجَنَائِزِ كَحَالَتِهِ بَعْدَ تَشْيِيعِهَا أَكْبَرَ
بُرْهَانٍ عَلَى ذَلِكَ وَرُبَّمَا تَحَدَّثُوا بِحَدِيثِ الدُّنْيَا وَضَحِكُوا وَالْمَيِّتُ يُدْفَنُ .

وَقَلَّمَا يَبْكِي عَلَى الْجَنَازَةِ إِلَّا أَهْلَهَا وَذَلِكَ لِإِفْرَاقِهَا ، لَا لِتَفْسِيرِ الْمَوْتِ ،
كَبْكَاءِ الطِّفْلِ وَالْمَرْأَةِ الَّذِينَ لَا يَعْقِلَانِ وَلَا يَعْلَمَانِ ، وَلَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ لَكَانَ
بُكَاءُهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا عَلَى مَيِّتِهِمْ لِأَنَّهُ مَاتَ وَهُمْ يَنْتَظِرُونَ الْمَوْتَ .

بَكَى لِأَنَّهُ مَاتَ مَيِّتٌ مِنْ عَشِيرَتِهِ وَقَالَ وَاحِرَبًا وَصَاحَ يَا هَرَبًا
وَبَاتَ فَوْقَ حَشَاهُ لِلْأَسَى لَهَبٌ إِذَا أَرَادَ حُبُوبًا فَارًا وَ التَّهَبَا
وَلَوْ رَأَى بِصَحِيحِ الْعَقْلِ جِئْنَ رَأَى وَكَشَفَ اللَّهُ عَنْهُ لِلْهَوَى حُجُبًا
لَمَّا رَأَى الذَّمَّ مَيِّتًا أَوْ أَحْسَنَ بِهِ إِلَّا بَكَى نَفْسَهُ الْمُسْكِينُ وَاتَّخَبَا
وَمَنْ رَأَى السُّمَرَ فِي جَنَّتَيْهِ شَارِعَةً أُنِّي يَرَاهَا بِجَنِبِ نَاءٍ أَوْ قُرْبًا
وطلَّعة الموتِ ان تطلَّع على أحدٍ أَرْتُهُ فِي نَفْسِهِ مِنْ هَوْلِهَا عَجَبًا

اللَّهُمَّ اخْتِمْ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ أَعْمَارَنَا وَحَقِّقْ بِفَضْلِكَ آمَالَنَا وَسَهِّلْ
لِبُلُوغِ رِضَاكَ سُبُلَنَا وَحَسِّنْ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ أَعْمَالَنَا يَا مُنْقِذَ الْعَرْقَى وَيَا
مُنْجِيَ الْهَلَكَى وَيَا دَائِمَ الْإِحْسَانِ أَذِقْنَا بَرْدَ عَفْوِكَ وَأَنْلِنَا مِنْ كَرَمِكَ وَجُودِكَ مَا
تَقَرُّ بِهِ عُيُونُنَا مِنْ رُؤْيَيْكَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ
الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

فصل

وقال رحمه الله تعالى واعلم أن الميت كالحَيِّ فيما يُهْدَى إليه بَلِّ الْمَيِّتُ أَكْثَرُ
وَأَكْثَرُ لِأَنَّ الْحَيَّ قَدْ يَسْتَقِيلُ مَا يُهْدَى إِلَيْهِ وَيَسْتَحْقِرُ مَا يُتَحَفُّ بِهِ .

وَالْمَيِّتُ لَا يَسْتَحْقِرُ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ لِأَنَّهُ يَعْلَمُ قِيمَتَهُ بَعْدَ مَا خَرَجَ مِنَ الدُّنْيَا
وَطَوَيْتْ صَحِيفَتَهُ وَقَدْ كَانَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ أَيَّامَ حَيَاتِهِ وَلَكِنْ ضَيَّعَهُ .

وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى وُضُوءِ الْقُرْبِ إِلَى الْمَيِّتِ قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ : « إِذَا مَاتَ

الإنسان انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ
يَدْعُو لَهُ » الحديث رواه مُسْلِمٌ ١ هـ .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال رسول الله ﷺ : « إِنَّ مِمَّا يُلْحَقُ
الْمُؤْمِنَ مِنْ عَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ عِلْمًا عَلَّمَهُ وَنَشَرَهُ وَوَلَدًا صَالِحًا تَرَكَهُ .

أَوْ مُصْحَفًا وَرَّثَهُ أَوْ مَسْجِدًا بَنَاهُ أَوْ بَيْتًا لِابْنِ سَبِيلٍ بَنَاهُ أَوْ نَهْرًا أَجْرَاهُ أَوْ
صَدَقَةً أَخْرَجَهَا مِنْ مَالِهِ فِي صِحَّتِهِ وَحَيَاتِهِ تَلَحُّقُهُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ » رواه ابن ماجه
وابن حُزَيْمَةَ .

وَرَوَاهُ الْبَزَّازُ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ إِلَّا أَنَّهُ قَالَ : « سَبْعٌ تَجْرِي لِلْعَبْدِ بَعْدَ مَوْتِهِ
وَهُوَ فِي قَبْرِهِ مَنْ عِلْمٍ عَلَّمَهُ أَوْ كَرَى نَهْرًا أَوْ حَفَرَ بِئْرًا أَوْ غَرَسَ نَخْلًا أَوْ بَنَى
مَسْجِدًا أَوْ وَرَّثَ مُصْحَفًا أَوْ تَرَكَ وَلَدًا يَسْتَغْفِرُ لَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ » .

وَالطَّبْرَانِيُّ عَنْ ثَوْبَانَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ
الْقُبُورِ فَزُورُوهَا وَاجْعَلُوا زِيَارَتَكُمْ صَلَاةً عَلَيْهِمْ وَاسْتَغْفَارًا لَهُمْ » .

وَالْإِسْنَادُ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ قَالَ كَانَ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ يُعْتَقَانِ عَنْ عَلِيٍّ
بَعْدَ مَوْتِهِ .

وله عن الحجاج بن دينارٍ مرفوعاً « إِنْ مِنْ الْبِرِّ بَعْدَ الْبِرِّ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَيْهِمَا مَعَ
صَلَاتِكَ وَأَنْ تُصُومَ عَنْهُمَا مَعَ صِيَامِكَ وَأَنْ تُصَدَّقَ عَنْهُمَا مَعَ صَدَقَتِكَ » .

وَالْبَيْهَقِيُّ فِي سُنَنِهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ مَرْفُوعاً : « إِنَّ اللَّهَ لَيَرْفَعُ الدَّرَجَةَ لِلْعَبْدِ
الصَّالِحِ فِي الْجَنَّةِ فَيَقُولُ يَا رَبِّ أَنْتَ لِي هَذِهِ فَيَقَالُ بِدُعَاءٍ وَلَدِكَ لَكَ » وأخرجه
البخاري في الأدب عنه موقوفاً .

وَيُرَوَّى أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « الْمَيِّتُ كَالْعَرِيقِ فِي قَبْرِهِ يَنْتَظِرُ دَعْوَةَ تَلَحُّقِهِ

من ولده أو أخيه أو صديق له فإذا لحقته كآث أحب إليه من الدنيا وما فيها .
ومما يدل على وصول القرب إلى الميت أمره عليه الصلاة والسلام
بالسلام على أهل القبور والدعاء لهم وماذاك إلا لكون الدعاء لهم والسلام
عليهم يصل إليهم والله أعلم .

قال بشر بن منصور كان رجل زمن الطاعون يحتلف إلى المقابر ثم
يستقبل القبور فيقول أمّن الله رؤعتكم وآنس الله وحشتكم رحم الله غربتكم
تقبل الله حسناتكم وتجاوز الله عن سيئاتكم لا يزيد على هذه الكلمات .

قال الرجل فأنصرفت يوماً ولم أذع فلما كان الليل رأيت فيما يرى النائم
خلقاً كثيراً قد جاؤني فقلت لهم من أنتم قالوا أهل المقابر قلت وما حاجتكم .

قالوا إنك قد عودتنا منك هدية تُهديها إلينا عند انصرافك قلت وما هي
قالو الدعوات التي كنت تدعو بها قلت فإني أعود لِمَا كُنت أدعُو به قال فما
تركت ذلك .

شِعْرَا :

قِفْ بِالْقُبُورِ بِأَكْبَادٍ مُصَدَّعَةٍ	وَدَمْعَةٍ مِنْ سَوَادِ الْقَلْبِ تَنْبَعُثُ
وَسَلْ بِهَا عَنْ أَنْاسٍ طَالَمَا رَشَفُوا	تَغْرِ النَّعِيمِ وَمَا فِي ظِلِّهِ مَكْنُوءَا
مَاذَا لَقُوا فِي خَبَايَاهَا وَمَا قَدِمُوا	عَلَيْهِ فِيهَا وَمَا مِنْ أَجْلِهِ أَرْبَبُوءَا
وَعَنْ مَحَاسِنِهِمْ أَنْ كَانَ غَيْرَهَا	طُولُ الْمَقَامِ يَبْطِنُ الْأَرْضِ وَاللَّبْثُ
وَمَا لَهُمْ حَشَرَاتُ الْأَرْضِ تَنْهَشُهُمْ	نَهْشاً تَزُولُ لَهُ الْأَعْضَاءُ وَالنَّجْثُ
وَيَلْكُمُ الْفَتَيَاتُ إِذْ طُرِحْنَ بِهَا	هَلْ كَانَ فِيهِنَّ ذَالْتَعْيِيرُ وَالشَّعْثُ
فَإِنْ يُجِبْكَ عَلَى لَأْيٍ مُجِيبُهُمُوا	وَلَنْ يُجِيبَ وَأَنْتَى يَنْطِقُ الْجَدُّ
فَانْظُرْ مَكَانَكَ فِي أَفْنَاءِ سَاحَتِهِمْ	فَإِنَّهُ الْجَدُّ لَا هَزْلَ وَلَا عَبَثُ

وَاغْمَلْ لِمَصْرَعِ يَوْمٍ هَالٍ أَوَّلُهُ وَمِنْ أَمَامِكَ فِيهِ الرُّوعُ وَالْجَأْتُ
 اللَّهُمَّ أَنْظِمْنَا فِي سِلْكِ الْفَائِزِينَ بِرِضْوَانِكَ ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الْمُتَّقِينَ الَّذِينَ
 أَعَدَدْتَ لَهُمْ فَسِيحَ جَنَّاتِكَ ، وَأَدْخِلْنَا بِرَحْمَتِكَ فِي دَارِ أَمَانِكَ ، وَعَافِنَا يَا مَوْلَانَا
 فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِنْ جَمِيعِ الْبَلَايَا وَأَجْزِلْ لَنَا مِنْ مَوَاهِبِ فَضْلِكَ وَهَبَاتِكَ
 وَمَتَّعْنَا بِالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ الْكَرِيمِ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ
 وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ، وَاعْفُ رَحْمَةً لَنَا وَلِلدُّنْيَا وَلِلْجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
 الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ
 وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

فَصْلٌ

فوائد ومواعظ

إِعْلَمْ رَحِمَكَ اللَّهُ أَنَّ كَثْرَةَ الْإِشْتَغَالِ بِالدُّنْيَا وَفِرَاقَ الْجُهْدِ فِيهَا ، وَالْمِيلَ
 إِلَيْهَا بِالْكَلْبَةِ ، وَإِلَى حَلَاوَةِ أَحَادِيثِهَا وَلَذَّةِ أَمَانِيَّهَا ، تَمْنَعُ حَرَارَةَ ذِكْرِ الْمَوْتِ أَنْ
 تَرِدَ عَلَى الْقَلْبِ ، وَأَنْ تَلْجَ فِيهِ ، لِأَنَّ الْقَلْبَ إِذَا امْتَلَأَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكُنْ لِشَيْءٍ آخَرَ
 فِيهِ مَدْخَلٌ وَلَا لِسِوَاهُ فِيهِ مَجَالٌ .

أَلَا تَرَى أَنَّ الْإِنَاءَ إِذَا مَلَأْتَهُ بِشَيْءٍ لَمْ يُمَكِّنْكَ أَنْ تُدْخِلَ عَلَيْهِ شَيْئاً آخَرَ ،
 وَوَجْهَكَ إِذَا صَرَفْتَهُ إِلَى مَوْضِعٍ صَرَفْتَهُ عَنْ مَوْضِعٍ آخَرَ .

وَمَتَى دَامَ الْقَلْبُ عَلَى هَذَا لَمْ يَكُنْ لِذِكْرِ الْمَوْتِ فِيهِ تَأْثِيرٌ ، وَلَا لِتَرْدَادِهِ
 حَلَاوَةً ، وَكَيْفَ يُوَثِّرُ فِيهِ وَهُوَ لَا يَجِدُ مَكَاناً يَنْزِلُ فِيهِ ، وَلَا مَوْضِعاً يَتَعَلَّقُ بِهِ .

قَدْ مَلَأَهُ حُبُّ الشَّهَوَاتِ الْفَانِيَةِ ، وَاللَّذَاتِ الْمَتَصَرِّمَةِ ، فَهُوَ شَبَعَانُ رَيَّانٍ

حَيْرَان سَكْرَان ، أَعْمَى أَصَمَّ إِنَّ عُرْضَ عَلَيْهِ طَرِيقَ لَمْ يَرَهُ ، أَوْ نُودِيَّ بِاجْتِنَابِ
رَدِيٍّ لَمْ يَسْمَعْ .

فَإِذَا أَرَادَ صَاحِبُ هَذَا الْقَلْبِ سَمَاعَ الْحِكْمَةِ وَالْإِنْفَاعِ بِالْمَوْعِظَةِ لَمْ يَكُنْ لَهُ
بُدٌّ مِنْ تَفْرِيعِهِ مِمَّا شَغَلَهُ لِيَجِدَ التَّذَكُّرَ فِيهِ مَنْزِلًا ، وَتَلْقَى الْمَوْعِظَةَ فِيهِ مَحَلًّا
قَابِلًا .

فَلَا يَزَالُ يَتَعَاهَدُهُ وَيَتَفَقَّدُهُ بِالْأَذْكَارِ وَالْأَفْكَارِ وَالنَّظَرِ وَالْإِعْتِبَارِ آتَاءَ اللَّيْلِ
وَأَطْرَافِ النَّهَارِ لِئَلَّا يَرْجِعَ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الطَّبْعِ وَالذَّنْسِ فَيَعُودَ إِلَى حَالَتِهِ
الْأُولَى مِنَ الْغَيْنِ وَالْغِيمِ .

فَإِنْ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى تَفْرِيعِهِ بِمَرَّةٍ فَرَّغَ مِنْهُ مَا أَمَكْنَ وَجَعَلَ مَكَانَ مَا أَزَالَ
ضِدَّهُ ، فَيَجْعَلُ مَكَانَ الْعَقْلَةِ ذِكْرًا ، وَمَكَانَ الْفَرْحِ حُزْنًا وَمَكَانَ الْإِغْتِبَاطِ
نَدَمًا ، وَمَكَانَ السَّهْوِ تَيَقُّظًا ، وَمَكَانَ النَّوْمِ انْتِبَاهًا ، وَمَكَانَ الْإِهْمَالِ اجْتِهَادًا
وَاسْتِدْرَاكًا لِمَا فَاتَهُ .

وَهَكَذَا يُزِيلُ شَيْئًا وَيَجْعَلُ مَكَانَهُ ضِدَّهُ وَيَسْتَعِينُ بِاللَّهِ الْحَيِّ الْقَيُّومِ وَيَسْأَلُهُ
التَّوْفِيقَ وَالسَّدَادَ وَالتَّيْسِيرَ وَالْعَوْنَ إِنَّهُ الْقَادِرُ عَلَى ذَلِكَ .

ثُمَّ إِعْلَمْ أَيُّهَا الْأَخَ الْحَرِيصُ عَلَى حِفْظِ وَقْتِهِ عَنِ الضِّيَاعِ أَنَّهَا إِنْ قَلَّتْ أَشْغَالُكَ
وَقَلَّتْ عَوَائِقُكَ ثَمَّ قَعَدْتَ عَنِ الْجَدِّ وَالْاجْتِهَادِ فِيمَا يُقَرِّبُكَ إِلَى اللَّهِ مِنْ أَنْوَاعِ
الطَّاعَاتِ أَنَّ هَذَا هُوَ الْحُذْلَانُ أَعَاذَنَا اللَّهُ مِنْهُ .

فَقَرَأُ الْقَلْبَ مِنَ الْأَشْغَالِ نِعْمَةً عَظِيمَةً لِمَنْ وَفَّقَهُ اللَّهُ إِبْتِغَاءَ مَا فِي الْبَاقِيَّاتِ
الصَّالِحَاتِ وَالْوَيْلُ لِمَنْ كَفَرَ هَذِهِ النِّعْمَةَ بِإِنْ فَتَحَ عَلَى نَفْسِهِ بَابَ الْهَوَى وَانْجَرَّ
فِي قِيَادِ الشَّهَوَاتِ .

قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سَبْعًا هَلْ تَنْتَظِرُونَ إِلَّا فَقْرًا

مُنْسِيًّا أَوْ غِنًى مُطْغِيًّا أَوْ مَرَضًا مُفْسِدًا أَوْ هَرَمًا مُفْنِدًا أَوْ مَوْتًا مُجْهِزًا أَوْ الدَّجَالَ
فَشَرُّ غَائِبٍ يُنْتَظَرُ أَوْ السَّاعَةِ فَالسَّاعَةُ أَذْهَى وَأَمْرٌ .

وقال بعضهم الفكرة سراج القلب فإذا ذهبَتْ فلا إضاءة له فالقلب
الخالِي مِنَ الفكرة خالي مِنَ النور مُظْلِمٌ بِوُجُودِ الجَهِلِ والغُرُورِ .

فَفِكْرُ الزَاهِدِينَ فِي فَنَاءِ الدُّنْيَا وَاضْمِحَالِهَا وَقِلَّةِ وَفَائِهَا لِطُلَّابِهَا فَيَزْدَادُونَ
بِالْفِكْرِ زُهْدًا فِيهَا .

وَفِكْرُ الْعَابِدِينَ فِي جَمِيلِ الثَّوَابِ فَيَزْدَادُونَ نَشَاطًا عَلَيْهِ وَرَغْبَةً فِيهِ .

وَفِكْرُ الْعَارِفِينَ فِي الْآلَاءِ وَالنِّعَمَاءِ فَيَزْدَادُونَ نَشَاطًا فِي جَمِيعِ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ .
وَيَزْدَادُونَ مَحَبَّةً لِلَّهِ وَشُكْرًا لَهُ وَحَمْدًا عَلَى نِعْمِهِ الَّتِي لَا تُعَدُّ وَلَا تُحصى قَالَ
اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا : ﴿ وَإِنْ تَعْلَمُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾ .

وقال عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي خُطْبَتِهِ (إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِنَّمَا
أَعْطَاكُمْ الدُّنْيَا لِتَطْلُبُوا بِهَا الْآخِرَةَ ، وَلَمْ يُعْطِكُمْوهَا لِتَرْكَبُوا إِلَيْهَا) .

إِنَّ الدُّنْيَا تَفْنَى وَالْآخِرَةُ تَبْقَى ، فَلَا تُبْطِرَنَّكُمْ الْفَانِيَةُ وَلَا تَشْغَلَنَّكُمْ عَنِ
الْبَاقِيَةِ ، فَأَثَرُوا مَا يَبْقَى عَلَى مَا يَفْنَى ، فَإِنَّ الدُّنْيَا مُنْقَطِعَةٌ ، وَإِنَّ الْمَصِيرَ إِلَى اللَّهِ .

فَاتَّقُوا اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا فَإِنَّ تَقْوَاهُ جُنَّةٌ مِنْ بَأْسِهِ ، وَوَسِيلَةٌ مِنْ عِنْدِهِ ،
وَاحْذَرُوا مِنَ اللَّهِ الْعِيرَةَ ، وَالزَّمُوا جَمَاعَتَكُمْ وَلَا تَصَيِّرُوا أَحْزَابًا ﴿ وَاذْكُرُوا
نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذَا كُنْتُمْ أَعْدَاءُ فَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾ .

وَبَلَغَ زَيْنُ الْعَابِدِينَ مِنَ الدُّنْيَا أَفْضَلَ مَا تَسَعَى إِلَيْهِ هَمَّةُ رَجُلٍ فَرَفَضَهَا
وَتَبَدَّهَا قَائِلًا : (هَذَا سُرُورٌ لَوْلَا أَنَّهُ غُرُورٌ وَنَعِيمٌ لَوْلَا أَنَّهُ عَنْ قَرِيبٍ عَذِيبٌ وَمُلْكٌ
لَوْلَا أَنَّهُ هُلْكٌ وَغِنًى لَوْلَا أَنَّهُ فَنَى وَأَمْرٌ جَسِيمٌ لَوْلَا أَنَّهُ ذَمِيمٌ وَارْتِفَاعٌ لَوْلَا أَنَّهُ

اَنْضَاعٌ وَحَسْبُ امْرِءٍ مِنَ الدُّنْيَا لُقَيْمَاتٌ يُقِيمُ بِهَا صُلْبَهُ وَثَوْبٌ يَسْتُرُ بِهِ عَوْرَتَهُ
وَصِيحَةٌ يَسْتَقْوِي بِهَا عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ) هذا الزهد الصحيح لأنها أَقْبَلَتْ عليه
وَرَفَضَهَا .

قال بعضهم :

ازْهَدْ إِذَا الدُّنْيَا أَتَاكَ الْمُنَى فَهَنَّاكَ زُهْدَكَ مِنْ شُرُوطِ الدِّينِ
فَالزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا إِذَا هِيَ أَعْرَضَتْ وَأَبَتْ عَلَيْكَ كَتَوْبَةِ الْعَيْنِ

آخر :

تَصُدُّ عَنِ الدُّنْيَا إِذَا هِيَ أَقْبَلَتْ وَلَوْ بَرَزَتْ فِي زِيٍّ عَذْرَاءٌ تَاهِدُ
إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَزْهَدْ وَقَدْ صَبَّغَتْ لَهُ بَعْضُفَهَا الدُّنْيَا فَلَيْسَ بِزَاهِدٍ

آخر :

الْعَيْشُ لَا عَيْشَ إِلَّا مَا قَنَعَتْ بِهِ قَدْ يَكْثُرُ الْمَالُ وَالْإِنْسَانُ مُفْتَقِرٌ

وقال آخر : إِنَّ الْمُؤْمِنَ أَبْصَرَ الدُّنْيَا فَانْزَلَهَا مَنْزِلَتَهَا فَإِنْ هِيَ أَقْبَلَتْ عَلَيْهِ قَالَ
لَا مَرْحَبًا وَلَا أَهْلًا ، وَاللَّهِ مَا أَرَاكَ جِئْتَ بِخَيْرٍ وَمَا فَيْكَ مِنْ خَيْرٍ إِلَّا أَنْ تُطْلَبَ
بِكَ الْجَنَّةُ ، وَيُفْتَدَى بِكَ مِنَ النَّارِ .

فإن هي أدبرت قال عليك العَفَاءُ ، وَعَلَى مَنْ يَتَّبِعُكَ .

الحمد لله الذي خَارَ لِي وَصَرَفَ عَنِّي فِتْنَتَكَ وَشَغْلَكَ .

وكان يقول إِذَا وَصَفَ أَهْلَ الدُّنْيَا حَيَارَى سُكَارَى ، فَارْسُهُمْ يَرْكُضُ ،
وَرَاغِلُهُمْ يَسْعَى سَعْيًا ، لَا غَنِيَهُمْ يَشْبَعُ ، وَلَا فَقِيرُهُمْ يَقْنَعُ .

وكان يقول إِذَا وَصَفَ الْمُقْبِلَ عَلَى الدُّنْيَا ، دَائِبُ الْبِطْنَةِ ، قَلِيلُ الْفِطْنَةِ ، إِنَّمَا
هُمْ بَطْنُهُ وَفَرْجُهُ وَجِلْدُهُ .

مَتَى أَصْبَحَ فَكُلْ وَأَشْرَبْ وَالْهُوَ وَالْعَبْ ، مَتَى أَمْسَى فَأَنَام ، جِنْفَةً بِاللَّيْلِ
بَطَالٍ بِالنَّهَارِ .

وَيْحَكَ أَلْهَذَا خُلِقْتَ أَمْ بِهَذَا أَمُرْتَ أَمْ بِهَذَا تَطْلُبُ الْجَنَّةَ وَتَهْرَبُ مِنَ النَّارِ .

شعرا :

كُلْ أَمْرِيءَ فِيمَا يَدَيْنِ يُدَانُ سُبْحَانَ مَنْ لَمْ يَخُلْ مِنْ عِلْمِهِ مَكَانُ
يَا عَامِرَ الدُّنْيَا لَيْسَتْ كُنْهَهَا وَمَا هِيَ بِاللَّتِي يَبْقَى بِهَا سُكَّانُ
تَفْنَى وَتَبْقَى الْأَرْضُ بَعْدَكَ مِثْلَمَا يَبْقَى الْمَكَانُ وَتَرْحَلُ الرُّكْبَانُ
أَسْرُ بِالْدُّنْيَا بِكُلِّ زِيَادَةٍ وَزِيَادَتِي فِيهَا هِيَ التَّقْصَانُ

آخر :

إِلَى ذُنُوبِكَ أَنْظُرْ بِاعْتِبَارٍ تَجِدُهَا دَارَ ذُلٍّ مَعَ فَنَاءٍ
إِلَى كَيْفِ تَحْمِلُ الْأَوْزَارَ فِيهَا مَعَ الشَّهَوَاتِ تَسْرِي يَا مُرَائِي
أَمَّا أَنْ اتِّبَاهُكَ مِنْ غُرُورٍ بِهِ أَصْبَحْتَ بَيْنَ الْأَغْيَاءِ
تَبْقُظُ وَاتَّبِعْ وَأَقْبَلْ بِقَلْبٍ عَلَى مَوْلَاكَ تَظْفِرُ بِاهْتِدَاءٍ
وَقِفْ بِالْبَابِ وَأَطْلُبْ مِنْهُ فَتْحاً عَسَى تَحْظَى بِصُبْحٍ أَوْ مَسَاءٍ

اللهم يَا مَنْ لَا تَضُرُّهُ الْمَعْصِيَةُ وَلَا تَنْفَعُهُ الطَّاعَةُ أَيْقِظْنَا مِنْ نَوْمِ الْغَفْلَةِ وَنَبِّهْنَا
لَاغْتِنَامِ أَوْقَاتِ الْمُهْلَةِ وَوَقِّفْنَا لِمَصَالِحِنَا وَاعْصِمْنَا مِنْ قَبَائِحِنَا وَلَا تَوَاجِدْنَا بِمَا
انْطَوَتْ عَلَيْهِ ضَمَائِرُنَا وَاكْتَنَتْ سَرَائِرُنَا مِنْ أَنْوَاعِ الْقَبَائِحِ وَالْمَعَائِبِ الَّتِي تَعْلَمُهَا
بِنَا ، وَامْنُنْ عَلَيْنَا يَا مَوْلَانَا بِتَوْبَةٍ تَمْحُو بِهَا عَنَّا كُلَّ ذَنْبٍ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا
وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ
عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

فصل

قال ابن عباس رضى الله عنهما لا تَتَكَلَّمَنَّ فيما لا يَعْنِيكَ حَتَّى تَرَى لَهُ مَوْضِعًا قَرَبَ مُتَكَلِّمٍ بِالْحَقِّ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ قَدْ عَيْبَ ، وَلَا تَمَارِينَ سَفِيهَا وَلَا حَلِيمًا ، فَإِنَّ السَّفِيهَ يُؤْذِيكَ ، وَالْحَلِيمَ يَقْلِيكَ (أَيْ يُبْغِضُكَ) .

قُلْتُ قَدْ نَظَّمَهُ الشَّاعِرُ فَقَالَ :

وَلَا تُمَارِي سَفِيهَا فِي مُحَاوَرَةٍ وَلَا حَلِيمًا لِكَيْ تَنْجُو مِنَ الزَّلَلِ

وَقَالَ وَلَا تَذْكُرَنَّ أَخَاكَ إِذَا غَابَ عَنْكَ إِلَّا بِمَثَلٍ مَا تَحِبُّ أَنْ يَذْكُرَكَ بِهِ إِذَا غَبَتْ عَنْهُ ، وَاعْمَلْ عَمَلَ رَجُلٍ يَعْلَمُ أَنَّهُ مَعْزِيٌّ بِالْإِحْسَانِ ، وَمَأْخُودٌ بِالْإِجْرَامِ .

هَلَاكَ النَّاسُ بِثَلَاثٍ فِي الْكِبَرِ ، وَالْحِرْصِ ، وَالْحَسَدِ ، فَالْكِبَرُ هَلَاكُ الدِّينِ وَبِهِ لَعَنَ إِبْلِيسُ حَيْثُ تَكَبَّرَ عَنِ السُّجُودِ لَأَدَمَ لَمَّا أَمَرَهُ اللَّهُ بِالسُّجُودِ لَهُ وَالْحِرْصُ عَدُوُّ النَّفْسِ وَبِهِ أَخْرَجَ آدَمَ مِنَ الْجَنَّةِ نَهَاهُ اللَّهُ عَنِ الشَّجَرَةِ فَأَكَلَ مِنْهَا ، وَالْحَسَدُ رَائِدُ السُّوءِ وَبِهِ قَتَلَ قَايِلُ هَابِيلَ وَقَالَ ﷺ : « لَا تَحَاسَدُوا » .

سِتَّةٌ يُمِثِّنُ الْقَلْبَ إِتِّبَاعُ الذَّنْبِ بِالذَّنْبِ وَكَثْرَةُ مَجَادَلَةِ النِّسَاءِ ، وَالسُّفَهَاءِ ، وَمُلَاحَاثَةُ الْأَحْمَقِ ، وَمُجَالَسَةُ مَوْتَى الْقُلُوبِ وَهُمْ الْأَغْنِيَاءُ الْمُتَرَفُّونَ الْمُتَكَبِّرُونَ ، وَالسُّلْطَانُ الْجَائِرُ ، وَالْعَالِمُ الْمَفْتُونُ بِالدُّنْيَا .

قَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ مَا أَكْرَمَتِ الْعِبَادُ أَنْفُسَهَا بِمَثَلِ طَاعَةِ اللَّهِ ، وَلَا أَهَانَتْ أَنْفُسَهَا بِمَثَلِ مَعْصِيَةِ اللَّهِ ، مَنْ اسْتَعْنَى بِاللَّهِ افْتَقَرَ النَّاسُ إِلَيْهِ .

وَكَانَ يَتَجَرَّ فِي مَالِهِ وَيَقُولُ اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي لَمْ أُمْسِكْهُ بُخْلًا وَلَا حِرْصًا عَلَيْهِ ، وَلَا مَحَبَّةً لِلدُّنْيَا وَتَيْلَ شَهَوَاتِهَا ، وَإِنَّمَا أُرِيدُ أَنْ أَصُونَ بِهِ وَجْهِي ، وَأَصِلُ مِنْهُ رَحِمِي ، وَأُؤَدِّي مِنْهُ الْحُقُوقَ الَّتِي فِيهِ .

كَتَبَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِسَعْدِ بَعْضِ تَوَجِّهَاتِهِ الْعَسْكَرِيَّةِ يَقُولُ لَهُ : (تَرَفَّقْ بِالْمُسْلِمِينَ فِي مَسِيرِهِمْ ، وَلَا تُجَشِّمَهُمْ مَسِيرًا يُتَعَبُّهُمْ ، وَلَا تُقْصِّرْ بِهِمْ عَنْ مَنْزِلِ رَفِيقٍ حَتَّى يَبْلُغُوا عَدُوَّهُمْ وَالسَّفَرُ لَمْ يَنْقُصْ قُوَّتَهُمْ . وَأَقِمْ بِمَنْ مَعَكَ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ يَوْمًا وَلَيْلَةً حَتَّى تَكُونَ لَهُمْ رَاحَةً يَجْمَعُونَ فِيهَا أَنْفُسَهُمْ وَيَرْمُونَ أَسْلِحَتَهُمْ وَأَمْتِعَتَهُمْ .

ثم يقول وإذا وطئت أذني أرض العدو فاذك العيون (أي أيقظها) بينك وبينهم حتى لا يخفى عليك أمرهم ، واختار لهذا من تطمئن إلى نصحه وصدقته ، فإن الكدوب لا ينفك خبره ، وإن صدق في بغيه ، والعاش عني عليك وليس غيالك .

قال صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه : « يا ابن آدم خَلَقْتُكَ لِلْعِبَادَةِ فَلَا تَلْعَبْ وَقَسَمْتُ لَكَ رِزْقَكَ فَلَا تَتَعَبْ .

فإن أنت رضييت بما قسمت لك أرحت قلبك وبدنك وكنت عندي محمودًا .

وإن لم ترض بما قسمته لك فوعزتي وجلالي لأسلطن عليك الدنيا تركض فيها ركض الوحوش في البرية ثم لا يكون لك منها إلا ما قسمته لك وكنت عندي مذمومًا .

يا ابن آدم خلقت السموات السبع والأرضين السبع ولم أعني بخلقهن أيعينني رغيث عيش أسوق لك بلا تعب .

يا ابن آدم إنني لم أنس من عصاني فكيف من أطاعني ، وأنا رب رجيهم وعلى كل شيء قدير .

يا ابن آدم لا تسألني رزق غد كما لم أطلبك لعمل غد ، يا ابن آدم أنا لك محب فبحقي عليك كن محبًا لي .

أَوْصَى لُقْمَانُ ابْنَهُ فَقَالَ : (يَا بُنَيَّ كُنْ لَيِّنَ الْجَانِبِ ، قَرِيبَ الْمَعْرُوفِ ،
كَثِيرَ التَّفَكِيرِ ، قَلِيلَ الْكَلَامِ إِلَّا فِي الْحَقِّ ، كَثِيرَ الْبُكَاءِ قَلِيلَ الْفَرَحِ ،
وَلَا تُمَارِحْ وَلَا تُصَاخِبْ وَلَا تُمَارِ .

وَإِذَا سَكَتَ فَاسْكُتْ فِي تَفَكِيرٍ وَإِذَا تَكَلَّمْتَ فَتَكَلَّمْ بِحُكْمٍ .
يَا بُنَيَّ لَا تُضَيِّعْ مَالَكَ وَتُصْلِحْ مَالَ غَيْرِكَ ، فَإِنَّ مَالَكَ مَا قَدَّمْتَ لِنَفْسِكَ ،
وَمَالَ غَيْرِكَ مَا تَرَكْتَ وَرَاءَ ظَهْرِكَ) .

مَعْرِفَةُ اللَّهِ نَوَعَانِ الْأَوَّلِ مَعْرِفَةُ إِقْرَارٍ ، وَهِيَ الَّتِي اشْتَرَكَ فِيهَا النَّاسُ كُلُّهُمْ
الْبِرُّ وَالْفَاجِرُ وَالْمُطِيعُ وَالْعَاصِي .

وَالثَّانِي مَعْرِفَةُ تَوْجِبِ الْحَيَاءِ مِنَ اللَّهِ ، وَالْحُبَّةَ لَهُ ، وَتَعَلُّقَ الْقَلْبِ بِهِ ،
وَالشَّوْقَ إِلَى لِقَائِهِ ، وَالْحَشْيَةَ مِنْهُ ، وَالْإِنَابَةَ إِلَيْهِ ، وَالْأَنْسَ بِهِ ، وَالْفِرَارَ إِلَيْهِ .

قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ مَثَلُ قَلِّ وَاللَّهِ مَنْ يَعْقِلُهُ ، شَيْخٌ كَبِيرٌ ضَعْفَ جِسْمِهِ
وَكَثْرَ صَبْيَانِهِ أَفْقَرُ مَا كَانَ إِلَى جَنَّتِهِ فَجَاءَهَا الْإِعْصَارُ فَاحْرَقَهَا وَإِنْ أَحَدَكُمْ وَاللَّهِ
أَفْقَرُ مَا يَكُونُ إِلَى عَمَلِهِ إِذَا انْقَطَعَتْ عَنْهُ الدُّنْيَا .

وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ : إِنْ لِلْبَاقِي بِالْمَاضِي مُعْتَبَرًا وَلِلْآخِرِ بِالْأَوَّلِ مُزْدَجَرًا ،
وَالسَّعِيدُ لَا يَعْتَرُّ بِالطَّمَعِ ، وَلَا يَرْكُنُ إِلَى الْخِدَعِ ، وَمَنْ ذَكَرَ الْمَنِيَّةَ نَسِيَ
الْأُمْنِيَّةَ ، وَمَنْ أَطَالَ الْأَمَلَ نَسِيَ الْعَمَلَ ، وَغَفَلَ عَنِ الْأَجَلِ .

وَقَالَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَلَكِنْكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ ﴾
قَالَ شَكَّكُمْ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قَالَ الْمَوْتُ ﴿ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْعُرُورُ ﴾ قَالَ
الشَّيْطَانُ .

وَكَتَبَ عُمرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَحِمَهُ اللَّهُ إِلَى يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ : وَإِيَّاكَ أَنْ

تَذَرِكَ الصَّرْعَةَ عِنْدَ الْغِرَّةِ (أَيْ الْعَفْلَةَ) فَلَا تَقَالَ الْعَثْرَةُ ، وَلَا تَمَكَّنُ مِنَ
الرَّجْعَةِ ، وَلَا يَحْمِلُكَ مَنْ خَلَفَتْ عَلَى مَا تَرَكْتَ ، وَلَا يَعْذُرُكَ مَنْ تَقَدَّمَ عَلَيْهِ
بِمَا بِهِ اشْتَغَلْتَ .

وَفِي بَعْضِ الْخُطَبِ أَكْثَرُوا مِنْ ذِكْرِهَا ذِمَّ اللَّذَاتِ فَإِنَّكُمْ إِنْ ذَكَرْتُمُوهُ فِي ضَيْقٍ
وَسَعَةٍ عَلَيْكُمْ فَرَضَيْتُمْ بِهِ فَاجَرْتُمْ وَإِنْ ذَكَرْتُمُوهُ فِي غِنَى نَعَصَهُ عَلَيْكُمْ فَجَدَّثُمْ
بِهِ فَأَيْبَيْتُمْ .

إِنَّ الْمَنَایَا قَاطِعَاتُ الْأَمَالِ ، وَاللَّيَالِي مُذْنِبَاتُ الْآجَالِ ، وَإِنَّ الْمُؤْمِنَ يَبِينُ
يَوْمَينَ يَوْمٌ قَدْ مَضَى أَخْصِي فِيهِ عَمَلُهُ فَخَيْمَ عَلَيْهِ ، وَيَوْمٌ قَدْ بَقِيَ لَعَلَّهُ لَا يَصِلُ
إِلَيْهِ .

إِنَّ الْعَبْدَ عِنْدَ خُرُوجِ نَفْسِهِ وَحُلُولِ رَمْسِهِ ، يَرَى جَزَاءَ مَا أَسْلَفَ ، وَقَلَّةَ
غِنَى مَا خَلَفَ ، وَلَعَلَّهُ مِنْ بَاطِلٍ جَمَعَهُ ، أَوْ مِنْ حَقٍّ مَنَعَهُ .

وَلِبَعْضِهِمْ قَصِيدَةٌ سَمَّاهَا بَوَاعِثُ الْفِكْرَةِ فِي حَوَادِثِ الْهِجْرَةِ :

سَبَّوْا هِجْرَةَ الْمُخْتَارِ فِيهَا حَوَادِثُ	فَخُذْ ثَرَّهَا فِي كُلِّ عَامٍ وَأُحْكِمِ
مُصَلِّي قُبَا فِي (أَوَّلِ) ثُمَّ مَسْجِدُ	بَنِي وَيُوتَا وَالصَّلَاةَ فَأُثْمِرِ
وَوَخَلَفَ أَذَانَ جُمُعَةٍ مَاتَ أَسْعَدُ	بِرَاءً وَعَبْدُ اللَّهِ أَسْلَمَ فَاسْلِمِ
(وَثَانِ) صِيَامُ فِطْرَةٍ أَمْ كَعْبَةٍ	وَعَزْوَةٌ وَدَّانِ بُوَاطِ الْمُعَنِّمِ
عَشِيرٍ وَبَدْرٌ غُرَسَ عَانَسَ مِثْلُهُ الـ	بَتُولٌ وَمَوْتٌ لِابْنِ مَظْعُونٍ أَكْرَمِ
سَوَيْقٌ سُلَيْمٍ قَيْتُقَاعٌ وَمَسْنُورٌ	وَمَرْوَانُ وَالنُّعْمَانُ سُرُّوَا بِمَقْدَمِ
كَذَا ابْنُ زَيْبِ مِثْلُ مَوْتِ رُقِيَّةَ	أَبُو بَنْتِ هِنْدٍ إِثْمَارُ كَانَتْ بِمَعْلَمِ
غَزَا أَحَدَا فِي (ثَالِثِ) قَتْلُ حَمْزَةٍ	وَذَا أَمْرِ وَالْحَمْرُ رُدَّتْ فَحَرِّمِ
وَحَمْرَاءُ مَعَ بَدْرِ أَخِيرًا بِنَاؤُهُ	بَزَيْبِ ذَاتِ الْبِرِّ كَسْبًا لِمُعْدِمِ

كَذَا حَفْصَةٌ مَعَ أُمِّ كُلْثُومَ زُوِّجَتْ
 وَفِي (رَابِعٍ) تَزْوِجُ هِنْدٍ مَعُونَةً
 مَرَّ يَسِينُ إِفْكُ وَالرَّقَاعُ وَمَوْعِدٌ
 وَصَلَ لَخُوفِ ثُمَّ (فِي الْحَمْسِ) خَنَدُقٌ
 ضِمَامٌ أَتَى إِسْلَامَ عَمْرِ وَخَالِدٍ
 وَفِي (سَادِسٍ) لَحْيَانُ ذُو قُرْدٍ بِهِ
 مُتَّقِيسٌ أَهْدَى وَالظَّهَارُ وَخَاتَمٌ
 وَخَبِيرٌ فِي (سَبْعٍ) صَفِيَّةٌ رَمْلَةٌ
 قُدُومٌ أَبِي هِرٍ هَذَا عَطِيَّةٌ
 وَ(ثَامِنُ) عَامٍ مُؤْتَةٌ الْفَتْحِ أَسْلَمُوا
 حُنَيْنٌ غَلَاءٌ طَائِفٌ نَصَبُ مِنْبَرٍ
 (يَتَسَعُ) ثُبُوكُ وَالْوُفُودُ وَجَزِيَّةٌ
 وَمَاتَ ابْنُ يَيْضَا وَالنَّجَاشِي وَغُرُورَةٌ
 لِعَانُ وَإِلَاءٌ وَبُورَانُ مُلْكَتْ
 وَفِي (الْعَاشِيرِ) إِبْرَاهِيمُ مَاتَ وَمَوْلِدُ
 جَرِيرٌ اهْتَدَى ظَلَّتْ بِأَسْوَدَ عَنَسَةٍ
 وَسَبْعٌ وَعِشْرُونَ الْمَعَارِي وَمِثْلُهَا
 أَصْبِنَا (لِإِحْدَى عَشْرَةٍ) بَنَيْنَا
 بِهَا بَايَعُوا الصَّدِيقَ رِدَّةً وَأَبْكَيْنَ

أَتَى حَسَنٌ قَبْلَ الْحُسَيْنِ الْمُقَدَّمِ
 نَضِيرٌ وَقَصْرٌ وَالتَّيْمُ فَافْهَمِ
 وَرَحِمَ وَمَوْتُ أُمِّ الْمَسَاكِينِ عَظُمِ
 قُرَيْظَةُ سَعْدٍ مَاتَ دَوْمَةٌ فَافْهَمِ
 وَعُثْمَانُ الدَّارِي التَّرْلُزُ فَاغْلَمِ
 حَدِيثَةُ اسْتَسْقَى ابْنُ خَوْلَةَ أَعْظَمِ
 لِشَيْرَوِيَّةِ الطَّاعُونَ حَجَّ لِْمُسْلِمِ
 زَوَاجُهُمَا ذُو الْحَبْسِ آبَا بَأْنَعِمِ
 قَضَى عُمَرَةُ تَزْوِجُ مَيْمُونَةَ انْعَمِ
 وَمَوْلِدُ إِبْرَاهِيمِ نَجَلُ الْمُعْظَمِ
 وَبِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ زَيْنَبُ سَلِمِ
 وَحَجُّ أَبِي بَكْرٍ وَمَوْتُ أُمِّ كُلْثُمِ
 قَتِيلُ ثَقِيفٍ وَالسَّلُولِيُّ فَافْهَمِ
 لِقَتْلِ فَتَى شَيْرَوِيَّةِ يَتَظَلَّمِ
 لِنَجَلِ أَبِي بَكْرٍ مُحَمَّدٌ أَعْظَمِ
 كُسُوفٌ بِخُلْفِ حَجَّةِ التَّمِ أَتَمِ
 سَرَايَاهُ مَعَ عِشْرِينَ أَرْخَ لِمَقْدَمِ
 فَيَا عَظْمَهُ رُزَا لَدَى كُلِّ مُسْلِمِ
 لِفَاطِمَةٍ مَعَ أُمِّ أَيْمَنَ وَاخْتِمِ

اللَّهُمَّ انْهَجْ بِنَا مَنَاهِجَ الْمُفْلِحِينَ وَالْإِسْنَا خَلَعَ الْإِيمَانَ وَالْيَقِينَ ، وَخَصَّنَا
 مِنْكَ بِالتَّوْفِيقِ الْمُبِينِ ، وَوَقَّفْنَا لِقَوْلِ الْحَقِّ وَاتِّبَاعِهِ وَخَلَّصْنَا مِنَ الْبَاطِلِ

وَإِنْدَاعِيهِ ، وَكُنْ لَنَا مُؤَيِّدًا وَلَا تَجْعَلْ لِفَاجِرٍ عَلَيْنَا يَدًا وَاجْعَلْ لَنَا عَيْشًا رَغَدًا
وَلَا تُشْمِثْ بِنَا عَدُوًّا وَلَا حَاسِدًا ، وَارْزُقْنَا عِلْمًا نَافِعًا وَعَمَلًا مُتَقَبَّلًا ، وَفَهْمًا
ذَكِيًّا وَطَبْعًا صَفِيًّا وَشِفَاءً مِنْ كُلِّ دَاءٍ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
يَرْحَمُكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
أَجْمَعِينَ .

فوائد ومواعظ ونصائح

مُؤَاسَاةُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْوَاعٌ : وَمُؤَاسَاةُ بِالْمَالِ ، وَمُؤَاسَاةُ بِالْجَاهِ ، وَمُؤَاسَاةُ بِالْبَدَنِ
وَالْخِدْمَةِ ، وَمُؤَاسَاةُ بِالنَّصِيحَةِ وَالْإِرْشَادِ ، إِلَى طَرَقِ الرِّشَادِ ، وَمُؤَاسَاةُ بِالْإِدْعَاءِ ،
وَمُؤَاسَاةُ بِالتَّوَجُّعِ لَهُمْ ، وَعَلَى قَدَرِ إِيْمَانِ الْإِنْسَانِ وَتَقْوَاهُ تَكُونُ مُؤَاسَاةُهُ
لِلْأَخِيهِ .

وَقَالَ آخِرُ اللَّعْبِدِ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ مُوقِفَانِ : مَوْقِفٌ بَيْنَ يَدَيْهِ فِي الصَّلَاةِ ،
وَمَوْقِفٌ بَيْنَ يَدَيْهِ يَوْمَ لِقَائِهِ فَمَنْ قَامَ بِحَقِّ الْمَوْقِفِ الْأَوَّلِ هُوَ عَلَى الْمَوْقِفِ
الثَّانِي .

الْعَجَلَةُ تُكْنَى أُمُّ النَّدَامَةِ ، وَهِيَ مِنَ الشَّيْطَانِ إِلَّا فِي خَمْسَةِ أَشْيَاءَ : التَّوْبَةُ
مِنَ الذَّنْبِ فَوْرًا ، وَتَجْهِيْزُ الْمَيِّتِ إِذَا خَرَجَتْ رُوحُهُ ، وَقَضَاءُ الدِّينِ إِذَا وَجِبَ
أَدَاؤُهُ ، وَالْمُبَادَرَةُ إِلَى أَدَاءِ الْفَرَائِضِ الَّتِي فَرَضَهَا اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا عَلَيْكَ ، وَتَرْوِيجُ
الْبَكْرِ إِذَا سَخَطَهَا كُفُّوْهَا .

وَقَالَ آخَرُ : لَا تَتَكَلَّفْ مَا لَا تُطِيقُ ، وَلَا تَتَعَرَّضْ لِمَا لَا تُذَكِّرُ ، وَلَا تَعُدْ
بِمَا لَا تُقَدِّرُ عَلَيْهِ ، وَلَا تُنْفِقْ إِلَّا بِقَدْرِ مَا تَسْتَفِيدُ ، وَفِي الْمَثَلِ السَّائِرِ مَذَرِجُكَ عَلَى
قَدْرِ لِحَافِكَ ، وَلَا تَطْلُبْ مِنَ الْجَزَاءِ إِلَّا بِقَدْرِ مَا صَنَعْتَ ، وَلَا تُفْرَحْ إِلَّا
بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ .

وقال بعضهم : إذا رأيت الناس في الخير فنافسهم عليه ، وإذا رأيتهم في الشر فلا تغبطهم فيه .

الثواء في الدنيا قليل ، والبقاء هناك طويل أمثلكم آخر الأمم وأنتم آخر أممكم وقد أسرع بخياركم فما تنتظرون .

أما إنه والله لا أمة بعد أممكم ولا نبي بعد نبيكم ، ولا كتاب بعد كتابكم ، أنتم تسوقون الناس والساعة تسوقكم ، وإنما ينتظر بأولكم أن يلحقه آخركم .

واعلم يا ابن آدم أنك لم تزل في هدم عُمرك منذ سقطت من بطن أمك رَحِمَ الله رجلاً نظَرَ فَتَفَكَّرَ وَتَفَكَّرَ فَاعْتَبَرَ وَأَبْصَرَ فَصَبَرَ فَقَدْ أَبْصَرَ أَتَوَامَ وَلَمْ يَصْبِرُوا ، فَذَهَبَ الْجَزْءُ بِقُلُوبِهِمْ ، وَلَمْ يُدْرِكُوا مَا طَلَبُوا وَلَمْ يَرْجِعُوا إِلَى مَا فَارَقُوا .

قَدْ طَوَاكَ الزَّمَانُ شَيْئاً فُشِيئاً	وَبَرَّكَ الْخُطُوبُ جُزْءاً فَجُزْءاً
كَانَ مَا كَانَ وَانْقَضَتْ مُدَّةُ الْ	عُمَرِ وَوَلَّى الشَّبَابُ خَبِراً وَمَرْءاً
وَقَدِيماً قَدْ أَعْلَمْتَكَ اللَّيَالِي	أَنَّ أَدْوَاءَهَا تُفْوِثُكَ بُرْءاً
فَأَذْرِكُ مِنْهَا فَائِتاً بِمَتَابِ	بَلْ بِإِيمَانِ أُنْشِئَ الْيَوْمَ نَشْئاً
وَاتَّخِذْ لِلْهِيَامِ وَيَحْكُ رِيّاً	وَاتَّخِذْ لِلْسُّهُومِ وَيَلْكَ فَيْيَا
وَإِذَا مَا خَرَقْتَ بِالْدِينِ خَرَقاً	فَارْقِنِيهِ بِالْإِنَابَةِ رَقْناً
وَإِذَا مَا وَرَدَتْ مَوْرِدَ دُنْيَا	فَلْيَكُنْ مَا وَرَدَتْ مِنْ ذَاكَ ضَعْماً
وَلْتَدَعَهَا تَخِيلاً وَأَمَانِي	أَلْبَسَتْ قَلْبَكَ الْمُغْفَلَ صَدْماً
وَإِذَا مَا الْجَمَامُ جَاءَكَ يَوْماً	لَمْ تَجِدْ مِنْ جَمِيعِ ذَلِكَ شَيْئاً

اللهم انظمننا في سلكِ جِزْبِكَ الْمُفْلِحِينَ ، واجعلنا من عبادِكَ الْمُخْلِصِينَ
وآميناً يَوْمَ الْفَرَجِ الْأَكْبَرِ يَوْمَ الدِّينِ ، واحشُرْنَا مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنْ

التَّيِّبِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءَ وَالصَّالِحِينَ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

فَصْلٌ

قال أُمَيْرُ الْمُؤْمِنِينَ عمر بن الخطاب رحمه الله إِنَّمَا الدُّنْيَا أَمَلٌ مُخْتَرَمٌ ، وَأَجَلٌ
مُنْتَقَصٌ ، وَبَلَغٌ إِلَى غَيْرِهَا ، وَسِيرٌ إِلَى الْمَوْتِ لَيْسَ فِيهِ تَعْرِيجٌ .

فَرَحِمَ اللَّهُ إِمْرَأً فَكَّرَ فِي أَمْرِهِ ، وَتَصَحَّحَ لِنَفْسِهِ وَرَاقَبَ رَبَّهُ ، وَاسْتَقَالَ ذَنْبَهُ ،
بُغِيَ الْجَارُ الْغَنِيِّ يَأْخُذُ بِمَا لَا يُعْطِيكَ مِنْ نَفْسِهِ ، فَإِنْ أُبَيَّتْ لَمْ يَعْذُرْكَ .

وقال إِبْرَاهِيمُ الْبُطْلَانِيُّ ، فَإِنَّهَا مَكْسَلَةٌ عَنِ الصَّلَاةِ ، وَمُفْسِدَةٌ لِلْجِسْمِ ،
وَمُؤَدِّيَةٌ إِلَى السَّقَمِ ، وَعَلَيْكُمْ بِالْقَصْدِ فِي قُوتِكُمْ فَهُوَ أَبْعَدُ عَنِ السَّرَفِ ، وَأَصَحُّ
إِلَى الْبَدَنِ ، وَأَقْوَى عَلَى الْعِبَادَةِ ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَنْ يَهْلِكَ حَتَّى يُؤَثِّرَ شَهْوَاتُهُ عَلَى دِينِهِ .

وقال عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا ،
وَمَهِّلُوا لَهَا قَبْلَ أَنْ تُعَذِّبُوا ، وَتَزَوَّدُوا لِلرَّجِيلِ قَبْلَ أَنْ تُزَعَّجُوا ، فَإِنَّمَا هُوَ مَوْقِفٌ
عَدْلٍ ، وَقَضَاءٌ حَقٍّ ، وَلَقَدْ أُبْلِغَ فِي الْإِعْذَارِ مَنْ تَقَدَّمَ بِالْإِنذَارِ .

وَمُرَّتْ بِالْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ جَنَازَةٌ فَقَالَ يَا لَهَا مِنْ مَوْعِظَةٍ مَا أُبْلَغَهَا وَأُسْرَعَ
نَسْيَانَهَا يَا لَهَا مِنْ مَوْعِظَةٍ لَوْ وَقَفْتُ مِنَ الْقُلُوبِ حَيَاةً ثُمَّ قَالَ يَا لَهَا مِنْ غَفْلَةٍ
شَامِلَةٍ لِلْقَوْمِ كَانَتْهُمْ يَزُونَهَا فِي النَّوْمِ مَيِّتٌ غَدٍ يَذْفَنُ مَيِّتُ الْيَوْمِ .

شعرا :

مَا أَنتَ وَالرِّشَاءُ الْأَخْوَى تُغَارِلُهُ وَالرَّكْبُ تَسْأَلُ عَنْهُ بَاثَةً الْوَادِي

وَقَدْ أَظْلَكَ جَيْشٌ لِلرَّدَى لَجِبٌ
مِنْ كُلِّ ذَاهِيَةٍ لَوْ أَنَّهَا مَثَلَتْ
لَا يَمْنَعُ الْمَرْءَ مِنْهَا رَأْسُ شَاهِقَةٍ
وَأَنْتَ غَادٍ عَلَى ظَهْرِ الطَّرِيقِ وَمَا
كَأَنْنِي بِكَ مَصْرُوعاً لَوَطَاتِهِ
قُمْ قَدْ أَتَيْتَ وَلَا مَنَجَى وَلَا وَزَرَ
صِيحٌ بِاللَّيْلِ وَبِالْقَصْرِ الْمَشِيدِ عَسَى
يَا رَاقِداً وَعُيُونُ الْمَوْتِ سَاهِرَةٌ
كَالْبَحْرِ يُوَصِّلُ أَمْدَاداً بِأَمْدَادٍ
شَخْصاً لِأَظْلَمَ مِنْهَا كُلُّ وَقَادٍ
وَلَا يَرُدُّ شَبَاهَا نَسْجُ زَرَادٍ
لَدَيْكَ مِنْ نَاصِرٍ يُرْجَى وَلَا فَادٍ
هَذَا أَوَّانُ مَعَارِ الْفَارِسِ الْعَادِ
لِلْوَيْلِ أَصْبَحْتَ مِنْ رَكْضٍ وَإِنْشَادِ
هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ كَانَ الْقَصْرُ وَالنَّادِ
لَقَدْ أَعْرَتْ لِأَمْرِ غَيْرِ رَقَادٍ

وقال مالك بن دينار رحمه الله رأيت البادية في يوم شديد البرد شاباً عليه ثوبان تخلقان وعليه آثار الدعاء وأنوار الإجابة فعرفته وكنت قبل ذلك عهدته بالبصرة ذا ثروة وحسن حال وكان ذا مال وآمال قال فبكيت لما رأيته على تلك الحال .

فلما رأيته بكى وبدأني بالسلام وقال لي يا مالك بن دينار ما تقول في عبدي أبق من مولاه ، فبكيت لقوله بكاء شديداً ، فقلت له وهل يستطيع المسكين ذلك ، البلاد بلاده ، والعباد عبادته ، فأين يهرب المسكين .

فقال يا مالك سمعت قارئاً يقرأ : ﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ﴾ فأحسست في الحال بناري وقعت بين ضلوعي فلا تحمد ولا تهدأ من ذلك اليوم ، يا مالك أتراني أرحم وتطفأ هذه الجمره من قلبي .

فقلت له أحسن الظن بمولاك فإنه غفور رحيم ثم قلت له إلى أين قال إلى مكة شرفها الله تعالى لعلني أن أكون ممن إذا التجأ إلى الحرم استحق مراعاة الذم .

قال مَالِكُ فَفَارَقْتَنِي وَمَضَى فَتَعَجَّبْتُ مِنْ وُقُوعِ المَوْعِظَةِ مِنْهُ مَوْقِعَهَا ، وما
تَأْجِجُ بَيْنَ جَنِّيهِ مِنْ نَارِ التَّيَقُّظِ وَالْإِنَابَةِ وما حَصَلَ عَلَيْهِ مِنْ صَدَقٍ وَحُسْنِ
الاسْتِمَاعِ .

وَذِي يَبَانَ إِذَا مَا قَالَ أَوْ حَظَبَا أُنِّي بِلَفْظِ يَزِينُ الْقَوْلَ وَالْحُطْبَا
أُنِّي بِسَهْلٍ مِنَ الْأَلْفَاظِ مُنْتَمِعٍ جَزَلٌ يُصِيبُ الْمَعَانِي آيَةً عَجَبَا
فَلَوْ تَمَّعَ أَضْحَى مُشْرَبًا سَلِسًا وَلَوْ تَجَسَّدَ أَضْحَى خَالِصًا ذَهَبَا
رَمَتْهُ هَذِي الْمَنَايَا وَهِيَ صَائِئَةٌ سَهْمًا فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَمَتْهُ كَبَا
فَأَخْرَسَتْهُ فَمَا يُبْدِي بِضَاحِكَةٍ وَلَا يَرُدُّ جَوَابًا هَانَ أَوْ صُعْبَا
وَبَاتَ مُطَرِّحًا فِي قَعْرِ مُوْجِشَةٍ غَبْرَاءَ مُصْطَفَقٍ الْأَحْشَاءِ مُسْتَلْبَا
أَعْطَى يَدِيهِ لِدُنْيَاهُ بِمَا طَلَبَتْ إِذْ أَدْرَكَ الدُّودُ مِنْ جَنِّيهِ مَا طَلَبَا

اللَّهُمَّ انظُرْنَا فِي سَبِيلِكَ حِزْبَكَ الْمُفْلِحِينَ ، واجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الْمُخْلِصِينَ
وَأَمِنَّا يَوْمَ الْفَرَجِ الْأَكْبَرِ يَوْمَ الدِّينِ ، واحشُرْنَا مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنْ
التَّيِّبِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

فَصْلٌ

واختَصِرَ أَحَدُ الْعُبَادِ فَقَالَ مَا تَأْسِيفِي عَلَى دَارِ الْهُمُومِ وَالْأَنْكَادِ وَالْأَحْزَانِ
وَالْخَطَايَا وَالذُّنُوبِ وَإِنَّمَا تَأْسِيفِي عَلَى لَيْلَةٍ ثَمَّتْهَا وَيَوْمِ أَفْطَرْتُهُ وَسَاعَةِ غَفَلْتُ فِيهَا
عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتَ رَحِمَهُ اللَّهُ .

ولما حضرت إبراهيم النخعي الوفاة بكى فقيل له في ذلك فقال إني أُنْتَظَرُ رسولاً يأتي من ربي لا أدري هل يُبَشِّرُنِي بالجنة أو بالنار .

ولما احتضر سلمان الفارسي رضى الله عنه بكى ، فقيل له ما يُبْكِيكَ ، فقال والله ما أبكي جزعاً من الموت ولا حرصاً على الدنيا ، ولكن عَهْدُ تَعَهْدِهِ إلينا رسول الله ﷺ قال لِيَكُنْ بِلَاغُ أَحَدِكُمْ كَزَادِ الرَّابِىِّ فَلَمَّا مَاتَ نَظَرُوا فِي جَمِيعِ مَا تَرَكَ فَإِذَا هُوَ ثَلَاثُونَ دِرْهَمًا وَكَانَ أَمِيرًا عَلَى الْمَدَائِنِ ، مَدَائِنِ كِسْرَى .

ويروى أن عمر بن العاص رضى الله عنه لما دَنَا مِنْهُ الْمَوْتُ دَعَا بِحَرَسِيهِ وَرَجَالِهِ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالَ هَلْ تُعْتُونَ عَنِّي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا قَالُوا لَا قَالَ فَادْهَبُوا وَتَفَرَّقُوا عَنِّي .

ثم دَعَا بِمَاءٍ فَتَوَضَّأَ فَاسْبَغَ الْوُضُوءَ ثُمَّ قَالَ اخْمِلُونِي إِلَى الْمَسْجِدِ فَفَعَلُوا وَحَمَلُوهُ فَقَالَ اسْتَقْبِلُونِي بِالْقِبْلَةِ فَفَعَلُوا .

فقال اللهم إنيك أَمَرْتَنِي فَعَصَيْتُ وَأَتَمَمْتَنِي فَخُنْتُ وَحَدَدْتَ لِي فَتَعَدَيْتُ اللهم لا بَرِيءٌ فَأَعْتَذِرُ وَلَا قَوِيٌّ فَأَتَصَيَّرُ بَلْ مُذْنِبٌ مُسْتَغْفِرٌ لَا مُصِرٌّ وَلَا مُسْتَكْبِرٌ .

ثم قال : (لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ) فلم يزل يُرَدِّدُهَا حَتَّى مَاتَ .

ولما حضرت معاوية الوفاة رضى الله عنه قال أَقْعِدُونِي فَأَقْعَدُوهُ فَجَعَلَ يَذْكُرُ اللَّهَ وَيُسَبِّحُهُ وَيُقَدِّسُهُ .

ثم قال مُخَاصِمًا نَفْسَهُ الْآنَ تَذَكَّرَ رَبِّكَ يَا مُعَاوِيَةُ بَعْدَ الْإِنْجِطَامِ وَالْإِنْهَادِ أَلَا كَانَ ذَلِكَ وَغَضُنُ الشَّبَابِ نَضِيرَ رِيَانٍ وَبَكَاءُ حَتَّى عَلَا بُكَاءُوهُ ثُمَّ قَالَ :

هُوَ الْمَوْتُ لَا مَنَجَى مِنَ الْمَوْتِ وَالَّذِي أَحْذَرُ مِنْهُ الْمَوْتُ أَذْهَى وَأَقْطَعُ

ثم قال يا ربِّ اَرْحَمِ الشَّيْخَ الْعَاصِي ذَا الْقَلْبِ الْقَاسِي ، اللَّهُمَّ أَقِلْ الْعَثْرَةَ ،
وَاعْفِرِ الزَّلَّةَ ، وَجُدْ بِحِلْمِكَ عَلَى مَنْ لَمْ يَرْجُ غَيْرَكَ ، وَلَا وَثِقَ بِأَحَدٍ سِوَاكَ .

ثم قال لابنه يزيد يا بُنَيَّ إِذَا وَفَى أَجَلِي فَأَعِمِدْ إِلَى الْمُنْدِيلِ الَّذِي فِي الْخِزَانَةِ
فَإِنَّ فِيهِ ثَوْباً مِنْ أَثْوَابِ النَّبِيِّ ﷺ وَقُرَاضَةً مِنْ شَعْرِهِ وَأَظْفَارِهِ ، فَاجْعَلِ الثُّوبَ
مِمَّا يَلْبِي جَسَدِي وَاجْعَلْ أَكْفَانِي فَوْقَهُ وَاجْعَلِ الْقُرَاضَةَ فِي فَمِي وَأَنْفِي وَعَيْنِي .

فَإِنْ نَفَعَنِي شَيْءٌ فَهَذَا فَإِذَا جَعَلْتُمُونِي فِي قَبْرِي فَحَلُّوْا مُعَاوِيَةَ وَأَرْحَمَ
الرَّاحِمِينَ .

وَيُرَوَّى أَنَّهُ قَالَ فِي جُمْلَةٍ مَا قَالَ : يَا لَيْتَنِي كُنْتُ رَجُلًا مِنْ سَائِرِ قُرَيْشٍ
يَذِي طُوى وَلَمْ أَلِ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ شَيْئًا .

وَلَمَّا حَضَرَتْ أَبَا هُرَيْرَةَ الْوَفَاةُ بَكَى فَقِيلَ لَهُ مَا يُبْكِيكَ فَقَالَ يُبْكِينِي بَعْدُ
الْمَفَازَةُ ، وَقِلَّةُ الزَّادِ ، وَضَعْفُ الْيَقِينِ ، وَالْعَقَبَةُ الْكُؤُودُ الَّتِي الْمَهْبِطُ مِنْهَا إِمَّا إِلَى
الْجَنَّةِ وَإِمَّا إِلَى النَّارِ .

وَلَمَّا حَضَرَتْ حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِي الْوَفَاةُ قَالَ اللَّهُمَّ إِنِّي كُنْتُ أَتَخَفَكَ وَأَنَا
الْيَوْمَ أَرْجُوكَ اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَحَبُّ الْبَقَاءِ فِي الدُّنْيَا لِجَرِي الْأَنْهَارِ
وَلَا لِغُرَسِ الْأَشْجَارِ وَلَكِنْ لِظَمِّ الْهَوَاجِرِ وَقِيَامِ اللَّيْلِ وَمَكَابِدَةِ السَّاعَاتِ
وَمُزَاحِمَةِ الْعِلْمَاءِ فِي حَلْقِ الذِّكْرِ .

وَلَمَّا اشْتَدَّ بِهِ النَّزْعُ جَعَلَ كُلَّمَا أَفَاقَ مِنْ غَمْرَةٍ فَتَحَ عَيْنَيْهِ وَقَالَ يَا رَبِّ شَدِّدْ
شِدَّاتِكَ وَانْحِنِ خَنْقَاتِكَ فَوَعِزَّتِكَ لَتَعْلَمَ أَنِّي أَحْبُّكَ .

وَلَمَّا نَزَلَ الْمَوْتُ بِمُحَمَّدٍ بْنِ الْمُنْكَدِرِ بَكَى فَقِيلَ لَهُ مَا يُبْكِيكَ فَقَالَ مَا أَبْكِي
حِرْصاً عَلَى الدُّنْيَا وَلَا جَزَعاً مِنَ الْمَوْتِ وَلَكِنْ أَبْكِي عَلَى مَا يُفَوِّتُنِي مِنْ ظُلْمِ
الْهَوَاجِرِ وَقِيَامِ لَيَالِ الشِّتَاءِ .

وَيُرَوَّى عَنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ إِمْرَأَةً عَمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ أَنَّهَا
قَالَتْ كُنْتُ أَسْمَعُ عَمْرٍ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ يَقُولُ اللَّهُمَّ أَخِفْ عَلَيْهِمْ مَوْتِي
وَلَوْ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ .

فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمَ الَّذِي مَاتَ فِيهِ خَرَجْتُ مِنْ عِنْدِهِ فَجَلَسْتُ فِي بَيْتٍ قَرِيبٍ
مِنْهُ يَنْبَغِي وَبَيْنَهُ بَابٌ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ : ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ
لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ .

ثُمَّ بَعْدَ هَذَا لَمْ أَسْمَعْ لَهُ حَرَكَةً وَلَا كَلَاماً فَقُلْتُ لِوَصِيفٍ عِنْدَهُ (أَيُّ
خَادِمٍ) أَنْظُرْ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَا صَنَعَ فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهَا صَاحَ فَأَسْرَعَتْ إِلَيْهِ فَإِذَا
هُوَ مَيِّتٌ رَحِمَهُ اللَّهُ .

تَفَانُوا جَمِيعاً فَلَا مَحْبِرَ وَمَاتُوا جَمِيعاً وَمَاتَ الْخَبَرُ
وَصَارُوا إِلَى مَالِكٍ قَاهِرٍ عَزِيزٍ مُطَاعٍ إِذَا مَا أَمَرَ
تُرُوحَ وَتَعُدَّ بَنَاتُ الثَّرَى وَتَمُحُو مَحَاسِنَ تِلْكَ الصُّورِ
فَيَا سَائِلِي عَنْ أَنَاسٍ مَضَوْا أَمَالِكَ فِيمَا تَرَى مُعْتَبَرُ
لَقَدْ لَقِيَ الْقَوْمُ مَا قَدَّمُوا فَإِمَّا نَعِمْ وَإِمَّا سَقَرُ

اللَّهُمَّ نَوِّرْ قُلُوبَنَا بِنُورِ الْإِيمَانِ وَتُبِّتْهَا عَلَى قَوْلِكَ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي
الْآخِرَةِ وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ وَاجْعَلْنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ يَا أَكْرَمَ
الْأَكْرَمِينَ وَيَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
أَجْمَعِينَ .

وَلَمَّا حَضَرَتْ مُحَمَّدُ بْنُ سِرِّينَ الْوَفَاةَ بَكَى فَقِيلَ لَهُ مَا يَبْكِيكَ فَقَالَ أَبْكِي لِتَفْرِيطِي فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ وَقِلَّةِ عَمَلِي لِلْجَنَّةِ الْعَالِيَةِ وَمَا يُنْجِنِي مِنَ النَّارِ الْحَامِيَةِ .

وَلَمَّا حَضَرَ أَبَا عَطِيَّةَ الْمَوْتُ جَزِعَ فَقَالُوا لَهُ أَتَجَزَعُ مِنَ الْمَوْتِ فَقَالَ وَمَا لِي لَا أَجَزَعُ وَإِنَّمَا هِيَ سَاعَةٌ فَلَا أَذْرِي أَيَّنَ يُسَلِّكَ بَنِي .

وَكَانَ الْجُنَيْدُ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَهُوَ فِي سِيَاقِ الْمَوْتِ وَيُصَلِّي فَخَتَمَ فَقِيلَ لَهُ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْحَالِ يَا أَبَا عَلِيٍّ فَقَالَ وَمَنْ أَحَقُّ مِنِّي بِذَلِكَ وَهَذَا هُوَ ذَا تُطَوَّى صَحِيفَةُ عَمَلِي ثُمَّ كَبَّرَ وَمَاتَ .

وَلَمَّا نَزَلَ الْمَوْتُ بِسُلَيْمَانَ التَّيْمِيِّ قِيلَ أُنْشِرْ فَقَدْ كُنْتَ مُجْتَهِدًا فِي طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى فَقَالَ لَا تَقُولُوا هَكَذَا فَإِنِّي لَا أَذْرِي مَا يَلُولِي مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَقُولُ : ﴿ وَبَدَأَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴾ قَالَ بَعْضُهُمْ عَمَلُوا أَعْمَالًا كَانُوا يَظُنُّونَ أَنَّهَا حَسَنَاتٍ فَوَجَلُّوها سَيِّئَاتٍ .

وَلَمَّا حَضَرَتْ الْفُضَيْلَ بْنَ عِيَّاضٍ الْوَفَاةَ غَشِيَ عَلَيْهِ ثُمَّ أَفَاقَ وَقَالَ يَا بُعْدَ سَفَرِي وَقِلَّةِ زَادِي .

وَلَمَّا حَضَرَتْ الْوَفَاةَ عَامِرَ بْنَ قَيْسٍ بَكَى فَقِيلَ لَهُ مَا يَبْكِيكَ قَالَ أَبْكِي لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ .

قَالَ بَعْضُهُمْ يُوْبِخُ نَفْسَهُ وَيَعْظِلُهَا ، يَا نَفْسُ بَادِرِي بِالْأَوْقَاتِ قَبْلَ الْإِصْرَامِهَا ، وَاجْتَهِدِي فِي حِرَاسَةِ لَيَْالِي الْحَيَاةِ وَأَيَّامِهَا .

فَكَأَنَّكَ بِالْقُبُورِ وَقَدْ تَشَقَّقَتْ ، ، وَبِالْأُمُورِ وَقَدْ تَحَقَّقَتْ ، وَبِوُجُوهِ الْمُتَّقِينَ وَقَدْ أَشْرَقَتْ ، وَبِرُؤُوسِ الْعَصَاةِ وَقَدْ أُطْرِقَتْ قَالَ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ : ﴿ وَلَوْ تَرَى

إذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحاً
إنا موقنون ﴿ يا نَفْسُ أَمَا الْوَرَعُونَ فَقَدْ جَدُّوا ، وَأَمَا الْخَائِفُونَ فَقَدْ اسْتَعْدُوا ،
وَأَمَا الصَّالِحُونَ فَقَدْ فَرَحُوا وَرَاحُوا وَأَمَا الْوَعْظُونَ فَقَدْ نَصَحُوا وَصَاحُوا الْعِلْمُ
لَا يَحْصُلُ إِلَّا بِالنَّصَبِ وَالْمَالِ لَا يَجْمَعُ إِلَّا بِالتَّعَبِ أَيُّهَا الْعَبْدُ الْحَرِيصُ عَلَى
تخليص نفسه إِنْ عَزَمْتَ فَبَادِرْ وَإِنْ هَمَمْتَ فَتَابِرْ ، واعلم أنه لَا يُدْرِكُ الْعِزَّ
وَالْمَفَاجِرَ مَنْ كَانَ فِي الصِّفِّ الْآخِرِ .

وقال آخر إذا أَرَدْتَ اللَّحَاقَ بِالْمُجْدِينَ وَأَنْتَ صَادِقٌ فَاجْعَلْ نَصَبَ عَيْنِكَ
قول الله جل وعلا : ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا
عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ﴾ وقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَبْلُو
كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وَاسْتَمِعْ يَوْمَ ينادِ الْمُنَادِي مِنْ مَكَانٍ
قَرِيبٍ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمَ الْخُرُوجِ ﴾ وَتَفَكَّرْ فِي بَهْتِكَ
وَخَيْرَتِكَ وَذَلِكَ وَإِنْ كَسَارِكَ وَافْتِقَارِكَ وَقَلَّتِكَ وَقَلَقِكَ وَانْزَعَاجِكَ يَوْمَ لَا تَجِدُ
إِلَّا عَمَلَكَ الَّذِي عَمِلْتَ وَسَعْيِكَ الَّذِي سَعَيْتَ .

ثُمَّ تَفَكَّرْ - بَعْدَ تَفَكُّرٍ فِيمَا سَبَقَ - فِي الصِّرَاطِ ، الَّذِي هُوَ الْجَسْرُ
الْمَنْصُوبُ عَلَى مَتْنِ جَهَنَّمَ ، بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ، خَرَجَ الْبَيْهَقِيُّ مِنْ حَدِيثِ زِيَادِ
الْتَّمِيرِيِّ ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
قَالَ : « الصِّرَاطُ كَحَدِّ الشُّفْرَةِ ، أَوْ كَحَدِّ السَّيْفِ ، وَأَنَّ الْمَلَائِكَةَ يُنْجُونَ
الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَنَّ جِبْرِيلَ لَأَخِذٌ بِحُجْرَتِي ، وَأَنِّي لَأَقُولُ يَا رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ ،
فَالزَّالُونَ وَالزَّالَاتُ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ » وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَ حَدِيثًا طَوِيلًا قَالَ فِيهِ « ثُمَّ يُضْرَبُ الْجَسْرُ عَلَى جَهَنَّمَ ،
وَتَحِلُّ الشُّفَاعَةُ ، فَيَقُولُونَ اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ » قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْجَسْرُ ؟
قَالَ : « دَخَضٌ مَزَلَّةٌ ، فِيهِ خَطَاطِيفٌ وَكَلاَئِبُ ، وَحَسَكَةٌ تُكُونُ بِتَجْدٍ ، فِيهَا

شَوَيْكَةَ يُقَالُ لَهَا السَّعْدَانُ فَيَمُرُّ الْمُؤْمِنُ كَطَرْفِ الْعَيْنِ وَكَالْبَرْقِ ، وَكَالرَّيْحِ ،
وَكَالطَّيْرِ ، وَكَأَجَاوِدِ الْخَيْلِ وَالرَّكَابِ ، فَتَاجِرٌ مُسَلِّمٌ ، وَمَخْلُوشٌ مُرْسَلٌ ،
وَمُكَرَّدَسٌ عَلَى وَجْهِهِ فِي النَّارِ « خَرَّجَاهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ .

شِعْرًا :

واذْكُرْ رُقَادَكَ فِي الثَّرَى	فِي قَعْرِ مُظْلَمَةٍ بِهِمٍ
قَدْ نَحِثْتَ تِلْكَ الْحُلَى	وَاسْتَبَدَلْتَ تِلْكَ الرُّسُومَ
وَتَرَكْتَ وَيْحَكَ مُفْرَدًا	لَا أَهْلَ فِيهِ وَلَا حَمِيمَ
حَيْرَانَ تَفَزَعَ لِلْبُكََا	لَهْفَانَ تَأَنَسُ بِالْعُمُومِ
حَتَّى يَنْدَادِيَ بِالْوَرَى	فَتَقُومُ أَسْرَعَ مَا تَقُومُ
عَرِيَانَ مُصْطَفَقَ الْحَشَا	هَيْمَانَ مُجْتَمِعِ الْهُمُومِ
وَالنَّاسُ قَدْ رَجَفَتْ بِهِمْ	حَرْبٌ هُنَا لِكُمُومِ عَقِيمِ
فِي مَازِقٍ تَهْفُو بِهِ	لَفَحَاتٍ نِيرَانِ السُّمُومِ
وَبَدَتْ هُنَاكَ سَرَائِرُ	قَدْ كُنْتَ قَبْلَ هَا كَتُومِ
وَرَأَيْتَ فِي مَخْصُولِهَا	مَا شِئْتَ مِنْ حُسْنِ وَشُومِ

اللَّهُمَّ نَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ النَّارِ وَعَافِنَا مِنْ دَارِ الْخِزْيِ وَالْبَوَارِ وَاذْخِلْنَا
بِفَضْلِكَ الْجَنَّةَ دَارَ الْقَرَارِ وَتَاْمِلْنَا بِكَرَمِكَ وَجُودِكَ يَا كَرِيمُ يَا غَفَّارُ وَاغْفِرْ لَنَا
وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

فَصَلِّ وَخَرَّجَ مُسَلِّمٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْجَعِيِّ ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ عَنْ أَبِي
هُرَيْرَةَ ، وَأَبِي مَالِكٍ ، عَنْ رَبِيعٍ ، عَنْ حُذَيْفَةَ كِلَاهُمَا عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ فَذَكَرَ حَدِيثَ الشُّفَاعَةِ ، وَفِيهِ قَالَ : « فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ ، فَيَقُومُ ، وَيُؤَذِّنُ لَهُ وَتُرْسَلُ مَعَهُ الْأَمَانَةُ وَالرَّحِمُ ، فَيَقُومَانِ جَنْبَتَيِ الصَّرَاطِ يَمِينًا وَشِمَالًا ، فَيَمُرُّ أُولُوكُمُ كَالْبَرْقِ » قَالَ قُلْتُ : يَا بَنِي أُمِّئِي أَيُّ شَيْءٍ كَمَرُ الْبَرْقِ ؟ قَالَ : « أَلَمْ تَرَ إِلَى الْبَرْقِ كَيْفَ يَمُرُّ وَيَرْجِعُ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ ، ثُمَّ كَمَرُ الرِّيحِ ، ثُمَّ كَمَرُ الطَّيْرِ ، وَأَشَدُّ الرِّجَالِ ، تَجْرِي بِهِمْ أَعْمَالُهُمْ ، وَيَبْشُرُكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَائِمٌ عَلَى الصَّرَاطِ يَقُولُ : رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ ، حَتَّى تَعْجُزَ أَعْمَالُ الْعِبَادِ ، وَحَتَّى يَجِيءَ الرَّجُلُ ، فَلَا يَسْتَطِيعُ السَّيْرَ إِلَّا زَخْفًا » قَالَ : « وَفِي حَافَتَيِ الصَّرَاطِ كَلَالِيْبُ مُعَلَّقَةٌ ، مَأْمُورَةٌ بِأَخْذِ مَنْ أَمَرَتْ بِأَخْذِهِ فَمُخَدَّشٌ نَاجٍ ، وَمُكَرَّدَسٌ فِي النَّارِ » وَالَّذِي نَفْسُ أَبِي هُرَيْرَةَ بِيَدِهِ إِنَّ قَعَرَ جَهَنَّمَ لَسَبْعِينَ خَرِيفًا .

وَرَوَى أَبُو الزُّعْرَاءِ عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ ، قَالَ : يَأْمُرُ اللَّهُ بِالصَّرَاطِ فَيُضْرَبُ عَلَى جَهَنَّمَ ، فَيَمُرُّ النَّاسُ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ زُمَرًا زُمَرًا ، أَوَائِلُهُمْ كِلْنَحِ الْبَرْقِ ، ثُمَّ كَمَرُ الرِّيحِ ، ثُمَّ كَمَرُ الطَّيْرِ ، ثُمَّ كَمَرُ الْبَهَائِمِ ، حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ سَعْيًا ، وَحَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ مَشْيًا ، حَتَّى يَجِيءَ آخِرُهُمْ يَتَلَبَّطُ عَلَى بَطْنِهِ ، فَيَقُولُ : يَا رَبِّ لِمَ بَطَّأْتُ بِي ؟ فَيَقُولُ : إِنِّي لَمْ أَبْطِئْ بِكَ ، إِنَّمَا بَطَّأُ بِكَ عَمَلُكَ » ، وَذَلِكَ أَنَّ الْإِيمَانَ وَالْعَمَلَ الصَّالِحَ فِي الدُّنْيَا ، هُوَ الصَّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ فِي الدُّنْيَا ، الَّذِي أَمَرَ اللَّهُ الْعِبَادَ بِسُلُوكِهِ ، وَالِاسْتِقَامَةِ عَلَيْهِ ، وَأَمَرَهُمْ بِسُؤَالِ الْهِدَايَةِ ، فَمَنْ اسْتَقَامَ سَبِيلَهُ عَلَى هَذَا الصَّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ فِي الدُّنْيَا ، وَلَمْ يَنْحَرِفْ عَنْهُ يَمَنَةً وَلَا يَسْرَةً اسْتَقَامَ سَبِيلُهُ عَلَى الصَّرَاطِ الْمَنْصُوبِ عَلَى مَتْنِ جَهَنَّمَ وَمَنْ لَمْ يَسْتَقِمْ سَبِيلَهُ عَلَى الصَّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ فِي الدُّنْيَا بَلَّ انْحَرَفَ عَنْهُ إِثْمًا إِلَى فِتْنَةِ الشُّبُهَاتِ أَوْ إِلَى فِتْنَةِ الشَّهَوَاتِ كَانَ اخْتِطَافُ الْكَلَالِيْبِ لَهُ عَلَى صَرَاطِ جَهَنَّمَ ، بِحَسَبِ اخْتِطَافِ الشُّبُهَاتِ وَالشَّهَوَاتِ لَهُ عَنِ الصَّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ .

فَفَكَّرْ فِي أَهْوَالِ الصَّرَاطِ وَعَظَائِمِهِ ، وَمَا يَحِلُّ بِالْإِنْسَانِ مِنَ الدُّعْرِ وَالْخَوْفِ عِنْدَ رُؤْيَتِهِ ، وَوُقُوعِ بَصَرِكَ عَلَى جَهَنَّمَ مِنْ تَحْتِهِ ، وَسَمَاعِكَ

شَهِيقَهَا وَتَغِيْظُهَا عَلَى الْكَفَرَةِ ، وَقَدْ اضْطَرِرَّتْ إِلَى أَنْ تَمْشِي عَلَى الصِّرَاطِ
الَّذِي مَرَّتْ صِفَتُهُ وَصِفَةُ الْمُرُورِ عَلَيْهِ ، مَعَ ضَعْفِ حَالِكَ ، وَكَوْنِكَ حَافِياً
غَارِياً ، وَثِقَلِ الظَّهْرِ بِالْأَوْزَارِ عَنِ الْمَشْيِ فِي الْأَرْضِ الْمُسْتَوِيَةِ ، فَضْلاً عَنْ
الْمَشْيِ عَلَى الصِّرَاطِ ، فَتَصَوِّرْ وَضْعَكَ رِجْلَكَ عَلَيْهِ ، وَإِحْسَاسَكَ بِحَدِّتِهِ ،
وَأَنْتَ مُضْطَرٌّ إِلَى أَنْ تَرْفَعَ رِجْلًا وَتَضَعَ الْأُخْرَى ، وَأَنْتَ مُنْدَهَشٌ مِمَّا تَحْتَكُ
وَأَمَامَكَ ، مِمَّنْ يَتَّبِعُونَ ، وَآخَرُونَ يَزِلُّونَ ، وَآخَرُونَ يُخْطِفُونَ بِالْخُطَاطِيفِ
وَبِالْكَلاَلِيبِ ، وَالْعَوِيلِ وَالْبُكَاءِ تَسْمَعُ لَهُ تَتَابُعاً وَدَوْباً ، وَتَنْظُرُ الَّذِينَ يَنْتَكِسُونَ
عَلَى رُؤُوسِهِمْ ، وَآخَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ ، فَتَعْلَمُوا الْأَرْجُلَ ، فَيَا لَهُ مِنْ مَنْظَرٍ
فَظِيحٍ ، وَمُرْتَقَى مَا أَصْعَبُهُ ، وَمَجَارٍ مَا أَضْيَقُهُ ، وَمَكَانٍ مَا أَهْوَلُهُ ، وَمَوْقِفٍ مَا
أَشَقُّهُ ، وَكَأَنِّي بِكَ مَمْلُوءٌ مِنَ الرُّغْبِ وَالرُّغْبِ ، ثَلَفْتُ يَمِيناً وَشِمَالاً إِلَى مَنْ
حَوْلَكَ مِنَ الْخَلْقِ ، وَتُجِيلُ فِيهِمْ بَصْرَكَ ، وَهُمْ يَتَهَاوَتُونَ قُدَامَكَ فِي جَهَنَّمَ ،
وَالرَّعَقَاتُ بِالْوَيْلِ وَالثُّبُورُ قَدْ ارْتَفَعَتْ مِنْ قَعْرِ جَهَنَّمَ ، لِكَثْرَةِ مَنْ يَزِلُّ عَنْ
الصِّرَاطِ ، وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ » فَتَصَوِّرْ لَوْ
زَلْتَ قَدَمُكَ ، فَهَلْ يَنْفَعُكَ نَدَمُكَ ، وَتَحْسُرُكَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ كَلَا ﴿ يَوْمَئِذٍ
يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى ﴾ .

أَجْنَبَ جِيَاداً مِنَ التَّقْوَى مُضْمَرَةً لِّلَسَبْقِ يَوْمٍ يَفُوزُ النَّاسُ بِالسَّبْقِ
ثُمَّ مَرَّ الرِّيَّاحِ الْهُوجِ عَاصِيفَةً أَوْ لَمَحَةِ الْبَرْقِ إِذَا يَجْتَازُ بِالْأَفْقِ
وَارْكُضْ إِلَى الْعَايَةِ الْقُصْوَى وَخَلِّ لَهَا عِيَانَ صِدْقٍ رَمَى فِي فِتْنَةٍ صُدِّقَ
فَإِنَّ خَلْفَكَ أَعْمَالاً مُبْطِطَةً وَلَسْتَ تَنْهَضُ إِلَّا وَيلَكَ بِالْعَتَقِ
كَمْ حَلَّ عَزَمَكَ مِنْ دُنْيَا مُعَرَّجَةٍ بِقَصْدِكَ الْيَوْمَ عَنْ مَسْلُوكَةِ الطَّرِيقِ
يَا غَافِلاً وَالْمَنَايَا مِنْهُ ذَاكِرَةً وَضَاحِكاً وَالرَّدَى مِنْهُ عَلَى حَقِّهِ
قَطَعْتَ عُمرَكَ فِي سَهْوٍ وَفِي سِنَةٍ وَمِنْ أَمَامِكَ لَيْلٌ دَائِمٌ الْأَرْقِ

وَرَبِّ رَأْيٍ تَرَاهُ الْيَوْمَ فِي سَفَهٍ عَقْلًا تَرَاهُ غَدًا فِي غَايَةِ الْحَرْقِ
نَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى النِّجَاةَ مِنْهَا وَأَنْ يُؤَفِّقَنَا لِلْأَعْمَالِ الْمَوْهَلَةِ لِذَارِ الْخُلْدِ وَأَنْ
يُؤَفِّقَ وَلَا تَنَا لِلْقِيَامِ عَلَى هَؤُلَاءِ الْمَجْرِمِينَ ، وَرَدِّعِهِمْ وَالزَّامِيَهُمْ سُلُوكَ طُرُقِ الْحَقِّ
إِنَّهُ الْقَادِرُ عَلَى ذَلِكَ .

اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا نُورًا تَهْتَدِي بِهِ إِلَيْكَ وَتَوَلَّنَا بِحُسْنِ رِعَايَتِكَ حَتَّى
تَتَوَكَّلَ عَلَيْكَ وَارْزُقْنَا حَلَاوَةَ التَّدَلُّلِ بَيْنَ يَدَيْكَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ
الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

فصل

إِعْلَمْ أَيُّهَا الْأَخُ أَنْ جَمِيعَ مُصِيبَاتِ الدُّنْيَا وَشُرُورَهَا وَأُخْزَانُهَا كَأَحْلَامِ نَوْمٍ أَوْ
كَظُلْمِ زَائِلٍ .

إِنْ أَضْحَكْتَ قَلِيلًا أَبْكْتَ كَثِيرًا وَإِنْ سَرَّتْ يَوْمًا أَوْ أَيَّامًا سَاءَتْ أَشْهُرًا أَوْ
أَعْوَامًا وَإِنْ مَتَّعْتَ قَلِيلًا مَنَعْتَ طَوِيلًا . . .

وَمَا حَصَلَ لِلْعَبِيدِ فِيهَا مِنْ سُرُورٍ إِلَّا أَعْقَبَهُ أُخْزَانٌ وَشُرُورٌ كَمَا قِيلَ « مَنْ سَرَّهُ
زَمَنْ سَاءَتْهُ أَرْمَانٌ » .

وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ لِبَعْضِ الْمُلُوكِ إِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِذِمِّ الدُّنْيَا وَقِلَافِهَا مَنْ بُسِطَ
لَهُ فِيهَا وَأُعْطِيَ حَاجَتَهُ مِنْهَا .

لَأَنَّهُ يَتَوَقَّعُ أَفَقَةً تَعْلُو عَلَى مَالِهِ فَتَجْتَاحُهُ ، أَوْ عَلَى جَمْعِهِ فَتَفْرَقُهُ ، أَوْ تَأْتِي
سُلْطَانُهُ فَتَهْدِمُهُ مِنْ قَوَاعِدِهِ .

أَوْ تَدْبُ إِلَى جِسْمِهِ فَتَسْقِمُهُ ، أَوْ تَفْجَعُهُ بِشَيْءٍ هُوَ ضَيِّقٌ بِهِ مِنْ أَحْبَابِهِ .
 فالدنيا أحمق بالذم هي الآخذة لما أعطت ، والراجعة لما وهبت .
 وَيَنِمَّا هِيَ تُضْحِكُ صَاحِبَهَا إِذَا هِيَ تُضْحِكُ مِنْهُ غَيْرُهُ .
 وَيَنِمَّا هِيَ تُبْكِي لَهُ إِذْ بَكَتْ عَلَيْهِ .
 وَيَنِمَّا هِيَ تُبْسِطُ كَفَّهُ بِالْإِعْطَاءِ إِذْ بَسَطَتْهَا بِالْإِسْتِرْدَادِ .
 تَعْقُدُ التَّاجَ عَلَى رَأْسِ صَاحِبِهَا الْيَوْمَ وَتُعْفِرُهُ بِالثَّرَابِ غَدًا .
 سَوَاءٌ عَلَيْهَا ذَهَابُ مَا ذَهَبَ وَبَقَاءُ مَا بَقِيَ تَجِدُ فِي الْبَاقِي مِنَ الذَّاهِبِ خَلْقًا
 وَتَرْضَى بِكُلِّ مِنْ كُلِّ بَدَلًا .

شِعْرًا :

بَأْمْرِ دُنْيَاكَ لَا تَغْفُلْ وَكُنْ حَذِرًا فَقَدْ أَبَانَتْ لِأَرْبَابِ النَّهْيِ عِبْرًا
 فَأَيُّ عَيْشٍ بِهَا شَابَهُ غَيْرٍ وَأَيُّ صَفْوٍ تَنَاهَى لَمْ يَصِرْ كَدِرًا

آخر :

أَنْظُرْ إِلَى الدُّنْيَا بَعَيْنِ بَصِيرَةٍ وَدَعِ الشَّاعِلَ بِالَّذِي لَا يَنْفَعُ
 كَمْ رَامَهَا فِيمَا مَضَى مِنْ جَاهِلٍ لِيَفُوزَ مِنْهَا بِالَّذِي هُوَ يَطْمَعُ
 وَيَكُونُ فِيهَا آمِنًا فِي سِرِّهِ لَا يَحْتَشِي رَيْبًا وَلَا يَتَوَقَّعُ

قَالَ بَعْضُهُمْ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ الدُّنْيَا لَيْسَتْ بِدَارِ قَرَارِكُمْ ، وَلَا مَحَلِّ إِقَامَتِكُمْ
 دَارُ كَتَبَ اللَّهُ عَلَى أَهْلِهَا الْفَنَاءَ وَأَوْجَبَ مِنْهَا عَلَى أَهْلِهَا الرِّحِيلَ فَكَمْ مِنْ عَامِرٍ
 مُؤْنِقٍ وَمُحْسِنٍ عَمَّا قَلِيلٍ سَتَحْرَبُ عِمَارَتُهُ ، وَكَمْ مِنْ مُقِيمٍ مُعْتَبِطٍ سَيَرَحُلُ إِلَى
 الْمَقْبَرَةِ .

فَأَخْسِنُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ مِنْهَا الرُّحْلَةَ وَاحْمِلُوا خَيْرَ مَا يَحْضُرُكُمْ لِلنُّقْلَةِ ،
 وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى .

إن الدنيا كظلمة قَلَصَ فَذَهَبَ بَيْنَمَا ابْنُ آدَمَ يُتَافِسُ فِيهَا وَعَلَيْهَا يُضَارِبُ إِذْ
دَعَاهُ اللَّهُ بِقَدَرَةٍ وَوَفَاهُ يَوْمَ حَتْفِهِ فَسَلَبَهُ آثَارَهُ وَذُنْيَاهُ ، وَصَيَّرَ لآخرينَ مَصَانِعَهُ
ومغناه ، أَنَّ الدنيا ما تَسُرُّ بِمَقْدَارٍ ما تَضُرُّ إِنَّهَا تَسُرُّ قَلِيلًا ، وَتُحْزِنُ حُزْنًا
طَوِيلًا .

شِعْرًا :

غَرَّتْ زَمَانًا بِمِلْكٍ لَا دَوَامَ لَهُ جَهْلًا كَمَا غَرَّ نَفْسًا مَنْ يُمَنِّيْهَا
وَصَبَحَتْ قَوْمَ عَادٍ فِي دِيَارِهِمْ بِمُفْطِعِ يَوْمٍ عَادَتْهُمْ عَوَادِيْهَا
وَتُبْعًا وَتَمُودَ الْحَجَرِ غَادَرَهُمْ رَيْبُ الْمُنُونِ رَمِيمًا فِي مَعَانِيْهَا
فَكَيْفَ يَبْقَى عَلَى الْأَحْدَاثِ غَابِرُنَا كَأَنَّا قَدْ أَظْلَلْنَا دَوَاهِيَهَا
وَحَطَبَ بَعْضُهُمْ :

فَقَالَ عِبَادَ اللَّهِ اتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَكُونُوا قَوْمًا صِيحَ بِهِمْ فَانْتَبَهُوا
وَعَلِمُوا أَنَّ الدُّنْيَا لَيْسَتْ لَهُمْ بَدَارٌ فَاسْتَبَدَّلُوا بِهَا وَتَعَوَّضُوا عَنْهَا .

أَيُّهَا النَّاسُ اسْتَعِدُّوا لِلْمَوْتِ فَقَدْ أَظْلَكُكُمْ وَتَرَحَّلُوا فَقَدْ جُدَّ بِكُمْ وَإِنَّ غَايَةَ
تَنْقِصِهَا اللَّحْظَةُ وَتَهْدِيمُهَا السَّاعَةُ لَجَدِيدَةٍ بِقَصْرِ الْمُدَّةِ وَأَنَّ غَايَا يَحْلُوهُ
الْجَدِيدَانِ لَجَدِيدٌ بِسُرْعَةِ الْأَوْبَةِ وَأَنَّ قَادِمًا يَقْدُمُ بِالْفُوزِ أَوْ بِالشَّقَاةِ لِمُسْتَحَقِّ
بِأَفْضَلِ الْعُدَّةِ .

اتَّقَى عَبْدُ رَبِّهِ نَفْسَهُ وَغَلَبَ شَهْوَتَهُ وَقَدَّمَ تَوْبَتَهُ ، فَإِنَّ أَجَلَهُ مُسْتَوْرٌ
عَنْهُ وَأَمَلُهُ خَادِعٌ لَهُ وَالشَّيْطَانُ مُوَكَّلٌ بِهِ يُمَنِّيهِ التَّوْبَةَ لِيُسَوِّفَهَا ، وَيُزَيِّنُ الْمَعْصِيَةَ
لِيُرْكَبَهَا حَتَّى تَهْجِمَ عَلَيْهِ مَنِيَّتُهُ أَغْفَلَ مَا يَكُونُ عَنْهَا وَأَنَسَى مَا يَكُونُ لَهَا ، وَأَنَّ
مَا بَيْنَ أَحَدِكُمْ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ إِلَّا الْمَوْتُ أَنْ يَنْزِلَ بِهِ .

فَيَا لَهَا مِنْ حَسْرَةٍ عَلَى ذِي غَفْلَةٍ أَنْ يَكُونَ عُمُرُهُ عَلَيْهِ حُجَّةً أَوْ أَنْ تُؤَدِّيَهُ

أَيَّامُهُ إِلَى شِقْوَةٍ جَعَلَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِمَّنْ لَا تُبْطِرُهُ نِعْمَةٌ وَلَا تُقْصِرُ بِهِ عَنْ طَاعَةٍ مَعْصِيَةٍ وَلَا تَحُلُّ بِهِ بَعْدَ الْمَوْتِ حَسْرَةً إِنَّهُ سَمِيعُ الدُّعَاءِ فَعَالَ لِمَا يَشَاءُ .

قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ كُلُّ يَجْرِي مِنْ عُمُرِهِ إِلَى غَايَةٍ تَنْتَهِي إِلَيْهَا مُدَّةُ أَجَلِهِ وَتَنْطَوِي عَلَيْهَا صَحِيفَةُ عَمَلِهِ ، فَخُذْ مِنْ نَفْسِكَ لِنَفْسِكَ ، وَقَسْ يَوْمَكَ بِأَمْسِكَ ، وَكُفَّ عَنْ سَيِّئَاتِكَ ، وَزِدْ فِي حَسَنَاتِكَ ، قَبْلَ أَنْ تَسْتَوِي مُدَّةَ الْأَجَلِ وَتَعَصُرَ عَنِ الرِّيَادَةِ فِي الْعَمَلِ .

وَفِي كَلَامِ بَعْضِهِمْ أَعْلَمَ رَحِمَكَ اللَّهُ أَنَّ أَمَانِيَّكَ سَتُرَدُّ عَلَيْكَ وَتَرْجِعُ خَائِبَةً إِلَيْكَ ، وَأَنَّ السَّاعَاتِ تَهْدِمُ فِي جَسَدِكَ ، وَرُبَّمَا عَاجَلَتْكَ الْمَنِيَّةُ فِي سَاعَاتِكَ ، أَوْ فِي يَوْمِكَ ، أَوْ فِي غَدِكَ فَوْقَفَتْكَ عَلَى غِشِّكَ ، وَظُلْمِكَ ، وَأَطَالَتْ فِي كَرْبِكَ ، وَزَادَتْ فِي غَمِّكَ وَأَرْثِكَ مَا لَمْ تَعْهَدْ ، وَأَشْهَدَتْكَ مَشْهَدًا مَا مِثْلُ مَشْهَدٍ .

وَمَا تَبَيَّنَ فِي دُنْيَاكَ هَذِي	سَتَلْقَاهُ مِنَ الْأَيَّامِ هَدْمٌ
وَجِسْمُكَ وَبِكَ أَسْرَعُهُ انْهَدَامًا	وَهَلْ يَبْقَى مَعَ السَّاعَاتِ جِسْمٌ
وَمَنْ تَتَّبَعُهُ تَابِعُهُ الْمَنَايَا	مُحَالٌ أَنْ تَبْقَى مِنْهُ رَسْمٌ
وَلَيْتَكَ لَمْ تَكُنْ إِلَّا مَتُونٌ	يُضَاعَفُ بَيْنَهَا كَرْبٌ وَغَمٌ
وَلَكِنْ بَعْدَهَا يَوْمٌ عَصِيبٌ	طَوِيلُ الْكَرْبِ ذِكْرَاهُ تَصُمٌ
وَمَا تِلْكَ الْكُرُوبُ كَمَا عَهِدْنَا	وَلَا هِيَ مَا يُعْبَرُ عَنْهُمْ فَهْمٌ
وَلَا تَغْتَرِ بِالْأَسْمَاءِ جَهْلًا	فَرُبَّتْ مَعْنَيْنِ عَلَيْهِمَا اسْمٌ
يُسَمَّى الْكُوكَبُ الدَّرِّيُّ نَجْمًا	وَمُنْبَسِطُ النَّبَاتِ كَذَاكَ نَجْمٌ

اللَّهُمَّ الْحَقِّقْنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ الْأَبْرَارَ ، وَآتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً ، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا ، وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ

مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

فَصْلٌ

خَطَبَ أَحَدُ الْعُلَمَاءِ خُطْبَةً يَلِيقُهَا فَقَالَ : إِعْلَمُوا أَنَّكُمْ مَيِّتُونَ وَمَبْعُوثُونَ مِنْ
بَعْدِ الْمَوْتِ قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا : ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
تُبْعَثُونَ ﴾ .

وَتُوثَقُونَ عَلَى أَعْمَالِكُمْ وَتُجْزَوْنَ بِهَا فَلَا تُغْنِيكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَإِنَّهَا بِالْبَلَاءِ
وَالْمَصَائِبِ مَخْفُوفَةٌ ، وَبِالْفَنَاءِ مَعْرُوفَةٌ ، وَبِالْعَذْرِ مَوْصُوفَةٌ ، وَكُلُّ مَا فِيهَا إِلَى
زَوَالٍ وَهِيَ بَيْنَ أَهْلِهَا دُولٌ وَسِجَالٌ .

لَا تَدُومُ أَحْوَالُهَا ، وَلَا تَسْلَمُ مِنْ شَرِّهَا نَزَائِلُهَا ، بَيْنَا أَهْلُهَا وَرَحَاءُ وَسُرُورٍ
وَنَعِيمٍ وَحُجُورٍ إِذَا هُمْ مِنْهَا فِي بَلَاءٍ وَغُرُورٍ ، الْعَيْشُ فِيهَا مَذْمُومٌ وَالرَّخَاءُ فِيهَا
لَا يَدُومُ وَإِنَّمَا أَهْلُهَا فِيهَا أَعْرَاضٌ مُسْتَهْدَفَةٌ تَرْمِيهَا بِسِيَاهِمَا وَتَقْصِمُهُمْ
بِحِمَامِهَا ، وَكُلُّ حَتْفَةٍ فِيهَا مَقْلُورٌ وَحِظَةٌ فِيهَا مَوْفُورٌ .

وَاعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ أَنَّكُمْ وَمَا أَنتُمْ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الدُّنْيَا عَلَى سَبِيلٍ مَنْ قَدْ مَضَى
مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِمَّنْ كَانَ أَطْوَلَ مِنْكُمْ أَعْمَاراً وَأَشَدَّ مِنْكُمْ بَطْشاً وَأَعَمَّرَ دِيَاراً
وَأَبْعَدَ آثَاراً فَاصْبَحَتْ أَصْنَائُهُمْ هَامِدَةٌ خَامِدَةٌ مِنْ بَعْدِ طُولِ تَقْلِبِهَا وَأَصْبَحَتْ
أَجْسَادُهُمْ بَالِيَةً وَدِيَارُهُمْ عَلَى غُرُوشِهَا خَاوِيَةً وَآثَارُهُمْ عَافِيَةً .

وَاسْتَبْدَلُوا الْقُصُورَ الْمُشِيدَةَ ، وَالسُّرُورَ ، وَالتَّمَارِقَ الْمُمَهَّدَةَ بِالثَّرَابِ
وَالصُّخُورِ وَالْأَحْجَارِ الْمُسْنَدَةِ فِي الْقُبُورِ اللَّاطِئَةِ الْمُلْحَدَةِ فَمَحَلُّهَا مُقْتَرَبٌ
وَسَاكِنُهَا مُغْتَرِبٌ بَيْنَ أَهْلِ مَحِلَّةٍ مُوَحِّشِينَ .

لَا يَسْتَأْنِسُونَ بِالْمُعْمَرَانِ وَلَا يَتَوَاصِلُونَ تَوَاصُلَ الْجِيرَانِ عَلَى مَا بَيْنَهُمْ مِنْ قُرْبِ الْمَكَانِ وَالْجَوَارِ وَدُثُو الدَّارِ وَكَيْفَ يَكُونُ بَيْنَهُمْ تَوَاصُلٌ وَقَدْ أَكَلَتْهُمْ الْجَنَادِلُ وَالثَّرَى وَأَصْبَحُوا بَعْدَ الْحَيَاةِ أَمْوَاتًا وَبَعْدَ نَضَارَةِ الْعَيْشِ رُفَاتًا .

فَجَعَلَ بِهِمُ الْأَخْبَابَ وَسَكَنُوا تَحْتَ التُّرَابِ طَعَنُوا فَلَيْسَ لَهُمْ إِيَابُ فَكَانَ صِرْثُهُمْ إِلَى مَا صَارُوا إِلَيْهِ مِنَ الْبَلَاءِ وَالْوَحْدَةِ فِي دَارِ الْمَثْوَى وَارْتُهُتُمْ فِي ذَلِكَ الْمَضْجَعِ وَضَمَّكُمْ ذَلِكَ الْمُسْتَوْدَعُ .

فَكَيْفَ بِكُمْ إِذَا عَايَنْتُمُ الْأُمُورَ بُعِثَرِ الْقُبُورِ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ وَوُقِفْتُمْ لِلتَّحْصِيلِ بَيْنَ يَدَيِ الْمَلِكِ الْجَلِيلِ فَطَارَتِ الْقُلُوبُ لِإِشْفَاقِهَا مِنْ سَالِفِ الدُّنُوبِ وَهَتَكَتِ الْحُجُبَ وَالْأَسْتَارَ وَظَهَرَتْ مِنْكُمْ الْعُيُوبُ وَالْأَسْرَارُ .

هُنَالِكَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ قَالَ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ : ﴿ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴾ وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَوَضَعَ الْكِتَابَ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ ﴾ الْآيَةُ .

قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ :

تَبًّا لِطَالِبِ دُنْيَا لَا بَقَاءَ لَهَا	كَأَنَّمَا هِيَ فِي تَعْرِيفِهَا حُلْمٌ
صَفَاؤُهَا كَدَّرَ سُرُورُهَا ضَرَّرَ	أَمَانُهَا غَرَّرَ أُنْوَارُهَا ظَلَمٌ
شَبَابُهَا هَرَمَ رَاحَتُهَا سَقَمٌ	لَذَاتُهَا نَدَمٌ وَجَدَانُهَا عَدَمٌ
لَا يَسْتَفِيدُ مِنَ الْأَنْكَادِ صَاحِبُهَا	لَوْ كَانَ يَمْلِكُ مَا قَدْ ضُمِنَتْ أَرْمٌ
فَحُلَّ عَنْهَا وَلَا تَرَكْنَ لِزَهْرَتِهَا	فَإِنَّهَا نَعَمَ فِي طَيْهَا نِقَمٌ
وَأَعْمَلَ لِذَاكَ نَعِيمٍ لَا تَفَادِلُهَا	وَلَا يُخَافُ بِهَا مَوْتُ وَلَا هَرَمٌ

وَمَا قَالَه أَحَدُ الْحُكَمَاءِ فِي الدُّنْيَا لِيَكُنْ نَظَرُكَ إِلَى الدُّنْيَا اعْتِبَارًا وَرَفَضُكَ لَهَا اخْتِيَارًا وَطَلَبُكَ الْآخِرَةَ ابْتِدَارًا .

وقال بعضُ العلماء من عَجِيب ما تَقَدَّتْ مِنْ أحوالِ الناسِ كثرة ما نأخُوا
على خَرَابِ الدِّيارِ ومَوْتِ الأَقاربِ والأسلافِ والتَّحَسُّرِ على الأَرْزاقِ بِذَمِّ
الرَّزمانِ وأَهْلِهِ وَذِكْرِ تَكْدِ العِيشِ فيه .

وقَدْ رَأَوْا مِنْ أنْهَدامِ الإسلامِ ومَوْتِ السُّنَنِ وظُهورِ البِدَعِ وارْتِكاكِ
المَعَاصي وتَقْصُصِ العُمُرِ في الفارِغِ الذي لا يُجْدِي والقَبِيحِ الذي يُؤْبِقُ
وَيُؤْذِي .

فلا أَجِدُ مِنْهُمْ مَنْ نَاحَ على دِينِهِ وَلَا بَكَى على فارِطِ عُمُرِهِ وَلَا آسَى على
فَائِتِ دَهْرِهِ .

وما أَرى لِدَلِكِ سَبَباً إِلَّا عَدَمَ مُبالاتِهِمْ في الأَذْيَانِ وعِظَمَ الدُّنيا في عُيُونِهِمْ .

ضِدَّ ما كانَ عليه السلفُ الصَّالِحُ يَرْضَوْنَ بالبلاغِ وَيَنوَحُونَ على الدِّينِ اهـ .

اللَّهُمَّ انْظُمْنَا في سِلَكِ الْفائِزِينَ بِرِضْوَانِكَ ، واجْعَلْنَا مِنَ الْمُتَّقِينَ الَّذِينَ
أَعَدَدْتَ لَهُمْ فَسِيحَ جَنَّتِكَ ، وأَدْخِلْنَا بِرَحْمَتِكَ في دَارِ أَمَانِكَ ، وَعَافِنَا يَا مَوْلَانَا
في الدُّنْيَا والآخِرَةِ مِنْ جَمِيعِ الْبَلَايَا ، وَأَجِرْ لَنَا مِنْ مَوَاهِبِ فَضْلِكَ وَهَبَاتِكَ
وَمَتَّعْنَا بِالنَّظَرِ إلى وَجْهِكَ الْكَرِيمِ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ
وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ، واغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللهُ على مُحَمَّدٍ
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

فصل

وقال رحمه الله واعلم رحمتنا الله وإياك وجميع المسلمين أن الشيء الممكن وجوده لا يعرف مقداره على الحقيقة إلا إذا عُدِم فلم يوجد .

فانتبه أيها الأبي قبل هجوم الموت ، المال تقتره والعمر ما يهلك ذهابه سهلاً ولا نسبة بين المال والعمر ولا تعرف قدر ضياع عمرِكَ إلا بعدما تموت وتطوى صحيفتك فلا يزداد فيها ولا ينقص وتندم ولات ساعة ندم .

يا أيها الساهون عن آخرهم إن الهداية فيكم لا تعرف المال بالميزان يصرف عندكم والعمر بينكم جُزأفاً يصرف

آخر :

مرَّ الشباب ولم أقدر أرجعه ولم أحييه إلا بعد ما انصرفا والمرء يجهل قدر الشيء يمكنه حتى إذا فاته إمكانه عرَفاً

ألا ترى رحمنا الله وإياك وجميع المسلمين أن الصَّحَّة لا يعرف قدرها على الحقيقة إلا المَرَضَى ، والعافية لا يعرف مقدارها إلا المُبْتَلَى ، فكذلك الحياة لا يعرف مقدارها إلا المَوْتَى لأنهم قد ظهرت لهم الأمور وتبينت لهم الأشياء وانكشفت لهم الحقائق ، وتبدت لهم المنازل وعلموا مقدار الأعمال الصَّالِحَةِ ، إذ ليس ينْفَقُ هناك إلا عَمَلٌ صَالِحٌ زَكِي ، ولا يَرْتَفِعُ هناك إلا عَبْدٌ تَقِي .

وكُلُّما ازدادَ هنا عَمَلاً صَالِحاً كانَ هناك أَرْفَعَ دَرَجَةً وأشْرَفَ رُتَبَةً ، وأكثرَ وَجَاهَةً ، وكُلُّما ازدادَ في الدنيا من الأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ فَضِيلَةً كَانَ أَقْرَبَ إلى الله وَسِيلَةً .

فَلَمَّا اسْتَبَانَ لَهُمْ ذَلِكَ وَعَلِمُوا مِقْدَارَ مَا ضَيَّعُوا وَبَقِيَ مَا فِيهِ قَرِطٌ نَدِمُوا
وَأَسِفُوا وَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ إِلَى الدُّنْيَا رَجَعُوا وَإِلَى حَالَتِهِمُ الْأُولَى رُدُّوا وَكُلٌّ عَلَى
حَالِهِ .

فَالَّذِي عَمِلَ صَالِحاً يَوَدُّ لَوْ رَجَعَ إِلَى الدُّنْيَا فَازْدَادَ مِنْ عَمَلِهِ الصَّالِحِ وَأَكْثَرَ
مِنْ مَتَجَرِّهِ الرَّابِحِ ، وَالْمَقْصَرُّ يَوَدُّ لَوْ رُدَّ فَاسْتَدْرَكَ مَا فَاتَ وَنَظَرَ فِيمَا قَرِطَ فِيهِ .

فَالْمُقَرِّطُ الْمُتَهَمِلُ بِالْجُمْلَةِ يَكُونُ تَمَنِّيهِ الرَّجُوعُ أَكْثَرَ وَحِرْصُهُ عَلَى الْإِقَالَةِ
أَشَدَّ كُلِّ يَتَكَلَّمُ عَنْ حَالِهِ وَيُخْبِرُ عَمَّا هُوَ فِيهِ حَتَّى قَالَ الشَّهِيدُ الَّذِي قُتِلَ فِي
سَبِيلِ اللَّهِ لَمَّا قِيلَ لَهُ مَا تَسْتَهِي قَالَ أَنِّ أَرْجِعُ إِلَى الدُّنْيَا فَأُقَاتِلُ فَأُقْتَلُ مَرَّةً أُخْرَى
وَذَلِكَ لِمَا يَرَى مِنْ فَضْلِ الشَّهَادَةِ .

وَقَالَ غَيْرُهُ ﴿ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ ﴾

وَقَالُوا : ﴿ يَا لَيْتَنَّا نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ﴾ .

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَا مِنْ مَيِّتٍ يَمُوتُ إِلَّا نَدِمَ . قَالُوا وَمَا نَدَامَتُهُ
يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ إِنْ كَانَ مُحْسِناً نَدِمَ أَنْ لَا يَكُونُ إِزْدَادَ وَإِنْ كَانَ مُسِيئاً نَدِمَ أَنْ
لَا يَكُونَ نَزْعُ » أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ .

وَيُرَوَّى أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى الْقُبُورِ وَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ ثُمَّ اضْطَجَعَ عَلَى شِقِّهِ فَنَامَ
فَرَأَى صَاحِبَ الْقَبْرِ فِي الْمَنَامِ فَقَالَ لَهُ يَا هَذَا إِنَّكُمْ تَعْمَلُونَ وَلَا تَعْلَمُونَ وَنَحْنُ
نَعْلَمُ وَلَا نَعْمَلُ وَلَنْ تَكُونَ كَعَتَاكَ فِي صَحِيفَتِي أَحَبَّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا
فِيهَا .

وَقَالَ بَعْضُ الصَّالِحِينَ مَاتَ أَخٌ لِي فِي اللَّهِ فَرَأَيْتُهُ فِي النَّوْمِ فَقُلْتُ لَهُ يَا فُلَانُ
مَا فَعَلَ اللَّهُ بِكَ عِشْتَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ قَالَ لِي لِأَنْ أَقْدِرَ يَعْنِي عَلَى أَنْ
أَقُولَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا ثُمَّ قَالَ : أَلَمْ تَرَ حَيْثُ
كَانُوا يَدْفَنُونِي فَإِنَّ فُلَانًا جَاءَ فَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ لِأَنْ أَكُونَ أَقْدِرُ عَلَى أَنْ أَصْلِيهِمَا
أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا .

أَلَا تَرَى رَحِمَكَ اللَّهُ إِلَى نَدَمِهِمْ عَلَى تَقْرِيطِهِمْ وَتَأْسُفِهِمْ عَلَى تَضْيِيعِهِمْ ،
نَدِمُوا وَاللَّهُ حَيْثُ لَا يَنْفَعُ النَّدَمُ وَطَلَبُوا مَا لَا يُمَكِّنُ ، وَسَأَلُوا فِيمَا لَا يَجُوزُ
عَلَى حَالِهِمْ ، وَلَمْ يُسْعَفُوا فِي سُؤَالِهِمْ وَبَقِيَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بِمَا هُوَ فِيهِ .

شِعْرًا مَكْتُوبٌ عَلَى قَبْرِ :

أُيْهَا الْمَاشِي بَيْنَ الْقُبُورِ	غَافِلًا عَنْ حَقِيقَةِ الْمَقْبُورِ
أَنَا مَيِّتٌ كَمَا تَرَانِي طَرِيحٌ	بَيْنَ أَطْبَاقِ رَضْمَةٍ وَصُخُورِ
أَذُنٌ مِنِّي أُنْبِئُكَ عَنِّي	وَلَا يُنْبِئُكَ عَنِّي مِثْلُ خَيْرِ
أَنَا فِي بَيْتِ غُرْبَةٍ وَانْفِرَادِ	مَعَ قُرْبٍ مِنْ جِيرَةٍ وَعَشِيرِ
لَيْسَ فِيهِ مُؤَيِّدٌ غَيْرُ سَعْيِي	مِنْ صَلَاحٍ سَعَيْتُهُ أَوْ فُجُورِ
وَكَذَا أَنْتَ فَاتَّعِظْ بِي وَإِلَّا	فَعَذِيرِي مِنْكَ الْعَدَاةَ عَذِيرِ

فَمَنْ رَأَى قَبْرًا فَإِنَّمَا رَأَى وَاعِظًا صَامِتًا يَعِظُهُ وَمُذَكِّرًا يُذَكِّرُهُ فَإِنْ كَانَ الْقَبْرُ
سَاكِنًا فَإِنَّهُ نَاطِقٌ وَوَاعِظٌ بِلِسَانِ الْحَالِ وَمُفْصِحٌ بِمَا يَكُونُ مِنْكَ فِي الْمَالِ فَكَأَنَّ
الَّذِي يُخَاطِبُكَ إِنْسَانٌ وَيُبَيِّنُ لَكَ عَاقِبَتَكَ وَيَقُولُ لَكَ يَا هَذَا كُنْتُ حَيًّا مِثْلَكَ
وَقَدْ مُتُّ وَكَذَلِكَ أَنْتَ تَمُوتُ فَتَاهِبُ .

تَضَرَّعُ إِلَى رَبِّ الْعِزَّةِ وَالْجَلَالِ :

يَا رَبِّ يَا مَنْ هُوَ الْعَلَامُ فِي الْأَزَلِ	بِالسِّرِّ وَالْجَهْرِ مِنْ قَوْلِي وَمِنْ عَمَلِي
كُنْتُ بِفَضْلِكَ قَلْبِي يَا رَحِيمُ وَجُدْ	لِي بِالرِّضَا وَاعْفُ يَا رَحْمَنُ عَنْ زَلْلِي
(جَرَّائِي لَسْتُ أُخْصِيهَا لِكَثْرَتِهَا	أَرْجُوكَ يَا سَيِّدِي عَنْهَا تَجَاوَزَ لِي
حَسْبِي رِضَاكَ وَلَا أَرْجُو سِوَاكَ وَلَا	أُخْصِي ثَنَاكَ وَإِلَيَّ فِيكَ ذُو أَمَلٍ)
خَلَقْتَنَا مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقٍ	وَسَوْفَ تَبْعَثُنَا لِلْمَوْقِفِ الْجَلِيلِ
ذُلِّي عَظِيمٌ وَقَلْبِي خَائِفٌ وَجِلٌّ	وَمِنْكَ يُرْجَى أَمَانُ الْخَائِفِ الْوَجِلِ

رَبِّ اكْفِنِي شَرَّ نَفْسِي وَاللَّعِينِ وَهَبْ
زَادَتْ عُيُوبِي فَأَمِّنْ رَوْعَتِي وَأَقِلْ
سَهْلُ بِفَضْلِكَ رِزْقِي وَاعْنِنِي أَبَدًا
شُغِلْتُ بِاللَّهُوِ عَنْ ذِكْرِ الْإِلَهِ وَلَكِ
صَبَابَتِي عَظُمَتْ إِذْ مُقِلَّتِي حُرِمْتُ
ضَيِّعْتُ عُمْرِي فِي لَهْوٍ وَفِي لَعِبٍ
أَرْجُوكَ عَفْوَكَ يَا مَنْ قَدْ تَنَزَّهَ عَنْ
ظَنِّي جَمِيلٌ بِهِ أَرْجُو النَّجَاةَ غَدًا
عَامَلْتَنِي مِنْكَ بِاللُّطَافِ وَالْمِنَّةِ
غَطَى الصَّدَا قَلْبِي الصَّادِي فَعَنَّهُ أَزِلْ
فَإِنَّ لِي فِيكَ ظَنًّا لَمْ يَزَلْ حَسَنًا

لِي تَوْبَةٌ وَاهْدِنِي قَبْلَ انْقِصَايَ أَجَلِي
يَا رَبَّنَا عَثَرْتِي وَانْظُرْ بِلُطْفِكَ لِي
عَنْ سَائِرِ الْخَلْقِ يَا مَنْ لَا يَزَالُ عَلَيَّ
كِنْ عَفْوُهُ يَرْتَجِيهِ كُلُّ مُبْتَهِلٍ
طِيبَ الْكَرَى وَنَمَّا يَا سَيِّدِي زَلَلِي
وَفِي قُتُورٍ وَفِي عَجَزٍ وَفِي كَسَلٍ
ضَيْدٍ وَنِدٍ وَعَنْ كَيْفٍ وَعَنْ مَثَلٍ
وَالْعَفْوَ عَنْ مَا مَضَى يَا مُنْتَهَى أَمَلِي
مُذْ كُنْتُ طِفْلًا وَمِنْكَ اللَّطْفُ لَمْ يَزَلْ
حَتَّى لِعَيْرِكَ يَا مَوْلَايَ لَمْ أَمِلْ
فَعَانِنِي مِنْ أَذَى الْأَسْقَامِ وَالْعِلَلِ

اللَّهُمَّ اخْتِمِ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ أَعْمَارَنَا وَحَقِّقْ بِفَضْلِكَ آمَالَنَا وَسَهِّلْ
لِلْبُلُوغِ رِضَاكَ سُبُلَنَا وَحَسِّنْ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ أَعْمَالَنَا يَا مُنْقِذَ الْغَرْقَى وَيَا
مُنْجِيَ الْهَلَكَى وَيَا دَائِمَ الْإِحْسَانِ إِذْقْنَا بَرْدَ عَفْوِكَ وَأَنْلْنَا مِنْ كَرَمِكَ وَجُودِكَ مَا تَقَرُّ
بِهِ عُيُونُنَا مِنْ رُؤْيَيْكَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
أَجْمَعِينَ .

فوائد ومواعظ وحكم وقصص

قال بعض العلماء رحمه الله من ملك من الدنيا شيئاً فتناوله وأمسكه ليقيم
به في حقوق الله تعالى فهو مأجور .

وإنما هرب منها من هرب لضعف قلبه وقلة يقينه خاف من نفسه أن يفتن

بِهَا وَتُصَيِّبُهُ خَلَاوَتُهَا وَأَفْرَاحُهَا حَتَّى تُلْهِمَهُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَأَمْرِهِ .

فَقَدْ حَذَّرَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ الْآيَةُ .

وَالصَّادِقُونَ أَنَّهُمْ حُبُّ اللَّهِ وَجَلَالُهُ وَعَظَمَتُهُ .

فَلَمْ يُلْهِمَهُمُ الْمَالُ لَأَنْ خَلَاوَةَ حُبِّ اللَّهِ غَالِبَةٌ عَلَى حُبِّ الْمَالِ .

وَمَنْ غَلَبَ عَلَى قَلْبِهِ عَظَمَةُ اللَّهِ وَجَلَالُهُ وَقُدْرَتُهُ لَمْ يَبْقَ لِلْمَالِ عَلَى قَلْبِهِ مِنَ السُّلْطَانِ مَا يَغْلِبُ عَلَى قَلْبِهِ مَا فِيهِ مِنْ عِلْمِهِ بِاللَّهِ وَعَظَمَتِهِ .

وَقَالَ آخِرُ : الْعَجَبُ أَنْ تَعْرِفَ اللَّهَ ثُمَّ لَا تُحِبُّهُ .

وَأَنْ تَسْمَعَ دَاعِيَهُ ثُمَّ تَتَأَخَّرَ عَنِ الْإِجَابَةِ .

وَأَنْ تُعْرِفَ قَدْرَ الرِّبْحِ فِي مُعَامَلَتِهِ ثُمَّ تُعَامِلَ غَيْرَهُ .

وَأَنْ تُلْزِقَ أَلَمَ الْوَحْشَةِ فِي مَعْصِيَتِهِ ثُمَّ لَا تَطْلُبُ الْأَنْسَ بِطَاعَتِهِ .

وَأَعْجَبُ مِنْ هَذَا عِلْمُكَ أَنَّكَ لَا بُدَّ لَكَ مِنْهُ ، وَأَنَّكَ أَحْوَجُ شَيْءٍ إِلَيْهِ وَفِيمَا يُبْعِلُكَ عَنْهُ رَاجِبٌ .

شِعْرًا :

بِأَفْلَاسِي وَذُلِّي وَائِفِرَادِي	أَتَيْتُ إِلَيْكَ يَا رَبُّ الْعِبَادِ
زَمَانًا مَا بَلَغْتُ بِهِ مُرَادِي	وَهَا أَنَا وَاقِفٌ بِالْبَابِ أَبْكِي
فَقَدْ بَعُدَ الطَّرِيقُ وَقَلَّ زَادِي	عَسَى عَفْوٌ يُبَلِّغَنِي الْأَمَانِي
وَفِيكَ تَأَلَّيْتُ وَبِكَ اعْتِمَادِي	فَأَنْتَ ذَخِيرَتِي وَبِكَ انْتِصَارِي
وَمِنْكَ عَلَى الْمَدَى حُسْنُ اعْتِقَادِي	وَمَا لِي حِيلَةٌ إِلَّا رَجَائِي
وَحَقُّكَ مَا أَحْوَلُ عَنِ الْوِدَادِ	وَلَوْ أَقْصَيْتَنِي وَقَطَعْتَ خَيْلِي

فَجَدَّ بِالْعَفْوِ يَا مَوْلَايَ وَارْحَمْ عُبَيْدًا ظَلَّ عَنْ طَرِيقِ الرَّشَادِ
وَقَدْ وَافَى بِبَابِكَ مُسْتَجِيرًا يَخَافُ مِنَ الْقَطِيعَةِ وَالْبِعَادِ
وَصَلَّ عَلَى النَّبِيِّ الْبَرِّ حَقًّا شَفِيعِ الْخَلْقِ فِي يَوْمِ الْمَعَادِ

قال بعضهم إِذَا اسْتَعْنَى النَّاسُ بِالْدُّنْيَا فَاسْتَعِنَ بِاللَّهِ وَإِذَا فَرَحُوا بِالْدُّنْيَا فَافْرَحْ
أَنْتَ بِاللَّهِ وَبِفَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ قَالَ تَعَالَى : ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ
فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ .

وَإِذَا أُنْسُوا بِأَحْبَابِهِمْ فَاجْعَلْ أَنْسَكَ بِاللَّهِ وَطَاعَتِهِ وَإِذَا تَعَرَّفُوا إِلَى مُلُوكِهِمْ
وَرُؤَسَائِهِمْ وَكُبَرَائِهِمْ وَتَقَرَّبُوا إِلَيْهِمْ لِيَنَالُوا بِهِمُ الْعِزَّةَ وَالرِّفْعَةَ فَتَعَرَّفْ أَنْتَ إِلَى
اللَّهِ وَتَوَدَّدْ وَتَضَرَّعْ إِلَيْهِ تَنَلْ غَايَةَ الْعِزَّةِ وَالرِّفْعَةَ .

مِنْ نَتَائِجِ الْمَعَاصِي قِلَّةُ التَّوْفِيقِ ، وَفَسَادُ الرَّأْيِ ، وَخَفَاءُ الْحَقِّ ، وَفَسَادُ
الْقَلْبِ ، وَعَمَى الْبَصِيرَةِ ، وَحُمُولُ الذِّكْرِ ، وَإِضَاعَةُ الْوَقْتِ ، وَنُفْرَةُ الْخَلْقِ ،
وَالْوَحْشَةُ مَعَ الرَّبِّ ، وَمَنْعُ إِجَابَةِ الدُّعَاءِ ، وَقَسْوَةُ الْقَلْبِ ، وَمَحْقُوقُ بَرَكَاتِ
الْعُمْرِ ، وَلِبَاسُ الدُّلَى ، وَضَيِّقُ الصَّدْرِ .

لَا تُحَدِّثْ مَنْ تَخَافُ تَكْذِيبَهُ وَلَا تَسْأَلْ مَا تَخَافُ مَنَعَهُ وَلَا تَعُدْ
مَا لَا تَمُكِّنُ مِنْ إِنْجَارِهِ وَلَا تَضْمَنْ مَا لَا تَثِيقُ بِالْقُدْرَةِ عَلَيْهِ وَلَا تُقَدِّمْ عَلَى أَمْرِ
تَخَافُ الْعَجْزَ عَنْهُ .

وتوكل على الله في كل أمورك .

لا تشاور مشغولاً وإن كان فطناً حازماً لا احتياجه إلى التفكير ،
ولا جائعاً وإن كان فهِماً لَوْذِعِياً ، ولا مُحْتَبَسَ الْبَوْلِ أَوْ الرِّيحِ أَوْ الْغَائِطِ ،
ولا خائفاً وإن كان ناصحاً ، ولا مَهْمُوماً وإن كان فطناً لَأَنَّ هَؤُلَاءِ أَفْكَارُهُمْ
عَلَيْهَا تَشْوِيشٌ .

لا تُجَالِسْ إِلَّا الْعُقَلَاءَ الْعُلَمَاءَ فَإِنَّ الْعُقُولَ تُلْقِحُ الْعُقُولَ وَانْظُرْ إِلَى مَنْ تَشْتَوُا
عِنْدَ النِّسَاءِ وَالسُّفَهَاءِ وَالْعَوَامِ ، وَقَارِنْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَنْ تَشْتَوُا عِنْدَ الْعُلَمَاءِ وَطَلَبَةِ
الْعِلْمِ ، تَجِدُ بَيْنَهُمْ بُؤْنَ كَمَا بَيْنَ الْحَرَكََةِ وَالسُّكُونِ .

قال بعضُ العلماءِ مُجَالِسةُ الْعُقَلَاءِ لَا تَخْلُو مِنْ أَحَدٍ مَعْنِيَيْنِ إِمَّا تُذَكِّرُ
الْحَالَةَ الَّتِي يَحْتَاجُ الْعَاقِلُ إِلَى الْإِثْبَاهِ لَهَا ، أَوْ الْإِفَادَةَ بِالشَّيْءِ الْخَطِيرِ الَّذِي
يَحْتَاجُ الْإِنْسَانُ إِلَى مَعْرِفَتِهِ .

وسُئِلَ آخَرُ : أَيُّ الرِّجَالِ أَفْضَلُ ؟ فقال : مَنْ إِذَا حَاوَرْتَهُ وَجَدْتَهُ
حَكِيمًا ، وَإِذَا غَضِبَ كَانَ حَلِيمًا ، وَإِذَا ظَفِرَ كَانَ كَرِيمًا ، وَإِذَا اسْتَمْنَحَ مَنَحَ
جَسِينًا ، وَإِذَا وَعَدَ وَفَى ، وَإِنْ كَانَ الْوَعْدُ عَظِيمًا ، وَإِذَا شَكِيَ إِلَيْهِ وَجِدَ
رَحِيمًا .

مَوْعِظَةٌ

اخْوَانِي انْكُم فِي دَارٍ هِيَ مَحَلُّ الْعِبَرِ وَالْآفَاتِ ، وَأَنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَالطَّرِيقُ
كَثِيرَةُ الْمَخَافَاتِ ، فَتَرَوُّدُوا مِنْ دُنْيَاكُمْ قَبْلَ الْمَمَاتِ ، وَتَذَارَكُوا هَفْوَاتِكُمْ قَبْلَ
الْفَوَاتِ ، وَحَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ وَرَاقِبُوا اللَّهَ فِي الْخُلُوتِ ، وَتَفَكَّرُوا فِيمَا أَرَاكُمْ مِنْ
الْآيَاتِ ، وَبَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ ، وَاسْتَكْبِرُوا فِي أَعْمَارِكُمُ الْقَصِيرَةِ مِنْ
الْحَسَنَاتِ ، قَبْلَ أَنْ يُنَادِيَ بِكُمْ مُنَادِ الشَّتَاتِ ، قَبْلَ أَنْ يُفَاجِعَكُمْ هَادِمُ اللَّذَاتِ ،
قَبْلَ أَنْ يَتَصَاعَدَ مِنْكُمْ الْأَنْبِيْنُ وَالزَّفَرَاتُ قَبْلَ أَنْ تَنْقَطِعَ قُلُوبُكُمْ عِنْدَ فِرَاقِكُمْ حَسَرَاتِ ،
قَبْلَ أَنْ يَغْشَاكُمْ مِنْ غَمِّ الْمَوْتِ الْعَمَرَاتُ ، قَبْلَ أَنْ تُزْعَجُوا مِنْ هَذِهِ الْحَيَاةِ قَبْلَ
أَنْ تَتَمَنَّوْا رُجُوعَكُمْ إِلَى الدُّنْيَا وَهِيَ هَاتِ .

شعرا :

مَا دَارُ دُنْيَاً لِلْمُقِيمِ بِدَارٍ وَبِهَا النُّفُوسُ فَرِيسَةُ الْأَقْدَارِ

مَا يَبْنِي لَيْلٍ عَاكِفٍ وَنَهَارِهِ
طُولُ الْحَيَاةِ إِذَا مَضَى كَقَصِيرِهَا
وَالْعَيْشُ يَعْقِبُ بِالْمَرَارَةِ حُلُوهُ
وَكَأَنَّمَا تَقْضِي بُنْيَاتُ الرَّدَى
وَالْمَرْءُ كَالطَّيْفِ الْمُطِيفِ وَعُمْرُهُ
خَطْبٌ تَضَاءَلَتْ الْخَطُوبُ لَهُوْلِهِ
نَلْقَى الصَّوَارِمَ وَالرَّمَاخَ لَهُوْلِهِ
إِنَّ الَّذِينَ بَنَوْا مَشِيدًا وَائْتَنَوْا
سَلْبُوا النَّصَارَةَ وَالنَّعِيمَ فَاصْبَحُوا
تَرَكُوا دِيَارَهُمْ عَلَى أَعْدَائِهِمْ
خَلَطَ الْحِمَامُ قَوِيَهُمْ بِضَعِيفِهِمْ
وَالْخَوْفُ يُعْجِلُنَا عَلَى آثَارِهِمْ
وَتَعَاقَبُ الْمَلَوَيْنِ فِينَا نَائِرٌ
نَفْسَانِ مُرْتَشِفَانِ لِلْأَعْمَارِ
وَالْيُسْرُ لِلْأُنْسَانِ كَالْإِعْسَارِ
وَالصَّفْوُ فِيهِ مُحَلَّفُ الْأَكْدَارِ
لِفَنَائِنَا وَطَرًّا مِنَ الْأَوْطَارِ
كَالنَّوْمِ بَيْنَ الْفَجْرِ وَالْأَسْحَارِ
أَخْطَارُهُ تَعْلُو عَلَى الْأَخْطَارِ
وَنَلُودُ مِنْ حَرْبٍ إِلَى اسْتِشْعَارِ
يَسْعَوْنَ سَعْيَ الْفَاتِكِ الْجَبَّارِ
مُتَوَسِّدِينَ وَسَائِدَ الْأَحْجَارِ
وَتَوَسَّدُوا مَدْرًا بِغَيْرِ دَنَارِ
وَعَنِيَهُمْ سَاوَى بَذِي الْأَقَارِ
لَا بُدَّ مِنْ صُبْحِ الْمُجِدِّ السَّارِي
بَأَكْرَ مَا نَظَّمَا مِنَ الْأَعْمَارِ

ثُمَّ إِعْلَمَ يَا أَخِي أَنَّ الدُّنْيَا لَا تَذُمُّ لِذَاتِهَا وَكَيْفَ يُذَمُّ مَا مَنَّ اللَّهُ بِهِ عَلَى عِبَادِهِ
وَمَا هُوَ ضَرُورَةٌ فِي بَقَاءِ الْآدَمِيِّ وَسَبَبٌ فِي إِعَانَتِهِ عَلَى تَحْصِيلِ الْعِلْمِ وَالْعِبَادَةِ
مِنْ مَطْعَمٍ وَمَشْرَبٍ وَمَلْبَسٍ وَمَسْجِدٍ يُصَلِّي فِيهِ وَإِنَّمَا الْمَذْمُومُ أَخْذُ الشَّيْءِ مِنْ
غَيْرِ جِلِّهِ أَوْ تَنَاوُلُهُ عَلَى وَجْهِ السَّرْفِ لَا عَلَى مِقْدَارِ الْحَاجَةِ وَيُصَرِّفُ النَّفْسَ
فِيهِ بِمُقْتَضَى رُغَوَاتِهَا لَا بِإِذْنِ الشَّرْعِ فَالْعَاقِلُ يَجْعَلُهَا مَطِيَّةً لِلْآخِرَةِ فَيَنْفِقُهَا فِي
سَبِيلِ اللَّهِ فِي الْمَشَارِيعِ الدِّينِيَّةِ مِنْ طِبَاعَةِ مَصَاحِفَ وَكُتُبِ دِينِيَّةٍ وَعِمَارَةِ مَسَاجِدَ
وَبَذْلِ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ لَا مَوَارِدَ لَهُمْ وَتَفَقَّاتٍ عَلَى طَلَبَةِ الْعِلْمِ الشَّرْعِيِّ .

وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمَعَ رَجُلًا يَسُبُّ الدُّنْيَا فَقَالَ
لَهُ : إِنَّهَا لَدَارُ صِدْقٍ لِمَنْ صَدَّقَهَا ، وَدَارُ عَافِيَةٍ لِمَنْ فَهَمَ عَنْهَا ، وَدَارُ غِنَى لِمَنْ
تَزَوَّدَ مِنْهَا .

مَسْجِدُ أَحْبَابِ اللَّهِ ، وَمَهَبْتُ وَحْيِهِ وَمُصَلَّى مَلَائِكَتِهِ وَمَتَجَرُّ أَوْلِيَائِهِ .
اِكْتَسَبُوا فِيهَا الرَّحْمَةَ وَرَبِحُوا فِيهَا الْجَنَّةَ ، فَمَنْ ذَا يَذُمُّ الدُّنْيَا وَقَدْ آذَنْتْ
بِفِرَاقِهَا ، وَنَادَتْ بِعَيْبِهَا ، وَنَعَتْ نَفْسَهَا وَأَهْلَهَا ، فَمَثَلْتُ بِيَلَايِهَا وَشَوْقَتْ
بِسُرُورِهَا إِلَى أَهْلِ السُّرُورِ .

فَذَكَّرْتُهَا قَوْمَ عِنْدِ النَّدَامَةِ وَمَدَحَهَا آخِرُونَ ، حَدَّثْتُهُمْ فَصَدَقُوا وَذَكَّرْتُهُمْ
فَذَكَّرُوا .

فِيهَا أَيُّهَا الْمُعْتَرُّ بِالدُّنْيَا الْمُعْتَرُّ بِغُرُورِهَا ، مَتَى اسْتَلَأَمْتُ إِلَيْكَ الدُّنْيَا ، بَلِ
مَتَى غَزَتْكَ أَيْمَضَايِجُ آبَائِكَ تَحْتَ الثَّرَى ، أَمْ بِمَصَارِعِ أُمَّهَاتِكَ مِنَ الْبَلَى .
كَمْ قَلْبْتُ بِكَفَيْكَ وَمَرَضْتُ بِيَدِكَ تَطْلُبُ لَهُ الشِّفَاءَ وَتَسْأَلُ لَهُ الْأَطِبَاءَ فَلَمْ
تُظْفَرْ بِحَاجَتِكَ وَلَمْ تُسْعَفْ بِطَلْبِكَ قَدْ مَثَلْتَ لَكَ الدُّنْيَا بِمَصْرَعِهِ مَصْرَعَكَ
عَدَاً وَلَا يُغْنِي عَنْكَ بُكَاءُكَ وَلَا يَنْفَعُكَ أَحْبَابُكَ .

وَقَالَ ابْنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَى كَلَامِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .
فَبَيَّنَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ الدُّنْيَا لَا تُدَمُّ مُطْلَقًا وَأَنَّهَا تُحْمَدُ بِالنِّسْبَةِ
إِلَى مَنْ تَزُودُ مِنْهَا الْأَعْمَالُ الصَّالِحَةُ وَأَنَّ فِيهَا مَسَاجِدَ الْأَنْبِيَاءِ وَمَهَبْتُ الْوَحْيَ .
وَهِيَ دَارُ التِّجَارَةِ لِلْمُؤْمِنِينَ اِكْتَسَبُوا فِيهَا الرَّحْمَةَ وَرَبِحُوا بِهَا الْجَنَّةَ فَهِيَ نِعَمَ
الدَّارِ لِمَنْ كَانَتْ هَذِهِ صِفَتُهُ .

وَأَمَّا مَا ذُكِرَ مِنْ أَنَّهَا تَغُرُّ وَتَحْدَعُ فَإِنَّهَا تُنَادِي بِمَوَاعِظِهَا وَتَنْصَحُ بِعِبَرِهَا
وَتُبْدِي عُيُوبَهَا بِمَا تُرَى مِنْ أَهْلِهَا مِنْ مَصَارِعِ الْهَلَكَى .

وَتَقْلِبُ الْأَحْوَالَ مِنَ الصَّحَّةِ إِلَى السُّقْمِ وَمِنَ الشَّيْبَةِ إِلَى الْهَرَمِ وَمِنَ الْغِنَى
إِلَى الْفَقْرِ وَمِنَ الْبُزْ إِلَى الدُّلِّ وَلَكِنْ مُحِبُّهَا قَدْ أَعْمَاهُ وَأَصَمَّهُ حُبُّهَا . انتهى اهـ .

وقال بعضُ العلماء :

إِعْلَمْ أَنَّ الدُّنْيَا عِبَارَةٌ عَنْ كُلِّ مَا يَشْعُلُ عَنْ اللَّهِ قَبْلَ الْمَوْتِ ، فَكُلَّمَا لَكَ فِيهِ حَظٌّ وَغَرَضٌ وَنَصِيبٌ وَشَهْوَةٌ وَلَذَّةٌ فِي عَاجِلِ الْحَالِ قَبْلَ الْوَفَاةِ فِيهِ الدُّنْيَا .
وَلَيْسَ كُلُّ ذَلِكَ مَذْمُومٌ بَلِ الْمَذْمُومُ الْمُنْهِي عَنْ مَحَبَّتِهِ هُوَ كُلُّ مَا فِيهِ حَظٌّ عَاجِلٌ وَلَا ثَمَرَةٌ لَهُ فِي الْآخِرَةِ .

وَإِذَا سَمِعْتَ بِذِمِّ الدُّنْيَا فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ رَاجِعاً إِلَى زَمَانِهَا الَّذِي هُوَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ الْمُتَعاقِبَانِ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ .

فَإِنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى جَعَلَهُمَا خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذْكُرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا .
وَلَيْسَ الذِّمُّ رَاجِعاً إِلَى مَكَانِ الدُّنْيَا وَهُوَ الْأَرْضُ وَلَا إِلَى مَا أُثْبِتَهُ اللَّهُ فِيهَا مِنَ الشَّجَرِ وَالزَّرْعِ .

فَإِنْ ذَلِكَ كُلُّهُ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ لِمَا لَهُمْ فِيهِ مِنَ الْمَنَافِعِ وَالْمَصَالِحِ وَالْإِعْتِبَارِ وَالِاسْتِدْلَالِ بِذَلِكَ عَلَى وَحْدَانِيَةِ اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ وَعَظَمَتِهِ وَحِكْمَتِهِ وَرَحْمَتِهِ بِعِبَادِهِ .

قَالَ جَلَّ وَعَلَا : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ﴾ وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ ﴾ .

وَإِنَّمَا الْمَذْمُومُ أَفْعَالُ بَنِي آدَمَ مِنَ الْمَعَاصِي الْكِبَائِرِ وَالصَّغَائِرِ كَالشِّرْكِ وَتَرْكِ الصَّلَاةِ وَتَرْكِ الزَّكَاةِ أَوْ الصَّوْمِ أَوْ الْحَجِّ وَكَالْكَذْبِ عَلَى اللَّهِ أَوْ عَلَى رَسُولِهِ أَوْ كَرَاهَةِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ أَوْ قَتْلِ نَفْسٍ بَغِيرِ حَقِّ أَوْ ظَلَمِ أَوْ شَهَادَةِ زُورٍ وَكَذَا الْكَبِيرِ وَالْحَسَدِ وَنَحْوِ ذَلِكَ .

شِعْرًا :

مَنْ يَذُمُّ الدُّنْيَا فَإِنِّي
 وَعَظَّمْنَا بِكُلِّ شَيْءٍ لَوَانَا
 نَصَحْتَنَا فَلَمْ تَرَ النُّصْحَ نُصْحًا
 أَغْلَمْتَنَا أَنَّ الْمَالَ يَقِينًا
 كَمْ رَأَيْنَا مَصْرَعَ الْأَهْلِ وَالْ
 وَلَكَمْ مُهْجَةً بَزَهَرَتْهَا اغْدِ
 أَتْرَاهَا أَبْقَتْ عَلَى سَبِيلٍ مِنْ
 يَوْمٍ بُؤْسٍ لَهَا وَيَوْمٍ رَخَاءٍ
 وَتَيَقَّنْ زَوَالَ ذَاكَ وَهَذَا
 دَارَ زَادٍ لِمَنْ تَزَوَّدَ مِنْهَا
 مَهْطُ الْوَحْيِ وَالْمُصَلَّى الَّتِي كَمْ
 مَتَجَّرُ الْأَوْلِيَاءِ قَدْ رَبَّحُوا الِ
 رَغَبْتَ ثُمَّ رَهَبْتَ لِإِيرَى كُ
 فَإِذَا أَنْصِفْتَ تَعَيَّنَ أَنْ يُثْ

بِطَرِيقِ الْإِنْصَافِ أَتْنِي عَلَيْهَا
 حِينَ جَادَتْ بِالْوَعْظِ مِنْ مُصْطَفِيهَا
 حِينَ أَبَدْتُ لِأَهْلِهَا مَا لَدَيْهَا
 لِلْبَلَى حِينَ جَدَّدْتُ عَصْرِيهَا
 أَحْبَابٍ لَوْ نَسْتَفِيقُ بَيْنَ يَدَيْهَا
 سَرَّتْ فَأَدُمْتُ نَدَامَةً كَفَيْهَا
 قَبْلُنَا حِينَ بَدَلْتُ جَنَّتِيهَا
 فَتَزَوَّدَ مَا شِئْتَ مِنْ يَوْمِيهَا
 تَسْلُ عَنْ مَا تَرَاهُ مِنْ حَادِثِيهَا
 وَغُرُورٍ لِمَنْ يَمِيلُ إِلَيْهَا
 عَفَّرْتُ صُورَةَ بِهَا خَلْدِيهَا
 حَنَّةً فِيهَا وَأَوْرِدُوا عَيْنِيهَا
 لَلْ لَيْبِ عُقْبَاهُ مِنْ حَالَتِيهَا
 نَبِيَّ عَلَيْهَا الْبَارُّ مِنْ وَلَدِيهَا

اللَّهُمَّ يَا مَنْ لَا تُضُرُّهُ الْمَعْصِيَةُ وَلَا تَنْفَعُهُ الطَّاعَةُ أَيْقِظْنَا مِنْ نَوْمِ الْغَفْلَةِ وَنَبِّهْنَا
 لَا غَتَمًا أَوْقَاتِ الْمُهْلَةِ وَوَقِّفْنَا لِمَصَالِحِنَا وَاعْصِمْنَا مِنْ قَبَائِحِنَا وَلَا تَوَاجِدْنَا بِمَا
 انْطَلَوْتَ عَلَيْهِ ضَمَائِرُنَا وَأَكْنَنَتْهُ سَرَائِرُنَا مِنْ أَنْوَاعِ الْقَبَائِحِ وَالْمَعَائِبِ الَّتِي تَعْلَمُهَا
 مِتْنَا ، وَامْنُنْ عَلَيْنَا يَا مَوْلَانَا بِتَوْبَةٍ تَمْحُو بِهَا عَنْ كُلِّ ذَنْبٍ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا
 وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ
 عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وَإِنْ تُبْذَرُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تَخَفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ ﴾ قِيلَ إِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ أَعْظَمُ آيَةٍ فِي الْمَوْأَخَذَةِ .

وَلَمَّا نَزَلَتْ بِكَى عَبْدُ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَرْحَمُ اللَّهُ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ : ﴿ لَا يَكْلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وَسْعَهَا ﴾ .

قال بعضُ الزهاد لا يكون العبد من المتقين حتى يُحَاسِبَ نَفْسَهُ أَشَدَّ مِنْ مُحَاسَبَةِ الشَّرِيكِ لِشَرِيكِهِ وَالشَّرِيكَانِ يَتَحَاسَبَانِ بَعْدَ الْعَمَلِ .

وقال الحسنُ المؤمنُ قَوَّامٌ عَلَى نَفْسِهِ يُحَاسِبُهَا اللَّهُ تَعَالَى وَإِنَّمَا خَفَ الْحَسَابُ عَلَى قَوْمٍ حَاسِبُوا أَنْفُسَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّمَا شَقَّ الْحَسَابُ عَلَى قَوْمٍ أَخَذُوا هَذَا الْأَمْرَ مِنْ غَيْرِ مُحَاسَبَةٍ . وَفِي حَدِيثٍ طَلَحَهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ لَمَّا شَغَلَهُ الطُّيْنُ فِي صَلَاتِهِ فَتَدَبَّرَ شُغْلُهُ .

فَجَعَلَ حَاطَطُهُ صَدَقَةً لِلَّهِ تَعَالَى نَدْمًا وَرَجَاءً لِلْعَوَاضِ مِمَّا فَاتَهُ وَتَأْدِيبًا لِنَفْسِهِ .

المهم أن يعلم العبد أن أعدى عدو له نفسه التي بينَ جَنَبَيْهِ وَقَدْ خُلِقَتْ أَمَارَةٌ بِالسُّوءِ أَمَارَةٌ بِالْشَّرِّ قَرَارَةٌ مِنَ الْخَيْرِ .

وَالْإِنْسَانُ مَأْمُورٌ بِتَرْكِهَا وَتَقْوِيمِهَا وَقَوْدِهَا بِسَلْسِلِ الْعَبْرِ إِلَى عِبَادَةِ رَبِّهَا وَخَالِقِهَا وَمَنْعِهَا عَنْ لَذَاتِهَا وَشَهَوَاتِهَا الْمُهْلِكَةِ .

فَإِنْ أَهْمَلَهَا شَرَّدَتْ وَجَمَحَتْ وَلَمْ يَظْفَرْ بِهَا بَعْدَ ذَلِكَ وَإِنْ لَازَمَهَا بِالتَّوْبِخِ وَالتَّقْرِيعِ وَالْمُعَابَةِ وَالْعَذْلِ وَالْمَلَامَةِ وَلَمْ يَعْمَلْ عَنْ تَذْكِيرِهَا وَعِتَابِهَا اعْتَدَلَتْ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى .

وَالنَّفْسُ كَالْطِفْلِ إِنْ تُمِهِّلَهُ شَبَّ عَلَى حُبِّ الرِّضَاعِ وَإِنْ تُفْطِمُهُ يَنْفَطِمِ .

ثم يقول لنفسه فمالك تفرحين وتضحكين وتشتغلين باللهو وأنت مطلوبة
لهذا الأمر العظيم والخطب الجسيم ، وبين يديك إحدى منزلتين الجنة أو النار
فكيف يهنؤك نوم أو يلد لك مأكول أو مشروب وأنت لا تدرين في أي الفريقين
تكونين ﴿ فريق في الجنة وفريق في السعير ﴾ .

وكيف تنام العين وهي قريرة ولم تدر في أي المكانين تنزل
وقل لها أما تعلمين أن كل ما هو آت قريب وأن البعيد ما ليس آت .
أما تعلمين أن الموت يأتي بغتة من غير تقديم رسول ومن غير موعدة
وأنة لا يأتي في شتاء دون صيف ولا في صيف دون شتاء ولا في نهار دون ليل
ولا في ليل دون نهار ولا يأتي في الصبا دون الكبر ولا في الكبر دون الصبا .
بل كل نفس يمكن أن يأتيها الموت بغتة فإن لم يأت الموت بغتة
جاء المرض لا محالة ثم المرض يقضي إلى الموت فمالك يا نفس لا تستعدين
والموت أقرب إليك من حبل الوريد .

فهكذا معاملة الزهاد والعباد في توبيخ أنفسهم وعتابها فإن مطلبهم من
المناجاة الاسترضاء ومقصودهم من المعاتبة التنبيه والاسترعاء .
فمن أهمل معاتبة نفسه وتوبيخها وأهمل مناجاتها لم يكن لنفسه مراعيًا
فنسأل الله العظيم الحي القيوم معرفة حقيقة بأحوال أنفسنا وغرورها .

شعرا تضرع إلى الله جل جلاله :

أثيبتك راجياً إذا الجلال	ففرج ما ترى من سوء حالي
عصيتك سيدي ويلي بجهلي	وعيب الذنب لم يحط ببالِي
إلى من يشتكي المملوك إلا	إلى مولاه يا مولى الموالِي
لعمري ليت أمي لم تلدني	ولم أغضبك في ظلم اللبالي
فها أنا عبدك العصي فقير	إلى رحمك فاقبل لي سوالي

فَإِنْ عَاقَبْتَ يَا رَبِّي تُعَاقِبْ مُحِقاً بِالْعَذَابِ وَيَا لَتَكْأَلِ
 قَالَ بَعْضُهُمْ كَيْفَ يَسْلَمُ مَنْ لَهُ زَوْجَةٌ لَا تَرْحَمُهُ ، وَوَلَدٌ يَعْقُهُ وَلَا يَعْذُرُهُ ،
 وَجَارٌ سُوءٌ لَا يَأْمَنُهُ ، وَصَاحِبٌ مُتَمَلِّقٌ لَا يَنْصَحُهُ ، وَشَرِيكٌ لَا يَنْصِفُهُ ،
 وَعَدُوٌّ حَسُودٌ لَا يَهْدُوٌّ عَنْ عَدَاوَتِهِ وَأَذِيَّتِهِ .

وَنَفْسٌ أَمَارَةٌ بِالسُّوءِ وَتَنْهَى عَنِ الْخَيْرِ ، وَدُنْيَا مُتَزَيِّنَةٌ ، وَهَوًى مُهْلِكٌ ،
 وَشَهْوَةٌ غَالِبَةٌ لَهُ ، وَغَضَبٌ قَاهِرٌ ، وَشَيْطَانٌ مُعْوِيٌّ مُزَيِّنٌ لَهُ الْمَعَاصِي وَضَعْفٌ
 مُسْتَوِلٌ عَلَيْهِ .

فَإِنْ تَوَلَّاهُ اللَّهُ وَلَطَفَ بِهِ وَانْقَذَهُ انْقَهَرَتْ لَهُ هَذِهِ كُلُّهَا وَإِنْ تَحَلَّى عَنْهُ
 وَوَكَّلَهُ إِلَى نَفْسِهِ اجْتَمَعَتْ عَلَيْهِ وَأَهْلَكَتُهُ .

يَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ يُحَاسِبَ نَفْسَهُ كُلَّ لَيْلَةٍ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ وَيَنْظُرَ مَا
 كَسَبَ فِي يَوْمِهِ مِنْ حَسَنَةٍ فَيَحْمَدُ اللَّهَ وَيَشْكُرُهُ عَلَيْهَا .

وَمَا اكْتَسَبَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَيَتُوبُ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُ مِنْهَا وَيُهِئُ نَفْسَهُ وَيُرْتَّبُ
 أَعْمَالُهُ الْمُسْتَقْبِلَةَ وَيَجْتَهِدُ فِي أَنْ تَكُونَ أَوْقَاتُهُ كُلُّهَا مُسْتَعْرِقَةً فِي طَاعَةِ اللَّهِ عَزَّ
 وَجَلَّ وَيُكْثِرُ سُؤَالَ اللَّهِ الْإِعَانَةَ وَالتَّوْفِيقَ وَالتَّسْدِيدَ إِنَّهُ الْقَادِرُ عَلَى ذَلِكَ .

شِعْرًا :

لَيْلِكَ عَلَى الشَّيْبَةِ مَنْ بَكَاهَا	كَمَا أَبْكِي عَلَيْهَا مِلءَ جَفْنِي
وَمَنْ يَكُ بَاتَ ذَا حُزْنٍ عَلَيْهَا	فَمِثْلِي فَلَيْتَ فِي فَرْطِ حُزْنٍ
وَمَنْ يَكُ سَالِيًا يَوْمًا فَإِنِّي	قَطَعْتُ غَلَائِقَ السُّلُوفِ عَنِّي
عَجِبْتُ لِبَاكِ رَسْمًا لِلدَّارِ	عَفْتُ آثَارَهَا أَوْ سِيرَ ظَلَمِي
وَيَتْرُكُ نَفْسَهُ يَبْكِي عَلَيْهَا	وَقَدْ جُبِلَتْ عَلَى ضَعْفٍ وَوَهْنٍ

وَقَدْ صَاحَ الْحِمَامُ بِهَا أَجِيْبِي إِلَامَ وَفِيْمَ وَيَلِكُ ذَا التَّائِي
وَمِنْ بَعْدِ الْحِمَامِ لَهُ حَدِيثٌ يُرِيهِ مِنَ الْعَجَائِبِ كُلِّ فَنِ
حَدِيثٌ مَا حَدِيثٌ مَا حَدِيثٌ يُبَيِّنُ لَهُ الْيَقِيْنَ مِنَ التَّظَنِّي
وَعُمَرُ يَنْقُضِي فِي غَيْرِ شَيْءٍ وَلَكِنْ فِي الْمُحَالِ مِنَ التَّمَنِّي
وَيَعْدُلْنِي إِذَا أَرْسَلْتُ دَمْعًا عَلَى وَجَنَاتِ ذِي حُسْرِ وَغَبْنِ
أَلَا يَا صَاحِ وَالْبَلَوَى ضُرُوبٌ وَدَعْتُكَ لِلَّذِي تَهْوَى فَدَعْنِي
إِذَا أَنَا لَمْ أَهْلِكْ ذَهَابَ عُمْرِي فَمَنْ هَذَا الَّذِي يَنْكِيه عَنِّي

اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا لِصَالِحِ الْأَعْمَالِ ، وَنَجِّنَا مِنْ جَمِيعِ الْأَهْوَالِ ، وَأَمِّنَّا مِنَ الْفَزَعِ
الْأَكْبَرِ يَوْمَ الرَّجْفِ وَالزَّلْزَالِ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَلَدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ
مَنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ
أَجْمَعِينَ .

فصل

وَمِنْ غُيُوبِ النَّفْسِ حِرْصُهَا عَلَى عِمَارَةِ الدُّنْيَا وَالتَّكْثُرِ مِنْهَا .
وَمُدَاوَاهُهَا أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ الدُّنْيَا لَيْسَتْ بِدَارِ قَرَارٍ ، وَأَنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ
وَالْعَاقِلُ مَنْ يَعْمَلُ لِدَارِ قَرَارِهِ لَا لِمَرَاجِلِ سَفَرِهِ إِلَّا بِقَدْرِ مَا يَتَزَوَّدُ بِهِ لِلدَّارِ
الْآخِرَةِ .

قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا : ﴿ اذْكُرُوا أَنَّمَا أَلْهَيْتُمُ الدُّنْيَا لَٰعِبٌ وَلَٰهٖ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ
بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ﴾ وَلَٰنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ : ﴿ وَالْآخِرَةُ
خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ .

وَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴾ وَقَالَ : ﴿ وَإِنَّ
الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهي الْحَيَٰوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ .

وَمِنْ غُيُوبِ النَّفْسِ كَثْرَةُ الذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي إِلَى أَنْ يَقْسَى الْقَلْبُ ،
وَعِلَاجُهَا كَثْرَةُ ذِكْرِ اللَّهِ وَالِاسْتِغْفَارِ ، وَالتَّوْبَةُ فِي كُلِّ وَقْتٍ ، وَمُدَاوَمَةُ
التَّهَجُّدِ ، وَالصَّيَامِ وَمُجَالَسَةِ الصَّالِحِينَ ، وَحُضُورُ مَجَالِسِ الذِّكْرِ .

وَمِنْ غُيُوبِهَا سُرُورُهَا بِمَدْحِهَا وَطَلَبُهَا الرَّاحَةَ ، وَهِيَ مِنْ نَتَائِجِ الْعَفْلَةِ .
وَعِلَاجُهَا التَّيَقُّظُ لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَعِلْمُهَا بِتَقْصِيرِهَا فِيمَا أَمَرَتْ بِهِ وَارْتِكَابُهَا
مَا نُهِى عَنْهُ وَتَوَطُّينُهَا بِأَنَّ الدُّنْيَا لَا سُرُورَ فِيهَا وَلَا رَاحَةَ .

وَأَنَّهَا سَجَنٌ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ
الْكَافِرِ » فَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ عَيْشُهُ فِيهَا عَيْشَ الْمَسْجُونِينَ .

وَمِنْ غُيُوبِهَا الْإِعْجَابُ بِطَاعَاتِهَا وَالْمُنَّةُ بِهَا وَنِسْيَانُ الْمُنْقَصَاتِ لِلْأَعْمَالِ
وَمُدَاوَاتُهَا أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ أَعْمَالَهَا وَإِنْ أَخْلَصَتْهَا فِيهِ مَعْلُولَةٌ بِأَنَّ أَعْمَالَهَا لَا تَخْلُو مِنْ
الْعِلَالِ ، وَعَلَيْهِ أَنْ يَعْمَلَ فِي إِسْقَاطِ رُؤْيَا اسْتِحْسَانِهِ مِنْ أَعْمَالِهَا .

وَمِنْ غُيُوبِهَا قِلَّةُ الْإِعْتِبَارِ بِمَا يَرَاهُ مِنَ امْهَالِ اللَّهِ إِيَّاهُ فِي ذُنُوبِهِ ، وَمُدَاوَاتِهَا
دَوَامُ الْخَشْيَةِ وَأَنْ يَعْلَمَ أَنَّ ذَلِكَ الْإِمْهَالَ لَيْسَ بِإِمْهَالٍ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى مُسَائِلُهُ .

شعرا :

فِيَا رَبِّ إِنَّ الْعَبْدَ يُخْفِي غُيُوبَهُ فَاسْتُرْ بِحِلْمِكَ مَا بَدَأَ مِنْ عَيْبِهِ
وَلَقَدْ أَتَاكَ وَمَالُهُ مِنْ شَافِعٍ لِذُنُوبِهِ فَاقْبَلْ شَفَاعَةَ شَيْبِهِ

وَمِنْ غُيُوبِ النَّفْسِ الْعَفْلَةُ وَالتَّسْوِيفُ وَالتَّوَانِي وَالْإِصْرَارُ ، وَتَقَرُّبُ
الْأَمَلِ ، وَتَبْعِيدُ الْأَجَلِ ، وَمُدَاوَاتُهَا بِتَوِيَّةٍ تَحِلُّ الْإِصْرَارَ وَخَوْفٍ يُزِيلُ
التَّسْوِيفَ وَرَجَاءٍ يَبْعَثُ عَلَى قَصْدِ مَسَالِكِ الْعَمَلِ وَذِكْرِ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ عَلَى
اِخْتِلَافِ الْأَوْقَاتِ وَإِهَاتَةِ النَّفْسِ بِتَقَرُّبِهَا مِنَ الْأَجَلِ وَبُعْدِهَا عَنِ الْأَمَلِ .

وَمِنْ عُيُوبِ النَّفْسِ رُؤْيُهَا الشَّفَقَةَ عَلَيْهَا وَمُدَاوَاتُهَا رُؤْيَةَ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْهِ فِي
جَمِيعِ الْأَحْوَالِ .

وَمِنْ عُيُوبِ النَّفْسِ تَأْلُفُ الْخَوَاطِرِ الرَّدِيئَةِ فَتُسْتَحْكِمَ عَلَيْهَا الْمَخَالَفَاتِ .
وَمُدَاوَاتُهَا رَدُّ تِلْكَ الْخَوَاطِرِ فِي الْإِبْتِدَاءِ لِئَلَّا تُسْتَحْكِمَ وَذَلِكَ بِالذِّكْرِ
الدَّائِمِ وَمُلَازِمَةِ الْخَوْفِ بِالْعِلْمِ أَنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا يَعْلَمُ مَا فِي سِرِّكَ قَالَ اللَّهُ جَلَّ
وَعَلَا : ﴿ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ وقال تبارك وتعالى :
﴿ وَإِنْ تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴾ .

وقال عز من قائل : ﴿ أَمْ يَحْسُبُونَ أَنَا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى
وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴾ .

وَمِنْ عُيُوبِ النَّفْسِ اسْتِعْآلُهَا بِإِصْلَاحِ الظَّاهِرِ لِزِينَةٍ وَغَفْلَةٍ عَنْ إِصْلَاحِ
الْبَاطِنِ مَوْضِعُ نَظَرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .
وعلاجُهَا أَنْ يَتَيَقَّنَ أَنَّ الْخَلْقَ لَا يُكْرِمُونَهُ إِلَّا بِمَقْدَارِ مَا جَعَلَ اللَّهُ لَهُ فِي
قُلُوبِهِمْ .

وَيَعْلَمُ أَنَّ بَاطِنَهُ مَوْضِعُ نَظَرِ اللَّهِ فَهُوَ أَوْلَى بِالْإِصْلَاحِ مِنَ الظَّاهِرِ الَّذِي هُوَ
مَوْضِعُ نَظَرِ الْخَلْقِ .

قال الله جل وعلا : ﴿ إِنْ اللَّهُ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ وقال صلى الله عليه
وسلم : « إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَلَا إِلَى أَعْمَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى
قُلُوبِكُمْ » أخرجهُ مُسْلِمُ .

ثَنَاءٌ عَلَى اللَّهِ وَتَضَرُّعٌ إِلَيْهِ جَلَّ جَلَالُهُ

لَكَ الْحَمْدُ يَا ذَا الْجُودِ وَالْمَجْدِ وَالْعِلَا تَبَارَكَتْ تُعْطِي مَنْ تَشَاءُ وَتَمْنَعُ

إِلَهِي وَخَلَّاقِي وَحِرْزِي وَمَوْلِي
 إِلَهِي لَيْنُ أَبْعَدْتَنِي أَوْ طَرَدْتَنِي
 إِلَهِي لَيْنُ جَلْتُ وَجَمْتُ خَطِيئَتِي
 إِلَهِي لَيْنُ أَعْطَيْتُ نَفْسِي سُوءَهَا
 إِلَهِي فَلَا تَقْطَعْ رَجَائِي وَلَا تُرِغْ
 إِلَهِي فَانْسِنِي بِتَلَقُّيْنِ حُجَّتِي
 إِلَهِي أَذِقْنِي بَرْدَ عَفْوِكَ يَوْمَ لَا
 وَلَا تَحْرِمْنِي مِنْ شَفَاعَةِ أَحْمَدٍ
 وَصَلِّ عَلَيْهِ مَا دَعَاكَ مُوَحِّدٌ
 إِلَيْكَ لَدَى الْإِعْسَارِ وَالْيُسْرِ أَفْزَعْ
 فَمَنْ ذَا الَّذِي أَرْجُو وَمَنْ أَتَشْفَعُ
 فَعَفْوُكَ عَنْ ذُنُوبِي أَجَلٌ وَأَوْسَعُ
 فَهَذَا أَنَا فِي رَوْضِ النَّدَامَةِ أَرْتَعُ
 فَوَادِي فَإِنِّي خَائِفٌ مُتَضَضِرٌّ
 إِذَا كَانَ لِي فِي الْقَبْرِ مَثْوًى وَمَضْجَعُ
 بَنُونَ وَلَا مَالٌ هُنَالِكَ يَشْفَعُ
 وَصُحْبَةٌ أَخْيَارُ هُنَالِكَ خُضَّعُ
 وَنَاجَاكَ أَقْوَامٌ بِكَ نُحْشَعُ

اللَّهُمَّ أَنْظِمْنَا فِي سِلْكِ جِزْبِكَ الْمُفْلِحِينَ ، وَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الْمُخْلِصِينَ ،
 وَآمِنًا يَوْمَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ يَوْمَ الدِّينِ ، وَاحْشُرْنَا مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ
 التَّيِّبِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
 الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ .

فَصْلٌ

وَمِنْ عُيُوبِ النَّفْسِ مَحَبَّتُهَا الْخَوْضِ فِي أُمُورِ الدُّنْيَا وَحَدِيثُهَا ، وَمُدَاوَاتُهَا
 الْإِشْتَغَالُ بِالْفِكْرِ الدَّائِمِ فِي كُلِّ أَوْقَاتِهِ فِيمَا أَمَامَهُ مِنَ الْأُمُورِ الشَّدَائِدِ ،
 وَالْكُرُوبِ ، وَالْأَهْوَالِ ، وَالْبَغْيِ ، وَالنُّشُورِ ، وَالْحِسَابِ ، وَالْمِيزَانِ ،
 وَالصِّرَاطِ ، وَالْجَنَّةِ ، وَالنَّارِ ، وَالتَّفَكُّرِ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ .

فَفِي التَّفَكُّرِ فِي هَذِهِ الْأَشْيَاءِ مَا يُشْغِلُهُ عَنِ الدُّنْيَا وَأَهْلِهَا ، وَالْخَوْضِ فِيمَا
 هُمْ ضَائِعُونَ فِيهِ ، وَيَعْلَمُ أَنَّ ذَلِكَ مِمَّا لَا يَغْنِيهِ فَيَتْرُكُهُ لِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ يَقُولُ : « مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَغْنِيهِ » أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ .

وَمِنْ عُيُوبِهَا إِظْهَارُ الطَّاعَاتِ وَمَحَبَّةُ أَنْ يَعْلَمَ النَّاسُ مِنْهُ ذَلِكَ أَوْ يَرَوْهُ .
وَعِلَاجُهَا أَنْ يَعْلَمَ أَنَّهُ لَيْسَ إِلَى الْخَلْقِ نَفْعُهُ وَلَا ضَرَرُهُ ، قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا :
﴿ وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بَضْرًا فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ
يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ .

وقال تبارك وتعالى : ﴿ وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بَضْرًا فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ
يَمْسَسْكَ بَخِيرًا فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .

وَيَجْتَهِدُ فِي مُطَالَبَةِ نَفْسِهِ بِالْإِخْلَاصِ فِي جَمِيعِ أَعْمَالِهِ لِيُزِيلَ عَنْهُ هَذَا الْعَيْبَ
فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ : ﴿ وَمَا أَمُرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ وقال تعالى :
فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴾ .

وقال تبارك وتعالى : ﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾
الآية .

وقال تعالى : ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ
بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ وعن أبي هريرة مرفوعاً قال الله تعالى : « أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ
عَنِ الشِّرْكِ مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ مَعِيَ فِيهِ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكُهُ » رواه مسلم .

وعَنْ الضَّحَّاكِ بْنِ قَيْسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى
يَقُولُ أَنَا خَيْرُ شَرِيكَ فَمَنْ أَشْرَكَ مَعِيَ شَرِيكًا فَهُوَ لِشَرِيكِي .

يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْحَلِصُوا أَعْمَالَكُمْ فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَا يَقْبَلُ مِنَ الْأَعْمَالِ
إِلَّا مَا نَحَلَصَ لَهُ » أخرجه البزار بإسناد لا بأس به .

وَوَرَدَ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَقْبَلُ مِنَ
الْعَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ خَالِصًا وَابْتِغَى بِهِ وَجْهَهُ » رواه أبو داود والنسائي .

وعن أبي الدرداء رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
« الدنيا مَلْعُونَةٌ مَلْعُونٌ مَا فِيهَا إِلَّا مَا ابْتَغَيْ بِه وَجْهَهُ » أخرجه الطبراني بإسنادٍ لا
بأس به .

سُئِلَ الْفَضِيلُ بْنُ عِيَّاضٍ مَا أَخْلَصَ الْعَمَلُ وَمَا أَصَوَّبُهُ قَالَ إِنْ الْعَمَلُ إِذَا كَانَ
خَالِصًا وَلَمْ يَكُنْ صَوَابًا لَمْ يُقْبَلْ وَإِذَا كَانَ صَوَابًا وَلَمْ يَكُنْ خَالِصًا لَمْ يُقْبَلْ حَتَّى
يَكُونَ خَالِصًا صَوَابًا وَالْخَالِصُ أَنْ يَكُونَ لِلَّهِ وَالصَّوَابُ أَنْ يَكُونَ عَلَى السُّنَّةِ .

إِذَا رُمْتَ أَنْ تَنْجُو مِنَ النَّارِ سَالِمًا وَتُنْجُو مِنْ يَوْمٍ مَهُولٍ عَصَبَصِبْ
وَتُرْفَلْ فِي ثَوْبٍ مِنَ الْمَجْدِ مُعْجَبٍ وَتُرْفَلْ فِي ثَوْبٍ مِنَ الْمَجْدِ مُعْجَبٍ
وَفِي هَذِهِ الدُّنْيَا تَعِيشُ مُنْعَمًا عَزِيزًا حَمِيدًا نَائِلًا كُلَّ مَطْلَبٍ
فَمِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ فَاسْلُكْ سَبِيلَهَا هِيَ الْعُرْوَةُ الْوُثْقَى لِأَهْلِ التَّقَرُّبِ
فَعَادِ الَّذِي عَادَى وَوَالَ الَّذِي لَهُ فَمَنْ لَمْ يُعَادِ الْمُشْرِكِينَ وَمَنْ لَهُمْ
فَلَيْسَ عَلَى مِنْهَاجِ سُنَّةِ أَحْمَدٍ يُوَالِي وَيُؤَلِّفُ فِي الْإِلَهِ وَأُحِبِّ
وَلَيْسَ عَلَى نَهْجِ قَوْمٍ مُقَرَّبٍ يُوَالِي وَلَمْ يُبْغِضْ وَلَمْ يَتَجَنَّبْ
إِلَيْهِ مُنِيبًا فِي الْعِبَادَةِ مُدْبِئٍ وَلَيْسَ عَلَى نَهْجِ قَوْمٍ مُقَرَّبٍ
وَلَا مُبْغِضًا أَوْ سَالِكًا مِنْهَجًا وَبِ كَرِيمًا طَلِيقَ الْوَجْهِ سَامِي التَّطَلُّبِ
فَخَيْرُ الْوَرَى أَهْلُ التَّقَى وَالتَّقَرُّبِ وَمَوْكِبُهُمْ يَوْمَ اللَّقَا خَيْرُ مَوْكِبٍ
وَهَذَا الَّذِي يُنْجِي يَوْمَ عَصَبَصِبْ وَمَوْكِبُهُمْ يَوْمَ اللَّقَا خَيْرُ مَوْكِبٍ
وَلَيْتَ لَعَمْرِي سَاهِدًا ذَا تَقَلُّبٍ وَهَذَا الَّذِي يُنْجِي يَوْمَ عَصَبَصِبْ
وَأَصْبَحْتَ فِيهَا خَائِفًا ذَا تَرَقُّبٍ وَهَذَا الَّذِي يُنْجِي يَوْمَ عَصَبَصِبْ

اللَّهُمَّ أَنْظِمْنَا فِي سَبِيلِكَ حَزْبِكَ الْمُفْلِحِينَ ، وَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الْمُخْلِصِينَ

وَأَمِنَّا يَوْمَ الْفَرَعِ الْأَكْبَرِ يَوْمَ الدِّينِ ، وَاحْشُرْنَا مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ
النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَافْغِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

فصل

وقال رحمه الله :

فَمِنْ عُيُوبِ النَّفْسِ فَقْدَانُ لَذَّةِ الطَّاعَةِ ، وَذَلِكَ مِنْ سُقْمِ الْقَلْبِ ،
وَمُدَاوَاتُهَا أَكْلُ الْحَلَالِ وَمُدَاوَمَةُ ذِكْرِ اللَّهِ .

وَمِنْ عُيُوبِ النَّفْسِ طَلَبُ الرِّئَاسَةِ بِالْعِلْمِ وَالتَّكْبُرِ وَالِافْتِخَارِ بِهِ وَالْمُبَاهَاتِ
بِهِ ، وَمُدَاوَاتُهَا رُؤْيَةُ مَنَّةِ اللَّهِ عَلَيْهِ فِي أَنْ جَعَلَهُ وَعَاءً لِأَحْكَامِهِ .

وَرُؤْيَةُ تَقْصِيرِ شُكْرِهِ مِنْ نِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْهِ بِالْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ ، وَالتَّزَامِ
التَّوَاضُّعِ وَالْإِنْكَسَارِ وَالشَّفَقَةِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالتَّصِيحَةِ لِعِبَادِ اللَّهِ .

فَإِنَّهُ رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِيُبَاهِيَ
بِهِ الْعُلَمَاءَ أَوْ لِيُمَارِيَ بِهِ السُّفَّاءَ أَوْ لِيَصْرِفَ بِهِ وَجُوهَ النَّاسِ إِلَيْهِ فَلْتَبَوَّأَ مَقْعَدَهُ مِنَ
النَّارِ .

وَلِذَلِكَ قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ مَنْ إَزْدَادَ عِلْمًا فَلْيَزِدْ خَشْيَةً فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى
يَقُولُ : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ .

وَقَالَ رَجُلٌ لِلشَّعْبِيِّ أَتَيْهَا الْعَالِمُ فَقَالَ إِنَّمَا الْعَالِمُ مَنْ يَخْشَى اللَّهَ .

شعرا :

يَا رَبِّ حَقَّقْ تَوْبَتِي بِقَبُولِهَا وَاشْفِ الْقُلُوبَ بِأَمْرِكَ الْفَعَّالِ

وَأَمُحِ الشَّقَاوَةَ بِالسَّعَادَةِ وَاكْفِنِي
أَرْجُوكَ فِي الدَّارَيْنِ قَطْعَ عَلَائِقِي
عَوِّذْنِي اللَّطْفَ الْجَمِيلَ تَكْرُمًا
ثُمَّ اكْسِبْنِي سِتْرَ الْحَيَاةِ فِي الْمَمَا
وَبِكَلِمَةِ التَّوْحِيدِ يَا مَوْلَى الْوَرَى
ثُمَّ الصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ وَصَحْبِهِ
أَهْلُ الْوَفَا وَالصِّدْقِ فِي الْأَقْوَالِ
بِكِفَايَةِ يَرْتَأَخُ مِنْهَا بِالْي
عَمَّنْ سِوَاكَ فَأَنْتَ أَوْلَى وَالْي
فَاجْعَلْهُ دَوْمًا يَا عَظِيمُ تَوَالِي
بِ وَبَعْدَهُ وَاشْمِلْ بِذَلِكَ عِيَالِي
إِجْعَلْ خِتَامَ الْقَوْلِ وَالْأَعْمَالِ
أَهْلُ الْوَفَا وَالصِّدْقِ فِي الْأَقْوَالِ

ومما يعالج به العُجْبُ والكِبَرُ والافتخار ما يلي :

أولاً : أن يَعْتَقِدَ وَيَجْزِمَ بأنَّ التَّوْفِيقَ الذي حَصَلَ لَهُ مِنَ اللَّهِ فَإِنَّهُ إِذَا رَأَى
التَّوْفِيقَ مِنَ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا اسْتَعْلَلَ بِشُكْرِ اللَّهِ .

الثاني : أن يَنْظُرَ إِلَى النِّعَمَاءِ الَّتِي تَفَضَّلَ اللَّهُ بِهَا عَلَيْهِ فَإِنَّهُ إِذَا نَظَرَ فِيهَا اسْتَعْلَلَ
بِشُكْرِ الْمَنِّعِ وَهُوَ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ .

الثالث : أن يَخَافَ أَنْ لَا يُتَقَبَّلَ مِنْهُ ، فَإِذَا اسْتَعْلَلَ بِخَوْفِ عَدَمِ الْقَبُولِ
ذَهَبَ عَنْهُ الْعُجْبُ بِنَفْسِهِ .

الرابع : أن يَنْظُرَ فِي ذُنُوبِهِ الْقَدِيمَةِ وَالْحَدِيثَةِ الْكَبِيرِ وَالصَّغَائِرِ وَرَبَّمَا أَنْ
يَكُونَ صَدَرَ مِنْهُ قَوْلٌ أَوْ فِعْلٌ يُحِبُّطُ الْعَمَلَ ، فَإِذَا اسْتَحْضَرَ هَذَا خَافَ وَذَهَبَ
عَنْهُ عُجْبُهُ .

وَمِنْ عُيُوبِ النَّفْسِ اسْتِكْشَافُ الضَّرِّ مِمَّنْ لَا يَمْلِكُهُ ، وَرَجَاؤُهُ النَّفْعِ مِمَّنْ
لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ ، وَاهْتِمَامُهُ بِالرِّزْقِ وَقَدْ تَكَفَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ .

وَمُدَاوَتُهُ الرُّجُوعُ إِلَى صَحَةِ الْإِيمَانِ بِمَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ فِي كِتَابِهِ قَالَ اللَّهُ جَلَّ
وَعَلَا : ﴿ وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا
رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾ الآية وَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ : ﴿ وَمَا مِنْ
دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ .

وَمِنْ غُيُوبِ النَّفْسِ كَثْرَةُ الْكَلَامِ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَا وَالَاه .
وَمُدَاوَاتُهَا تَحْقِيقُهُ بِأَنَّهُ مَأْخُودٌ بِمَا يَتَكَلَّمُ بِهِ وَأَنَّهُ مَكْتُوبٌ عَلَيْهِ وَمَسْئُولٌ عَنْهُ
قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا : ﴿ وَإِنْ عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ كَرَامًا كَاتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا
تَعْمَلُونَ ﴾ وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا : ﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ .
وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾
وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ
إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ﴾ الْآيَةُ . وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « وَهَلْ يَكُوبُ النَّاسُ
فِي النَّارِ عَلَى مَنَاجِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ » .

وَمِنْ غُيُوبِ النَّفْسِ كَثْرَةُ التَّمَنِّي ، وَمُدَاوَاتُهَا أَنْ يَعْلَمَ أَنَّهُ لَا يَذِرِي مَا
يَعْقُبُ التَّمَنِّي أَيْجُرُّهُ إِلَى خَيْرٍ وَهُوَ مَا يُرْضِيهِ أَوْ يَجُرُّهُ إِلَى مَا يُسْخِطُهُ .
فَإِذَا أُيْقِنَ إِنْتِهَامُ عَاقِبَةِ تَمَنِّيهِ اسْقَطَ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ وَرَجَعَ إِلَى الرِّضَا
وَالتَّسْلِيمِ .

فَيُسْتَرِيحُ ، قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ
لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ .

فَائِدَةٌ نَفِيسَةٌ : يَنْبَغِي لِطَالِبِ الْعِلْمِ أَنْ يَتَأَمَّلَهَا وَيَأْخُذَ لِمُسْتَقْبَلِهِ فِكْرَةً
قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ لَمْ أَزَلْ بُرْهَةً مِنْ عُمْرِي أَنْظُرُ اخْتِلَافَ الْأُمَّةِ وَالتَّمَسُّسَ الْمُنْهَاجَ
الْوَاضِحَ وَالسَّبِيلَ الْقَاصِدَ وَأَطْلُبُ مِنَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ وَاسْتَدِلُّ عَلَى طَرِيقِ
الْآخِرَةِ بِإِرْشَادِ الْعُلَمَاءِ .

وَعَقَلْتُ كَثِيرًا مِنْ كَلَامِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِتَأْوِيلِ الْفُقَهَاءِ وَتَدَبَّرْتُ أَحْوَالَ
الْأُمَّةِ وَنَظَرْتُ فِي مَذَاهِبِهَا وَأَقَاوِيلِهَا فَعَقَلْتُ مِنْ ذَلِكَ مَا قَدَّرَ لِي .

وَرَأَيْتُ إِخْتِلَافَهُمْ بَحْرًا عَمِيقًا غَرِقَ فِيهِ نَاسٌ كَثِيرٌ وَسَلِمَ مِنْهُ عِصَابَةُ
قَلِيلَةٍ .

وَرَأَيْتُ كُلَّ صِنْفٍ مِنْهُمْ يَزْعُمُ أَنَّ النِّجَاةَ لِمَنْ تَبِعَهُمْ وَأَنَّ الْمَهَالِكَ لِمَنْ
خَالَفَهُمْ .

ثُمَّ رَأَيْتُ النَّاسَ أَصْنَافًا فَمِنْهُمْ الْعَالِمُ بِأَمْرِ الْآخِرَةِ لِقَاؤُهُ عَسِيرٌ وَوُجُودُهُ
عَزِيزٌ .

وَهُوَ مَنْ يُعِدُّ نَفْسَهُ فِي الدُّنْيَا لِثَوَابِ الْآخِرَةِ وَالْقُرْبِ مِنَ الْعَزِيزِ
الْحَكِيمِ .

وَمِنْهُمْ الْجَاهِلُ فَالْبُعْدُ مِنْهُ غَنِيمَةٌ .

وَمِنْهُمْ الْمُتَشَبِّهُ بِالْعُلَمَاءِ مَشْغُوفٌ بِدُنْيَاهُ مُؤَثِّرٌ لَهَا .

وَمِنْهُمْ حَامِلٌ عِلْمٍ مَنسُوبٌ إِلَى الدِّينِ مُلْتِمِسٌ بِعِلْمِهِ التَّعْظِيمَ وَالْعُلُوَّ .

يَنَالُ بِالدِّينِ مِنْ عَرَضِ الدُّنْيَا .

وَمِنْهُمْ حَامِلٌ عِلْمٍ لَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَ مَا حَمَلَ .

وَمِنْهُمْ الْمُتَشَبِّهُ بِالنِّسَاكِ مُتَحَرِّجٌ لِلْخَيْرِ لَا غِنَاءَ عِنْدَهُ وَلَا نَفَاذَ لِعِلْمِهِ وَلَا

مُعْتَمَدٌ عَلَى رَأْيِهِ .

وَمِنْهُمْ الْمَنَسُوبُ إِلَى الْعَقْلِ وَالذِّهَانِ مَفْقُودُ الْوَرَعِ وَالتَّقَى .

وَمِنْهُمْ مُتَوَادُونَ عَلَى الْهَوَىٰ وَاقْفُونَ وَلِلدُّنْيَا يَذْلُونَ وَرِيَاسَتُهَا يَطْلُبُونَ .

وَمِنْهُمْ شَيَاطِينُ الْإِنْسِ عَنِ الْآخِرَةِ يَصُدُّونَ وَعَلَى الدُّنْيَا يَتَكَالَبُونَ وَإِلَى

جَمْعِهَا يُهْرَعُونَ وَفِي الْأَسْتِكَثَارِ مِنْهَا يَرْغَبُونَ .

فَهُمْ فِي الدُّنْيَا أَحْيَاءُ وَفِي الْعُرْفِ مَوْتَى .

فَتَفَقَّدَتْ فِي الْأَصْنَافِ نَفْسِي وَضِيقْتُ بِذَلِكَ ذَرْعًا فَقَصَدْتُ إِلَى هُدَى

الْمُهْتَدِينَ بِطَلَبِ السَّدَادِ وَالْهُدَى وَاشْتَرَشَدْتُ الْعِلْمَ وَأَعْمَلْتُ الْفِكْرَ وَأَطْلَتُ

النَّظَرَ .

فَتَبَيَّنَ لِي مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عِزِّ وَجَلِّ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ وَإِجْمَاعِ الْأُمَّةِ أَنَّ
اتِّبَاعَ الْهَوَى يُغْمِي عَنِ الرَّشْدِ وَيُضِلُّ عَنِ الْحَقِّ وَيُطِيلُ الْمَكْثَ فِي الْعَمَى .
فَبَدَأْتُ أَوَّلًا بِإِسْقَاطِ الْهَوَى عَنْ قَلْبِي وَوَقَفْتُ عِنْدَ اخْتِلَافِ الْأُمَّةِ مُرْتَادًا
لِطَلَبِ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ .

حَذَرًا مِنَ الْأَهْوَاءِ الْمُرْدِيَةِ وَالْفِرْقَةِ الْهَالِكَةِ مُتَحَرِّزًا مِنَ الْاِقْتِحَامِ قَبْلَ
الْبَيَانِ وَالتَّمَسُّسِ سَبِيلِ النِّجَاةِ لِنَفْسِي .

ثُمَّ وَجَدْتُ بِاجْتِمَاعِ الْأُمَّةِ فِي كِتَابِ اللَّهِ الْمُنَزَّلِ أَنَّ سَبِيلَ النِّجَاةِ فِي
التَّمَسُّكِ بِتَقْوَى اللَّهِ وَأَدَاءِ فَرَائِضِهِ .
وَالْوَرَعِ فِي حَلَالِهِ وَحَرَامِهِ وَجَمِيعِ حُدُودِهِ .
وَالِإِحْلَاصِ لِلَّهِ تَعَالَى بِطَاعَتِهِ .

وَالْتَّائِبِي بِرَسُولِهِ ﷺ فَطَلَبْتُ مَعْرِفَةَ الْفَرَائِضِ وَالسُّنَنِ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ فِي
الْأَشَارِ فَرَأَيْتُ إِجْتِمَاعًا وَاخْتِلَافًا وَوَجَدْتُ جَمِيعَهُمْ مُجْتَمِعِينَ عَلَى أَنَّ عِلْمَ
الْفَرَائِضِ وَالسُّنَنِ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ بِاللَّهِ وَأَمْرَهُ الْفُقَهَاءِ عِنْدَ اللَّهِ الْعَامِلِينَ
بِرِضْوَانِهِ .

الْوَرَعِينَ عَنْ مَحَارِمِهِ الْمُتَأَسِّينَ بِرَسُولِهِ ﷺ وَالْمُؤَثِّرِينَ الْآخِرَةَ عَلَى الدُّنْيَا
أُولَئِكَ الْمُتَمَسِّكُونَ بِأَمْرِ اللَّهِ وَسُنَنِ الْمُرْسَلِينَ .
فَالْتَمَسْتُ مِنْ بَيْنِ الْأُمَّةِ هَذَا الصَّنْفَ الْمُجْتَمِعَ عَلَيْهِمُ وَالْمُوصُوفِينَ
بِأَثَارِهِمْ وَاقْتَبَسْتُ مِنْ عِلْمِهِمْ فَرَأَيْتُهُمْ أَقَلُّ مِنَ الْقَلِيلِ .
وَرَأَيْتُ عِلْمَهُمْ مُنْدَرَسًا كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَدَأَ الْإِسْلَامَ غَرِيبًا
وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ وَهُمْ الْمُتَفَرِّدُونَ بِدِينِهِمْ .
فَعَظُمْتُ مُصِيبَتِي لِفَقْدِ الْأَوْلِيَاءِ الْأَتَقِيَاءِ الْأَبْرَارِ وَخَشِيتُ بَغْتَةَ الْمَوْتِ أَنْ
يَفْجَأَنِي عَلَى اضْطِرَابٍ مِنْ عُمْرِي لِاخْتِلَافِ الْأُمَّةِ .

فَانْكَمَشْتُ فِي طَالِبِ عِلْمٍ لَمْ أَجِدْ لِي مِنْ مَعْرِفَتِهِ بُدًّا وَلَمْ أَقْصُرْ فِي
الِإِحْتِيَاظِ .

فَقَيَّضَ لِي الرُّؤُوفُ بِعِبَادِهِ قَوْمًا وَجَدْتُ فِيهِمْ دَلَائِلَ التَّقْوَى وَأَعْلَامَ
الْوَرَعِ وَإِثَارَ الْآخِرَةِ عَلَى الدُّنْيَا .

وَوَجَدْتُ إِرْشَادَهُمْ وَوَصَايَاهُمْ مُوَافِقَةً لِأَفَاعِيلِ أَيْمَةِ الْهُدَى .

وَوَجَدْتُهُمْ مُجْتَمِعِينَ عَلَى نُصْحِ الْأَمَّةِ لَا يُرْجُونَ أَبَدًا فِي مَعْصِيَتِهِ وَلَا
يُقْنَطُونَ أَبَدًا مِنْ رَحْمَتِهِ .

يَرْضَوْنَ أَبَدًا بِالصَّبْرِ عَلَى الْبِئْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالرِّضَا بِالْقَضَاءِ وَالشُّكْرَ عَلَى
النِّعْمَاءِ يُحِبُّونَ اللَّهَ إِلَى الْعَبْدِ بِذِكْرِهِمْ أَيْادِيهِ وَإِحْسَانِهِ وَيُحْشُونَ الْعِبَادَةَ عَلَى الْإِنَابَةِ
إِلَى اللَّهِ تَعَالَى عُلَمَاءُ بِعَظَمَتِهِ تَعَالَى عُلَمَاءُ بِعَظِيمِ قُدْرَتِهِ وَعُلَمَاءُ بِكِتَابِهِ وَسُنَّتِهِ
فُقَهَاءُ فِي دِينِهِ عُلَمَاءُ بِمَا يُحِبُّ وَيَكْرَهُ وَرِعِينَ عَنِ الْبِدْعِ وَالْأَهْوَاءِ تَارِكِينَ لِلتَّعَمُّقِ
وَالْإِعْلَاءِ مُبْغِضِينَ لِلْجِدَالِ وَالْمِرَاءِ مُتَوَرِّعِينَ عَنِ الْاِغْتِيَابِ وَالظُّلْمِ مُخَالِفِينَ
لِأَهْوَائِهِمْ مُحَاسِبِينَ لَأَنْفُسِهِمْ مَالِكِينَ لِجَوَارِحِهِمْ وَرِعِينَ فِي مَطَاعِمِهِمْ
وَمَلَابِسِهِمْ وَجَمِيعَ أَحْوَالِهِمْ مُجَانِبِينَ لِلشُّبُهَاتِ تَارِكِينَ لِلشَّهَوَاتِ مُجْتَزِّئِينَ بِالْبَلْغَةِ
مِنَ الْأَقْوَاتِ مُتَقَلِّلِينَ مِنَ الْمُبَاحِ مُشْفِقِينَ مِنَ الْحِسَابِ وَجَلِيلِينَ مِنَ الْمَعَادِ عُلَمَاءُ
بِأَمْرِ الْآخِرَةِ وَأَقَاوِيلَ الْقِيَامَةِ رَاجِينَ مِنَ الْكَرِيمِ الْمَنَّانِ جَزِيلَ الثَّوَابِ وَخَائِفِينَ
مِنَ الْإِيمِ الْعِقَابِ وَذَلِكَ أَوْرَثَهُمُ الْخَوْفَ الدَّائِمَ وَالْهَمَّ الْمُقِيمَ فَشَغِلُوا عَنْ
سُرُورِ الدُّنْيَا وَنَعِيمِهَا فَتَبَيَّنَ لِي فَضْلُهُمْ وَاتَّضَحَ لِي نُصْحُهُمْ وَأَيَقُنْتُ أَنَّهُمْ
الْعَامِلُونَ بِطَرِيقِ الْآخِرَةِ وَالْمَتَأَسُّونَ بِالْمُرْسَلِينَ وَالْمَصَابِيحَ لِمَنْ اسْتَضَاءَ بِهِمْ
وَالْهَادُونَ لِمَنْ اسْتَرْشَدَ أ . ه . قُلْتُ فَبِمَثَلٍ هَؤُلَاءِ إِنْ وَجَدُوا فَلْيَقْتَدِ
الْمُقْتَدُونَ .

ما هَذِهِ الدَّارُ إِلَّا لِلْفَنَاءِ نُحِلِّقَتْ ما هَذِهِ الدَّارُ إِلَّا دَارُ مُضْمَارٍ
يا رَبِّ تَوَرَّ قُلُوباً طَالَمَا غَفَلَتْ ما هَذِهِ الدَّارُ إِلَّا عَبْرُ أَسْفَارٍ
وَنَحْنُ فِي غَفْلَةٍ عَمَّا يُرَادُ بِنَا كَأَنَّا غَنَمٌ فِي يَنْبِتِ جَزَارٍ
نَلْهُوُ وَنَلْعَبُ فِي دَارِ الْغُرُورِ وَمَا فِي الْقَلْبِ مِنْ وَاعِظٍ نَاهٍ بِإِذَارٍ
فَنَحْذُ لِلنَّفْسِ زَاداً لِلرَّحِيلِ إِلَى دَارِ الْبَقَاءِ وَلَا تَرْحَلُ بِأَوْزَارٍ
أَيُّنَ الْمُلُوكِ وَأَبْنَاءَ الْمُلُوكِ وَمَنْ شَادُوا الْمَصَانِعَ مِنْ بَرٍّ وَجَبَّارٍ
أَتَى عَلَى الْكُلِّ مَا أَوْدَاهُمْ وَسَطاً رَيْبُ الْمُنُونِ بِهَا امْضَاءُ نَهَارٍ

اللَّهُمَّ اجْعَلِ الْإِيمَانَ هَادِماً لِلْسَيِّئَاتِ ، كَمَا جَعَلْتَ الْكُفْرَ عَادِماً
لِلْحَسَنَاتِ ، وَوَقِنَا لِلْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ ، واجْعَلْنَا مِنْ تَوَكَّلَ عَلَيْكَ فَكَفَيْتُهُ ،
وَاسْتَهْدَاكَ فَهَدَيْتُهُ ، وَدَعَاكَ فَأَجَبْتُهُ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

فَصْلٌ

قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي ﴾
وقال جل وعلا : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ
هِيَ الْمَأْوَى ﴾ .

فعلى الإنسان العاقل أَنْ يُحَاسِبَ نَفْسَهُ وَيَتَّقَهَا وَلَا يَعْفُلَ عَنْهَا وَيَنْظُرَ فِي
غُيُوبِهَا بِدِقَّةٍ وَيُصْلِحُهَا وَيُعَالِجُهَا بِالْأَدْوِيَةِ النَّافِعَةِ لَهَا مِنْ سَيِّئَاتِي ذِكْرُهُ .

وقال بعضُ العلماء أصلُ كُلِّ مَعْصِيَةٍ وَشَهْوَةٍ الرِّضَا عَنْ النَّفْسِ لِأَنَّهُ أَصْلُ
جَمِيعِ الصِّفَاتِ الْمَذْمُومَةِ وَعَدَمُ الرِّضَا عَنْ النَّفْسِ أَصْلُ الصِّفَاتِ الْمَحْمُودَةِ ،

وذلك لأن الرضا عن النفس يُوجِبُ تَغْطِيَةَ عُيُوبِهَا وَمَسَاوِيهَا وَقَبَائِحِهَا فَيَصِيرُ قَبِيحُهَا حَسَنًا عِنْدَهُ كَمَا قِيلَ :

وَعَيْنُ الرِّضَا عَنْ كُلِّ عَيْبٍ كَلِيلَةٌ كَمَا أَنَّ عَيْنَ السُّخْطِ تُبْذِرُ الْمَسَاوِيَا وَعَدَمُ الرِّضَا عَنِ النَّفْسِ عَلَى الْعَكْسِ مِنْ هَذَا لِأَنَّ الْعَبْدَ إِذَا ذَاكَ يَتَّهِمُ نَفْسَهُ وَيَتَطَلَّبُ عُيُوبَهَا وَلَا يَغْتَرُّ بِمَا يَظْهَرُ مِنَ الطَّاعَةِ وَالْإِثْقَادِ كَمَا فِي الشُّطْرِ الْأَخِيرِ مِنْ بَيْتِ الشَّعْرِ :

كَمَا أَنَّ عَيْنَ السُّخْطِ تُبْذِرُ الْمَسَاوِيَا

آخر : وَلَسْتُ بِرَاءٍ عَيْبَ ذَاوِدَ كُلِّهِ وَلَا بَعْضَ مَا فِيهِ إِذَا كُنْتُ رَاضِيَا
وَأَعْلَمُ وَفَقْنَا اللَّهَ وَإِيَّاكَ وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ لَمَّا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ أَنْ مَنْ رَضِيَ عَنْ
نَفْسِهِ اسْتَحْسَنَ حَالَهَا وَسَكَنَ إِلَيْهَا وَمَنْ اسْتَحْسَنَ حَالَ نَفْسِهِ وَسَكَنَ إِلَيْهَا
اسْتَوْلَتْ عَلَيْهِ الْعَفْلَةُ .

وَبِالْعَفْلَةِ يَنْصَرِفُ قَلْبُهُ عَنِ التَّفَقُّدِ وَالْمُرَاعَاةِ لِخَوَاطِرِهِ فَتَثُورُ حِينُودُ دَوَاعِي
الشَّهْوَةِ عَلَى الْعَبْدِ .

وَلَيْسَ عِنْدَهُ مِنَ الْمَرَاqَةِ وَالْمَلَاخِظَةِ وَالتَّذَكُّيرِ مَا يَدْفَعُهَا بِهِ وَيَقْهَرُهَا .
فَتَصِيرُ الشَّهْوَةُ غَالِبَةً لَهُ بِسَبَبِ ذَلِكَ وَمَنْ غَلَبَتْهُ شَهْوَتُهُ وَقَعَ فِي الْمَعَاصِي .
وَأَصْلُ ذَلِكَ كُلُّهُ رِضَاهُ عَنْ نَفْسِهِ وَمَنْ لَمْ يَرْضَ عَنْ نَفْسِهِ لَمْ يَسْتَحْسِنْ
حَالَهَا وَلَمْ يَسْكُنْ إِلَيْهَا .

وَمَنْ كَانَ بِهَذَا الْوَصْفِ كَانَ مُتَيَقِّظًا مُتَنَبِّهًا لِلطَّوَارِقِ وَبِالْتَّيَقُّضِ وَالتَّنَبُّهِ
يَتِمَكَّنُ مِنْ تَفَقُّدِ خَوَاطِرِهِ وَمُرَاعَاةِهَا .

وَعِنْدَ ذَلِكَ تَحْمَدُ نِيرَانُ الشَّهْوَةِ فَلَا يَكُونُ لَهَا عَلَيْهِ غَلَبَةٌ وَلَا قُوَّةٌ فَيَضَعُفُ
الْعَبْدُ حِينُودُ بِصِفَةِ الْعِفَّةِ .

فإذا صار عَفِيفاً كَانَ مُجْتَنِباً لِكُلِّ مَا نَهَاهُ اللَّهُ عَنْهُ مُحَافِظاً عَلَى جَمِيعِ مَا أَمَرَهُ بِهِ وَهَذَا هُوَ مَعْنَى الطَّاعَةِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَأَصْلُ هَذَا عَدَمُ الرِّضَا عَنْ نَفْسِهِ .

فإذاً يَجِبُ عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَعْرِفَ نَفْسَهُ وَيَلْزِمُ مِنْ ذَلِكَ عَدَمُ الرِّضَا عَنْهَا وَبَقْدَرِ تَحَقُّقِ الْعَبْدِ فِي مَعْرِفَةِ نَفْسِهِ يَصْلَحُ لَهُ حَالُهُ وَيَعْلُو مَقَامُهُ .

وَكَانَ الْعُلَمَاءُ الْمُخْلِصُونَ يَذُمُونَ نُفُوسَهُمْ وَيَتَهَمُّونَهَا وَلَا يَرْضُونَ عَنْهَا .

قَالَ بَعْضُهُمْ مِنْ لَمْ يَتَّهَمْ نَفْسَهُ عَلَى دَوَامِ الْأَوْقَاتِ وَلَمْ يُخَالَفْهَا وَلَمْ يَجْرِهَا إِلَى مَكْرُوهِهَا فَهُوَ مَغْرُورٌ ، وَمَنْ نَظَرَ إِلَيْهَا بِاسْتِحْسَانٍ شَيْءٍ مِنْهَا فَقَدْ أَهْلَكَهَا .

وَكَيفَ يَرْضَى عَنْهَا عَاقِلٌ وَهِيَ الْأَمَارَةُ بِالسُّوءِ . وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ لَا تَسْكُنْ إِلَى نَفْسِكَ وَإِنْ دَامَتْ فِي طَاعَةِ اللَّهِ .

وَقَالَ آخَرُ : مَا رَضِيتُ عَنْ نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ أَيُّهَا الْعَبْدُ حَاسِبْ نَفْسَكَ فِي خَلَوَاتِكَ وَتَفَكَّرْ فِي انْقِضَاءِ مُدَّتِكَ ، وَذَهَابِ أَوْقَاتِكَ ، وَاعْمَلْ فِي زَمَانٍ فَرَاغِكَ ، لَوْ قَتِ شِدَّتِكَ .

قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ الصَّحَّةُ وَالْفَرَاغُ » .

وَتَذَبَّرْ ، وَاحْرَصْ عَلَى مَا تَمَلُّ بِهَ صَحِيفَتِكَ مِنَ الْحَسَنَاتِ ، وَانْظُرْ هَلْ نَفْسَكَ مَعَكَ أَوْ عَلَيْكَ فِي مُجَاهَدَتِكَ لَقَدْ سَعِدَ مَنْ حَاسَبَهَا ، وَفَازَ وَاللَّهُ مَنْ حَارَبَهَا وَقَامَ بِاسْتِيفَاءِ الْحَقُوقِ مِنْهَا ، وَطَالَبَهَا ، وَكُلَّمَا وَتَتْ وَتَكَاسَلَتْ عَائَبَهَا وَوَبَّحَهَا وَكُلَّمَا تَوَقَّفَتْ جَذَبَهَا وَكُلَّمَا مَالَتْ إِلَى آمَالٍ هَوَاهَا رَدَّهَا وَغَلَبَهَا .
قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : « الْكَيْسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ الْأَمَانِي » .

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تَحَاسِبُوا

وَطَالِبُوهَا بِالصَّدَقِ فِي الْأَعْمَالِ قَبْلَ أَنْ تُطَالِبُوا وَزِنُوا أَعْمَالَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُوزَنُوا
فَإِنَّهُ أَهْوَنُ عَلَيْكُمْ فِي الْحِسَابِ غَدًا وَتَزِينُوا لِلْعَرْضِ الْأَكْبَرِ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ
لَا تُخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ .

شِعْرًا :

تَجْهَزِي بِجَهَازٍ تَبْلُغِينَ بِهِ يَا نَفْسُ قَبْلَ الرَّدَى لَمْ تُخْلَقِي عَبَا
وَسَائِقِي بَغْتَةً الْآجَالِ وَانْكِمِشِي قَبْلَ اللَّزَامِ فَلَا مَلْجَا وَلَا غَوَا
وَلَا تَكْذِي لِمَنْ يَبْقَى وَتَفْتَقِرِي إِنَّ الرَّدَى وَارِثُ الْبَاقِي وَمَا وَرَثَا
وَاحْشِي حَوَادِثَ صَرْفِ الدَّهْرِ فِي مَهَلٍ وَاسْتَيْقِظِي لَا تُكُونِي كَالَّذِي بَحَثَا
عَنْ مُدَّةٍ كَانَ فِيهَا قَطْعُ مُدَّتِهِ فَوَافَتْ الْحَرثَ مَحْرُوثًا كَمَا حُرِثَا
مَنْ كَانَ حِينَ تُصِيبُ الشَّمْسُ جَبْهَتَهُ أَوْ الْعُبَارُ يَخَافُ الشَّيْنِ وَالشَّعَا
وَيَأْلَفُ الظِّلَّ كَيْ تَبْقَى بِشَاشَتِهِ فَسَوْفَ يَسْكُنُ يَوْمًا رَاغِمًا جَدَثَا
فِي قَعْرِ مُوَحِّشَةٍ غِبْرَاءَ مُقْفِرَةٍ يُطِيلُ تَحْتَ الثَّرَا فِي جَوْفِهَا اللَّبَثَا

اللَّهُمَّ يَا مَنْ لَا تَضُرُّهُ الْمَعْصِيَةُ وَلَا تَنْفَعُهُ الطَّاعَةُ أَيْقِظْنَا مِنْ نَوْمِ الْعَفْلَةِ
وَنُبِّهْنَا لِاغْتِنَامِ أَوْقَاتِ الْمُهْلَةِ وَوَفِّقْنَا لِمَصَالِحِنَا وَاعْصِمْنَا مِنْ قَبَائِحِنَا
وَلَا تَوَاخِذْنَا بِمَا انْطَوَتْ عَلَيْهِ ضَمَائِرُنَا وَاكْنُتْهُ سَرَائِرُنَا مِنْ أَنْوَاعِ الْقَبَائِحِ
وَالْمَعَائِبِ الَّتِي تَعْلَمُهَا مِنَّا ، وَامْنُنْ عَلَيْنَا يَا مَوْلَانَا بِتَوْبَةٍ تَمْحُو بِهَا عَنَّْا كُلَّ ذَنْبٍ
وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

فصل

مَوَاعِظُ وَفَوَائِدُ وَنَصَائِحُ

فِي وَصِيَّةِ الْإِمَامِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ لَابْنِهِ الْحَسَنِ أَحْيِي قَلْبَكَ بِالْمَوْعِظَةِ
وَأَمِّتْهُ بِالزَّهَادَةِ وَقَوِّهِ بِالْيَقِينِ وَنَوِّرْهُ بِالْحِكْمَةِ وَذَلِّلْهُ بِذِكْرِ الْمَوْتِ وَقَرِّرْهُ بِالْفَنَاءِ
وَبَصِّرْهُ بِفُجَاعِ الدُّنْيَا وَحَذِّرْهُ صَوْلَةَ الدَّهْرِ وَفُحْشَ ثَقَلْبِ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ
وَاعْرِضْ عَلَيْهِ أَخْبَارَ الْمَاضِينَ وَذَكِّرْهُ بِمَا أَصَابَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَسِرِّي
دِيَارِهِمْ وَأَثَارِهِمْ وَأَنْظُرْ فِيمَا فَعَلُوا وَعَمَّا انْتَقَلُوا وَأَيْنَ خَلَّوْا وَتَزَلُّوْا فَإِنَّكَ تَجِدُهُمْ
قَدْ انْتَقَلَوْا عَنِ الْأَحْيَةِ وَخَلَّوْا فِي دَارِ غُرْبَةٍ وَكَأَنَّكَ عَنْ قَلِيلٍ قَدْ هِزْتِ
كَأَحَدِهِمْ فَأَصْلِحْ مَثْوَاكَ وَلَا تَتَّبِعْ آخِرَتِكَ يَدُنِيَاكَ إِلَى أَنْ قَالَ - يَا بُنَيَّ ، أَكْثِرْ
مِنْ ذِكْرِ الْمَوْتِ وَذَكِّرْ مَا تَهْجُمُ عَلَيْهِ وَتُفْضِي بَعْدَ الْمَوْتِ إِلَيْهِ حَتَّى يَأْتِيكَ وَقَدْ
أَخَذْتَ حَذْرَكَ وَشَدَّدْتَ لَهُ إِزْرَكَ وَلَا يَأْتِيكَ بَغْتَةً فَيَبْهَرَكَ وَإِيَّاكَ أَنْ تُغْتَرَّ بِمَا
تَرَى مِنْ إِخْلَادِ أَهْلِ الدُّنْيَا إِلَيْهَا وَتَكَاَلَبُهُمْ عَلَيْهَا فَقَدْ نَبَّأَكَ اللَّهُ عَنْهَا وَنَعَتَتْ لَكَ
نَفْسُهَا وَتَكَشَّفَتْ لَكَ عَنْ مَسَاوِيهَا فَإِنَّ أَهْلَهَا كِلَابٌ عَاوِيَةٌ وَسِبَاقُ ضَارِيَّةٌ يَهْرُ
بَعْضُهَا بَعْضًا أَيْ يَنْبَحُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ وَيَأْكُلُ عَزِيزُهَا ذَلِيلَهَا وَيَقْهَرُ كَبِيرُهَا
صَغِيرَهَا نَعَمْ مُعَقَّلَةٌ وَأُخْرَى مُهْمَلَةٌ قَدْ أَضَلَّتْ عُقُولَهَا وَرَكِبَتْ مَجْهُولَهَا سُرُوحُ
عَاهَةِ لَيْسَ لَهَا رَاعٌ يُقِيمُهَا وَلَا مُقِيمٌ يَسِيْسُهَا سَلَكَتْ بِهِمُ الدُّنْيَا طَرِيقَ الْعَمَى
وَأَخَذَتْ بِأَبْصَارِهِمْ عَنْ مَنَارِ الْهُدَى فَتَاهُوا فِي خَيْرَانِهَا وَغَرَّقُوا فِي نِعْمَتِهَا
وَاتَّخَذُوهَا رَبًّا فَلَعِبَتْ بِهِمْ وَلَعِبُوا بِهَا وَنَسُوا مَا وَرَاءَهَا ، وَاعْلَمْ أَنَّ مَنْ كَانَ
مَعْلِيَّتُهُ اللَّيْلُ وَالتَّهَارُ فَإِنَّهُ يُسَارُ بِهِ وَإِنْ كَانَ وَاقِفًا وَيَقْطَعُ الْمَسَافَةَ وَإِنْ كَانَ

مُقِيمًا .

وقال بعضُ السلف لَوْلَا أَنِّي أَكْرَهُ أَنْ يُعْصَى اللهُ ، تَمَنَيْتُ أَنْ لَا يَبْقَى فِي
هَذَا الْمَصْرِ أَحَدٌ إِلَّا وَقَعَ فِيَّ وَاغْتَابَنِي .

فَأَيُّ شَيْءٍ أَهْنَأُ مِنْ حَسَنَةٍ يَجِدُهَا الرَّجُلُ فِي صَحِيفَتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَمْ يَعْمَلْهَا
وَلَمْ يَعْلَمْ بِهَا .

وقال يَحْيَى بْنُ مُعَاذٍ لَسْتُ أَمْرُكُمْ بِتَرْكِ الدُّنْيَا أَمْرُكُمْ بِتَرْكِ الذُّنُوبِ ، تَرْكُ
الدُّنْيَا فَضِيلَةٌ وَتَرْكُ الذُّنُوبِ فَرِيضَةٌ وَأَنْتُمْ إِلَى إِقَامَةِ الْفَرِيضَةِ أَحْوَجُ مِنْكُمْ إِلَى
الْحَسَنَاتِ .

وقال لَا تَكُنْ مِمَّنْ يَفْضَحُهُ يَوْمَ مَوْتِهِ مِيرَاثُهُ ، وَيَوْمَ حَشَرِهِ مِيزَانُهُ .
وقال إِبْرَاهِيمُ الْخَوَّاصُ دَوَاءُ الْقَلْبِ فِي خَمْسَةِ أَشْيَاءَ : قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ
بالتدبر ، وَخَلَاءُ الْبَطْنِ ، وَقِيَامُ اللَّيْلِ ، وَالتَّضَرُّعُ عِنْدَ السَّحَرِ ، وَتُجَالَسَةُ
الصَّالِحِينَ .

وقال عَلَى قَدْرِ إِعْزَازِ الْمَرْءِ لِأَمْرِ اللَّهِ يُلْبَسُهُ اللَّهُ مِنْ عِزِّهِ ، وَيُقِيمُهُ لَهُ الْعِزُّ فِي
قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ .

وقال يَوْسُفُ بْنُ الْحَسَنِ عَلَى قَدْرِ خَوْفِكَ مِنَ اللَّهِ يَهَابُكَ الْخَلْقُ ، وَعَلَى قَدْرِ
حُبِّكَ لِلَّهِ يُحِبُّكَ الْخَلْقُ ، وَعَلَى قَدْرِ شُغْلِكَ بِأَمْرِ اللَّهِ يُشْغَلُ الْخَلْقُ بِأَمْرِكَ .
وقال آخَرُ وَقَدْ سُئِلَ عَنِ الصُّحْبَةِ فَقَالَ مَعَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِحُسْنِ الْأَدَبِ
وَدَوَامِ الْهَيِّبَةِ وَالْمِرَاقَبَةِ .

وَالصُّحْبَةُ مَعَ الرَّسُولِ بِاتِّبَاعِ سُنَّتِهِ وَكُزُومِ ظَاهِرِ الْحُكْمِ .
وَالصُّحْبَةُ مَعَ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ بِالْإِحْتِرَامِ وَالْخِدْمَةِ .
وَالصُّحْبَةُ مَعَ الْأَهْلِ وَالْوَلَدِ بِحُسْنِ الْخُلُقِ .
وَالصُّحْبَةُ مَعَ الْإِخْوَانِ بِدَوَامِ الْبِشْرِ لَهُمْ وَالْإِتِّسَاطِ مَعَهُمْ مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا .

وَالصَّحْبَةُ مَعَ الْجُهَّالِ بِالْذُّعَاءِ لَهُمْ وَالرَّحْمَةُ عَلَيْهِمْ وَرُؤْيَا نِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْكَ إِذْ غَافَكَ مِمَّا ابْتَلَاهُمْ بِهِ .

وَقَالَ بَعْضُ السَّلَفِ لَقِيْتُ رَجُلًا فِي بَرِيَّةٍ فَقُلْتُ مِنْ أَيْنَ ، فَقَالَ مِنْ قَوْمٍ ﴿ لَا تَلْهَيْهِمْ تِجَارَةً وَلَا بَيْعَ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ قُلْتُ وَإِلَى أَيْنَ قَالَ إِلَى قَوْمٍ ﴿ تَتَجَافَى جُنُوبَهُمْ عَنْ الْمَضَاجِعِ ﴾ .

يَا هَذَا مَثَلٌ لِنَفْسِكَ صَرَعَةَ الْمَوْتِ وَمَا قَدْ عَزَمْتَ أَنْ تَفْعَلَ حِينَئِذٍ وَقْتَ الْأَسْرِ فافْعَلْهُ وَقْتَ الْإِطْلَاقِ .

وَمَثَلُ نَفْسِكَ فِي زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَا جَهَنَّمَ وَأَنْتَ تَبْكِي أَبَدًا وَأَبْوَابُهَا مُعَلَّقَةٌ وَسُقُوفُهَا مُطَبَّقَةٌ وَهِيَ سَوْدَاءُ مُظْلِمَةٌ .

لَا رَفِيقَ تَأْسُ بِهِ وَلَا صَدِيقَ تَشْكُو إِلَيْهِ وَلَا نَوْمَ يُرِيحُ وَلَا نَفْسَ وَلَا طَعَامَ إِلَّا الرُّقُومَ وَلَا شَرَابَ إِلَّا الْحَمِيمَ .

قَالَ كَعَبُ إِنَّ أَهْلَ النَّارِ لَيَأْكُلُونَ أَيْدِيَهُمْ إِلَى الْمَنَاقِبِ مِنَ النَّدَامَةِ عَلَى تَفْرِيطِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ بِذَلِكَ .

فَاقْتَنِبْ يَا غَافِلٌ لَاغْتَنَامَ عُمرِكَ وَازْرَعْ فِي رَيْعِ حَيَاتِكَ قَبْلَ جُدُوبِ أَرْضِ شَخْصِكَ .

وَأَدِّخِرْ مِنْ وَقْتِ قُدْرَتِكَ لِرَمَنِ عَجَزَكَ وَاعْتَبِرْ رَحْلَكَ قَبْلَ رَحِيلِكَ .

فَكَأَنَّكَ بِحَرْبِ الثَّلَفِ قَدْ قَامْتَ عَلَى سَاقٍ وَانْهَزَمَتْ جُيُوشُ الْأَمَلِ .

وَإِذَا يَمْلِكُ الْمَوْتُ قَدْ بَارَزَ الرُّوحَ يَجْتَذِبُهَا بِخَطَايِيفِ الشَّدَائِدِ مِنْ تَيَّارِ الْعُرُوقِ .

وَقَدْ أَوْثَقَ كِتَافَ الدِّيْنِجِ وَحَارَ الْبَصَرَ لِشِدَّةِ الْهَوْلِ .

وَلَا تُسْأَلُ عَنْ حَالِ الْمُحْتَضِرِّ وَمَا نَزَلَ بِهِ مِنَ الْكُرُوبِ وَالسَّكَرَاتِ .

فَتَيْقِظْ يَا مُسْكِينُ وَتَهَيَّأْ لِتِلْكَ السَّاعَةِ وَحَصِّلْ زَاداً قَبْلَ الْعَوْرِ .

سَتَنْدُمُ إِنْ رَحَلْتَ بِغَيْرِ زَادٍ وَتَشْقَى إِذْ يُنَادِيكَ الْمُنَادِي
فَمَا لَكَ لَيْسَ يَعْمَلُ فِيكَ وَعَظٌ وَلَا زَجْرٌ كَأَنَّكَ مِنْ جَمَادٍ
فَلَا تَأْمَنُ لِذِي الدُّنْيَا صَلاحاً فَإِنَّ صَلاحَهَا عَيْنُ الْفَسَادِ
وَلَا تَفْرَحُ بِمَالٍ تَقْتَنِيهِ فَإِنَّكَ فِيهِ مَعْكُوسُ الْمُرَادِ
وَتُبُّ عَمَّا جَنَيْتَ وَأَنْتَ حَيٌّ وَكُنْ مُتَيَقِّضاً قَبْلَ الرُّقَادِ
أَتَرْضَى أَنْ تَكُونَ رَفِيقَ قَوْمٍ لَهُمْ زَادٌ وَأَنْتَ بِغَيْرِ زَادٍ

وقال أحدُ العلماء أن من الناس ناسٌ لو مات نصَّف أحدهم ما انزجر
النصف الآخر ولا أحسبني إلا منهم .

وقال آخر : فائدة الصُّحبة إنما هي للزَّيَادَةِ في الحالِ وَعَدَمِ النُّقْصانِ فيها
فإِيَّاكَ وَصُحْبَةً مَنْ لَا يُنْهَضُكَ حَالُهُ وَلَا يَدُلُّكَ عَلَى اللَّهِ مَقَالُهُ .
فَصُحْبَةٌ مَنْ يَرْضَى عَنْ نَفْسِهِ وَإِنْ كَانَ عَالِماً شَرِّ مَحْضٍ وَلَا فائدةَ فيها لِأَنَّ
عِلْمَهُ فِي الْغَالِبِ غَيْرُ نَافِعٍ لَهُ .

وجهُلُهُ الَّذِي أَوْجَبَ رِضَاءَهُ عَنْ نَفْسِهِ صَارَ غَايَةَ الضَّررِ لِأَنَّهُ فَاتَهُ الْعِلْمُ
الَّذِي يُرِيهِ عَيْبَهُ حَتَّى لَا يَرْضَى عَنْ نَفْسِهِ الْأَمَارَةَ بِالسَّوَاءِ .

فعلى العاقل اللَّيِّيبِ مُحَاسَبَةُ نَفْسِهِ دَائِماً وَالْمُحَاسَبَةُ هِيَ مَطَالَعَةُ الْقَلْبِ
وإِعْمَالُ اللِّسَانِ وإِعْمَالُ الْجَوَارِحِ .

فاجْعَلْ ذُنُوبَكَ نَصَبَ عَيْنِكَ فَإِنْ غَفَلْتَ عَنْهَا اجْتَمَعَتْ بِسُرْعَةٍ وَكَثُرَتْ .
وتأمل وفكّر فلو أَنَّكَ وَضَعْتَ فِي كُلِّ مَعْصِيَةٍ تُحْدِثُهَا حَجَراً فِي دَارِكَ
لَا امْتِلَأَ بَيْتُكَ فِي مُدَّةٍ يَسِيرَةٍ .

فمثلاً عندك غِيبةٌ أو عندك كَذِبٌ أو عندك رِياءٌ أو عندك عقوقٌ أو قطيعةٌ
رحم .

أو ظلمٌ لمُسلمٍ أو لِنَفْسِكَ أو لأَهْلِكَ أو لأَوْلادِكَ أو لِجيرانِكَ أو تُعاملُ
مُعاملةً لا تُجوز .

أو عندك كُفَّارٌ مُخدِّمٌ أو سَوَّاقينٌ أو عندك مَلاهي كالْتلفاز والفيديو أو
عندك صُورٌ أو تشرب الدُّخان أو حلق لحية أو إسْبالٌ أو تشبه بكفارٍ أو سفر
لبلادهم .

أو لكٌ أولادٌ يَدْرُسُون عند الكفار برضا مِنكٌ أو أَكَلَكٌ وشُرْبُكٌ ولُبْسُكٌ
مِن شَرَكَاتٍ تَتعاملُ بالرِّبَا أو أَنَّ عَمَلَك لا تُؤدِّيهِ كامِلاً مُكَمِّلاً وتأخذ ما عليه
كامِلاً .

وأنتَ تَقْرَأُ : ﴿ وَيَلِّ لِلْمُطَفِّفِينَ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴾
الآية .

أولاً تَتَنَسَّحُ مِنَ الزَّكَاةِ أو نحو ذلك مِمَّا لا يَحْصُرُهُ الْعُدُّ .
فَتَقِظُ وَحَاسِبٌ نَفْسَكَ وَفَتَش عليها بِدَقَّةٍ وَأَسْأَلُ اللهَ الحيَّ القيومَ أن
يَتَجَاوَزَ عَنْكَ .

فَيَا وَيْحَ أَهْلَ الظُّلْمِ وَاللَّهْوِ وَالْغِنَا إِذَا أَقْبَلَتْ يَوْمَ الْحِسَابِ جَهَنَّمُ
وَرَأَعَهُمْ مِنْهَا تَعْيِظٌ مُخَنَّقٌ لِحَوْفِ عَذَابٍ فِي لُظَاهَا يُحْطَمُ
إِذَا مَرَّآهَا الْمُجْرِمُونَ وَأَيُّقُنُوا أَنَّ لَهُمْ فِيهَا شَرَابٌ وَمَطْعَمٌ
ضَرِيعٌ وَزُقُومٌ وَيَتْلُوهُ مَشْرَبٌ حَمِيمٌ لَأَمْعَاءِ الشَّقِيينَ يَهْزِمُ
وَمَنْ قَطْرَانِ كَسَوَةَ قَدْ تَسَّرَ بُلُؤًا وَسَيُقُونَا لِمَا فِيهِ الْعَذَابُ الْمُحِيمُ

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ نَفْساً مُطْمَئِنَّةً ، تُؤْمِنُ بِلِقَائِكَ وَتَرْضَى بِقَضَائِكَ ، وَتَقْنَعُ
بِعَطَائِكَ ، يَا أَرْأَفَ الرَّائِفِينَ ، وَأَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ .

اللَّهُمَّ أَنَا نَسْأَلُكَ التَّوْفِيقَ لِمَا تُحِبُّهُ مِنَ الْأَعْمَالِ ، وَنَسْأَلُكَ صِدْقَ التَّوَكُّلِ
عَلَيْكَ ، وَحُسْنَ الظَّنِّ بِكَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ .
اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الْمُحِبِّينَ ، الْغُرِّ الْمُحَجَّجِينَ الْوَفْدِ الْمُتَقَبَّلِينَ وَاللَّهِ
أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

فَصْلٌ

أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنْ سِمْرَةَ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِمَّا
يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ لِأَصْحَابِهِ هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رُؤْيَا .
وإِنَّهُ قَالَ لَنَا ذَاتَ غَدَاةٍ إِنَّهُ أَتَانِي آتِيَانِ فَقَالَا لِي انْطَلِقْ فَأَنْطَلَقْتُ مَعَهُمَا
فَأَخْرَجَانِي إِلَى الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ فَأَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُضْطَجِعٍ .
وَإِذَا آخِرُ قَائِمٍ عَلَيْهِ بِصَخْرَةٍ وَإِذَا هُوَ يَهْوِي بِالصَّخْرَةِ لِرَأْسِهِ فَيَثْلُغُ رَأْسَهُ
فَيَتَدَهَّدُهُ الْحَجَرُ هَهُنَا فَيَتْبَعُ الْحَجَرَ فَيَأْخُذُهُ فَلَا يَرْجِعُ إِلَيْهِ حَتَّى يَصْبَحَ رَأْسُهُ كَمَا
كَانَ ثُمَّ يَعُودُ فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى .
قُلْتُ لَهُمَا سُبْحَانَ اللَّهِ مَا هَذَا قَالَا لِي انْطَلِقْ فَأَنْطَلَقْنَا فَأَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ
مُسْتَلْقٍ لِقَفَاهُ وَإِذَا آخِرُ قَائِمٍ عَلَيْهِ بِكُلُوبٍ مِنْ حَدِيدٍ وَإِذَا هُوَ يَأْتِي أَحَدَ شِقَاقِي
وَجْهِهِ فَيُشْرِ شِرُّ شِدْقَهُ إِلَى قَفَاهُ وَمَنْخَرَهُ إِلَى قَفَاهُ .
ثُمَّ يَتَحَوَّلُ إِلَى الْجَانِبِ الْآخِرِ فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ بِالْجَانِبِ الْأَوَّلِ فَمَا
يَفْرُغُ مِنْ ذَلِكَ الْجَانِبِ حَتَّى يَصْبَحَ ذَلِكَ الْجَانِبُ كَمَا كَانَ ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ فَيَفْعَلُ
مِثْلَ مَا فَعَلَ فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى .
قُلْتُ سُبْحَانَ اللَّهِ مَا هَذَا قَالَا لِي انْطَلِقْ فَأَنْطَلَقْنَا فَأَتَيْنَا عَلَى مِثْلِ التَّنُورِ فَإِذَا

فِيهِ لَعَطٌ وَأَصْوَاتٌ فَاطْلَعْنَا فِيهِ فَإِذَا فِيهِ رِجَالٌ وَنِسَاءٌ عُرَاةٌ فَإِذَا هُمْ يَأْتِيهِمْ لَهَبٌ
مِنْ أَسْفَلٍ مِنْهُمْ فَإِذَا أَتَاهُمْ ذَلِكَ اللَّهَبُ ضَوْضَوْا .

قُلْتُ مَا هَؤُلَاءِ قَالَا لِيْ انْطَلِقْ فَانْطَلَقْنَا فَأَتَيْنَا عَلَى نَهْرٍ أَحْمَرَ مِثْلَ الدَّمِ وَإِذَا
فِي النَّهْرِ رَجُلٌ سَابِحٌ يَسْبَحُ وَإِذَا عَلَى شَطِّ النَّهْرِ رَجُلٌ عِنْدَهُ حِجَارَةٌ كَثِيرَةٌ وَإِذَا
ذَلِكَ السَّابِحُ يَسْبَحُ مَا سَبَحَ ثُمَّ يَأْتِي الَّذِي جَمَعَ عِنْدَهُ الْحِجَارَةَ فَيَفْعَرُ لَهُ فَاهُ
فَيَلْقِمُهُ حَجَرًا فَيَنْطَلِقُ فَيَسْبَحُ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِ كُلَّمَا رَجَعَ إِلَيْهِ فَعَرَّ لَهُ فَاهُ فَالْقَمَهُ
حَجَرًا .

قُلْتُ لَهُمَا مَا هَذَانِ قَالَا انْطَلِقْ فَأَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ كَرِهَ الْمَرْأَةَ كَأَكْرَهٍ مَا
أَنْتَ رَأَيْتَ وَإِذَا هُوَ عِنْدَهُ نَارٌ يَحُشُّهَا وَيَسْعَى حَوْلَهَا فَقُلْتُ لَهُمَا مَا هَذَا قَالَا لِيْ
انْطَلِقْ فَانْطَلَقْنَا فَأَتَيْنَا عَلَى رَوْضَةٍ مُعْتَمَةٍ فِيهَا مِنْ كُلِّ نَوْرِ الرَّيِّعِ وَإِذَا بَيْنَ ظَهْرِي
الرَّوْضَةِ رَجُلٌ طَوِيلٌ لَا أَكَادُ أَرَى رَأْسَهُ طَوْلًا فِي السَّمَاءِ وَإِذَا حَوْلَ الرَّجُلِ مِنْ
أَكْثَرِ الْوِلْدَانِ رَأَيْتُهُمْ قَطُ .

قَالَا لِيْ انْطَلِقْ فَانْطَلَقْنَا فَأَتَيْنَا إِلَى رَوْضَةٍ عَظِيمَةٍ لَمْ أَرِ رَوْضَةً قَطُ أَعْظَمَ مِنْهَا
وَلَا أَحْسَنَ قَالَا لِيْ إِرْقُ فِيهَا فَارْتَقَيْنَا فَانْتَهَيْنَا فِيهَا إِلَى مَدِينَةٍ مَبْنِيَّةٍ بِلَبَنِ ذَهَبٍ
وَلَبَنِ فِضَّةٍ فَأَتَيْنَا بَابَ الْمَدِينَةِ .

فَاسْتَفْتَحْنَا فَفُتِحَ لَنَا فَدَخَلْنَاهَا فَتَلَقَّانَا رِجَالٌ شَطْرُ مِنْ خَلْقِهِمْ مِنْ أَحْسَنِ مَا
أَنْتَ رَأَيْتَ وَشَطْرُ كَأَقْبَحِ مَا أَنْتَ رَأَيْتَ .

قَالَا لَهُمْ إِذْهَبُوا فَقَعُوا فِي ذَلِكَ النَّهْرِ ، فَإِذَا نَهْرٌ مُعْتَرِضٌ يَجْرِي كَأَنَّ مَاءَهُ
الْمَحْضُ فِي الْبَيَاضِ فَذَهَبُوا فَوَقَعُوا فِيهِ ، ثُمَّ رَجَعُوا إِلَيْنَا قَدْ ذَهَبَ السُّوءُ عَنْهُمْ
فَصَارُوا فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ .

قَالَا لِيْ هَذِهِ جَنَّةُ عَدْنٍ ، وَهَذَاكَ مَنْزِلُكَ فَسَمَا بَصْرِي صُعْدًا فَإِذَا قَصْرٌ

مِثْلَ الرَّبَابَةِ الْبَيْضَاءِ قَالَا لِي هَذَا مَنْزِلُكَ قُلْتُ لَهُمَا بَارَكَ اللَّهُ فِيكُمَا ذَرَانِي
فَادْخُلْهُ قَالَا لِي أَمَّا الْآنَ فَلَا وَأَنْتَ دَاخِلُهُ .

قُلْتُ لَهُمَا فَإِنِّي رَأَيْتُ مِنْذُ اللَّيْلَةِ عَجَبًا فَمَا هَذَا الَّذِي رَأَيْتُ .
قَالَا أَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يُلْتَعُ رَأْسُهُ بِالْحَجَرِ فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَأْخُذُ
الْقُرْآنَ فَيَرْفُضُهُ وَيَتَنَامُ عَنِ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ يُفَعِّلُ بِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ .
وَأَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي أَتَيْتَا عَلَيْهِ يُشَرُّ شَرَّ شَذْقُهُ إِلَى قَفَاهُ وَمَنْخَرُهُ إِلَى قَفَاهُ وَعَيْنُهُ
إِلَى قَفَاهُ فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَعْدُو مِنْ بَيْتِهِ فَيَكْذِبُ الْكِذْبَةَ تَبْلُغُ الْآفَاقَ فَيَصْنَعُ بِهِ إِلَى يَوْمِ
الْقِيَامَةِ .

وَأَمَّا الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ الْعُرَاةُ الَّذِينَ فِي مِثْلِ الثَّوْرِ فَإِنَّهُمْ الزُّنَاةُ وَالزُّوَانِي .
وَأَمَّا الرَّجُلُ أَتَيْتَ عَلَيْهِ يَسْبُحُ فِي النَّهْرِ وَيُلْقِمُ الْحِجَارَةَ فَإِنَّهُ آكِلُ الرِّبَا .
وَأَمَّا الرَّجُلُ الْكَرِيمُ الْمِرَاةُ الَّذِي عِنْدَهُ النَّارُ يَحُشُّهَا فَإِنَّهُ مَالِكُ خَازِنُ
جَهَنَّمَ .

وَأَمَّا الرَّجُلُ الطَّوِيلُ الَّذِي فِي الرُّوضَةِ فَإِنَّهُ إِبْرَاهِيمُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .
وَأَمَّا الْوِلْدَانُ الَّذِينَ حَوْلَهُ فَكُلُّ مَوْلُودٍ مَاتَ عَلَى الْفِطْرَةِ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ
وَأَوْلَادُ الْمُشْرِكِينَ قَالَ « وَأَوْلَادُ الْمُشْرِكِينَ » .

وَأَمَّا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَانُوا شَطَرٌ مِنْهُمْ حَسَنٌ وَشَطَرٌ مِنْهُمْ قَبِيحٌ فَإِنَّهُمْ قَوْمٌ
خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا ، تَجَاوَزَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَأَنَا جِبْرِيلُ وَهَذَا مِيكَائِيلُ .

وَأَخْرَجَ بَنُ عَسَاكِرَ عَنْ عَلِيٍّ نَحْوَهُ : فَمَضَيْتُ وَإِذَا بَيْتٌ اسْوَدَّ عَلَيْهِ قَوْمٌ
مُحْبِلُونَ تَنْفَخُ النَّارُ فِي أَذْبَارِهِمْ فَتَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَنَاخِرِهِمْ وَأَذَانِهِمْ
وَأَعْيُنِهِمْ .

إلى أن قال : وأما صاحبُ الكُوب الذي رَأَيْتَ فأولئك الذين كانوا يَمْشُونَ
بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ بِالنَّمِيمَةِ فَيُفْسِدُونَ بَيْنَهُمْ فَهُمْ يُعَذَّبُونَ بِهَا حَتَّى يَصِيرُوا إِلَى النَّارِ .
اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ يَا بَدِيعَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ نَسْأَلُكَ أَنْ تُوفِّقَنَا لِمَا فِيهِ
صَلَاحُ دِينِنَا وَدُنْيَانَا وَحَسَنُ عَاقِبَتِنَا وَأَكْرَمُ مَثْوَانَا وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ
الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

فصل

وَالْحَظِيبُ عَنْ أَبِي مُوسَى مَرْفُوعًا رَأَيْتُ رَجُلًا تُقْرَضُ جُلُودُهُمْ بِمَقَارِضَ
مِنْ نَارٍ قُلْتُ مَا شَأْنُ هَؤُلَاءِ قَالَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَتَزَيَّنُونَ إِلَى مَا لَا يَحِلُّ لَهُمْ وَرَأَيْتُ
خِباءً خَبِثَ الرِّيحُ فِيهِ صَيَّاحٌ قُلْتُ مَا هَذَا قَالَ هُنَّ نِسَاءٌ يَتَزَيَّنْنَ إِلَى مَا لَا يَحِلُّ
لَهُنَّ .

وَالْبَيْهَقِيُّ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ فِي حَدِيثِ الْإِسْرَاءِ قَالَ : « ثُمَّ مَضَيْتُ هُنَيْهَةً فَإِذَا
أَنَا بِأُخُوْتَةٍ عَلَيْهَا مُشْرَحٌ لَيْسَ يَقْرُبُهُ أَحَدٌ وَإِذَا أَنَا بِأُخُوْتَةٍ عَلَيْهَا لَحْمٌ قَدْ أُرْوَحَ
وَنَتْنٌ ، عِنْدَهَا أَنَسٌ يَأْكُلُونَ مِنْهَا قُلْتُ يَا جَبْرِيلُ مَا هَؤُلَاءِ قَالَ قَوْمٌ مِنْ أُمَّتِكَ
يَتَرَكُونَ الْحَلَالَ وَيَأْتُونَ الْحَرَامَ .

ثُمَّ مَضَيْتُ هُنَيْهَةً فَإِذَا أَنَا بِأَقْوَامٍ بَطُونُهُمْ أُمْتَالُ الْيُبُوتِ كُلَّمَا نَهَضَ أَحَدُهُمْ
خَرَّ يَقُولُ اللَّهُمَّ لَا تَقِمِ السَّاعَةَ وَهُمْ عَلَى سَابِلَةِ آلِ فِرْعَوْنَ فَتَجِيءُ السَّابِلَةُ
فَتَطَأُهُمْ فَسَمِعْتُهُمْ يَضِجُونَ إِلَى اللَّهِ .

قُلْتُ يَا جَبْرِيلُ مَنْ هَؤُلَاءِ قَالَ هَؤُلَاءِ مِنْ أُمَّتِكَ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَاءَ ثُمَّ

مَضِيَتْ هُنَيْهَةً فَإِذَا أَنَا بِأَقْوَامٍ مَشَافِرُهُمْ كَمَشَافِرِ الْإِبْلِ فَتَفْتَحُ أَفْوَاهَهُمْ وَيُلْقَمُونَ
مِنْ ذَلِكَ الْجَمْرِ ثُمَّ يَخْرُجُ مِنْ أَسَافِلِهِمْ .

قُلْتُ مَنْ هَؤُلَاءِ قَالَ هَؤُلَاءِ مِنْ أُمَّتِكَ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا ، ثُمَّ
مَضِيَتْ هُنَيْهَةً فَإِذَا أَنَا بِأَقْوَامٍ يُقْطَعُ مِنْ جُنُوبِهِمُ اللَّحْمُ فَيُلْقَمُونَ فَيَقَالُ كُلُّ كَمَا
كُنْتَ تَأْكُلُ مِنْ لَحْمِ أَخِيكَ .

قُلْتُ مَنْ هَؤُلَاءِ قَالَ هَؤُلَاءِ اللَّمَّازُونَ .

وَلَهُ عَنْ عَدِي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ فِي حَدِيثِ الْإِسْرَاءِ ثُمَّ أَتَى عَلَى قَوْمٍ عَلَى أَقْبَالِهِمْ
رِقَاعٌ وَعَلَى أَدْبَارِهِمْ رِقَاعٌ يَسْرَحُونَ كَمَا تَسْرَحُ الْإِبِلُ وَالْعَنَمُ وَيَأْكُلُونَ الضَّرِيعَ
وَالرَّقُومَ وَرَضْفَ جَهَنَّمَ وَحِجَارَتَهَا .

قُلْتُ مَنْ هَؤُلَاءِ قَالَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ لَا يُؤَدُّونَ صَدَقَاتِ أَمْوَالِهِمْ ثُمَّ أَتَى عَلَى
قَوْمٍ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ لَحْمٌ يَنْضِجُ فِي قِدْرٍِ وَلَحْمٌ آخَرُ خَبِيثٌ فَجَعَلُوا يَأْكُلُونَ مِنْ
النَّبِيِّ وَيَدْعُونَ النَّضِيجَ الطَّيِّبَ .

قُلْتُ مَنْ هَؤُلَاءِ قَالَ الرَّجُلُ يَقُومُ مِنْ عِنْدِ امْرَأَتِهِ حَلَالًا فَيَأْتِي الْمَرْأَةَ الْحَبِيثَةَ
فَيَبِيتُ مَعَهَا حَتَّى يُصْبِحَ وَالْمَرْأَةُ تَقُومُ مِنْ عِنْدِ زَوْجِهَا حَلَالًا طَيِّبًا فَتَأْتِي الرَّجُلَ
الْحَبِيثَ فَيَبِيتُ عِنْدَهُ حَتَّى تُصْبِحَ .

ثُمَّ أَتَى عَلَى رَجُلٍ قَدْ جَمَعَ حُزْمَةَ عَظِيمَةً لَا يَسْتَطِيعُ حَمْلَهَا وَهُوَ يَزِيدُ عَلَيْهَا
فَقَالَ مَا هَذَا قَالَ هَذَا الرَّجُلُ يَكُونُ عِنْدَهُ أَمَانَاتُ النَّاسِ لَا يَقْدِرُ عَلَى أَدَائِهَا وَهُوَ
يَحْمِلُ عَلَيْهَا .

ثُمَّ أَتَى عَلَى قَوْمٍ تُقْرَضُ أَلْسِنَتُهُمْ وَشِفَاهُهُمْ بِمَقَارِضَ مِنْ حَدِيدٍ كُلَّمَا
قُرِضَتْ عَادَتْ كَمَا كَانَتْ لَا يُفْتَرُّ عَنْهُمْ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٍ قَالَ مَا هَؤُلَاءِ قَالَ
خُطَبَاءُ الْفِتْنَةِ .

ولاي داوود عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَمَّا عَرَجَ نِي مَرَرْتُ بِأَقْوَامٍ لَهُمْ أَطْفَارٌ مِنْ نَحَاسٍ يَخْمِشُونَ وَجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ قُلْتُ مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جَبْرِيلُ قَالَ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ وَيَقْعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ .

وأخرَجَ ابن خزيمة وابن حبان عن أبي أمامة وسنده جيد قال خرَجَ عَلَيْنَا رسول الله ﷺ بعد صلاة الصبح فقال : « إِنِّي رَأَيْتُ رُؤْيَا وَهِيَ حَقٌّ فَاغْلُظْهَا أَتَانِي رَجُلٌ فَأَخَذَ بِيَدِي فَاسْتَبَعَنِي حَتَّى أَتَى جَبَلًا وَغَرًّا فَقَالَ لِي إِرْقُهُ فَقُلْتُ لَا أَسْتَطِيعُ فَقَالَ لِي سَأُسَهِّلُهُ لَكَ فَجَعَلْتُ كُلَّمَا رَفَعْتُ قَدَمِي وَضَعْتُهَا عَلَى دَرَجَةٍ حَتَّى اسْتَوَيْتُ إِلَى سَوَاءِ الْجَبَلِ .

فَانْطَلَقْنَا فَإِذَا نَحْنُ بِرِجَالٍ وَنِسَاءٍ مُشَقَّقَةً أَشَدَّاهُمْ قُلْتُ مَنْ هَؤُلَاءِ قَالَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ .

ثم انْطَلَقْنَا فَإِذَا نَحْنُ بِرِجَالٍ وَنِسَاءٍ مُسَمَّرَةٍ أَغْيَنَهُمْ وَأَذَانَهُمْ قُلْتُ مَا هَؤُلَاءِ قَالَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُرَوْنَ أَغْيَنَهُمْ وَيُسْمِعُونَ آذَانَهُمْ مَا لَا يَسْمَعُونَ .

ثم انْطَلَقْنَا فَإِذَا نَحْنُ بِنِسَاءٍ مُعَلَّقَاتٍ بِعَرَاقِبِهِنَّ مُصْبُوبَةً رُؤُوسُهُنَّ تَنْهَشُ أَقْدَامَهُنَّ الْحَيَّاتُ قُلْتُ مَا هَؤُلَاءِ قَالَ هَؤُلَاءِ الْآتِي يَمْنَعُنْ أَوْلَادَهُنَّ أَلْبَانَهُنَّ .

فَانْطَلَقْنَا فَإِذَا نَحْنُ بِرِجَالٍ وَنِسَاءٍ مُعَلَّقِينَ بِعَرَاقِبِهِمْ مُصْبُوبَةً رُؤُوسُهُمْ يَلْحَسُونَ مِنْ مَاءٍ قَلِيلٍ وَحَمٍ قُلْتُ مَا هَؤُلَاءِ قَالَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَصُومُونَ ثُمَّ يُفْطِرُونَ قَبْلَ تَحِلَّةِ صَوْمِهِمْ .

ثم انْطَلَقْنَا فَإِذَا نَحْنُ بِرِجَالٍ وَنِسَاءٍ أَقْبَحَ شَيْءٍ مَنَظَرًا وَأَقْبَحَهُ لُبُوسًا وَأَنْتَنَةً رِيحًا كَانَ رِيحُهُمُ الْمَرَاخِضُ قُلْتُ مَنْ هَؤُلَاءِ قَالَ هَؤُلَاءِ الزَّانُونَ وَالزَّانَاتُ .

ثم انْطَلَقْنَا فَإِذَا نَحْنُ بِمَوْتَى أَشَدَّ شَيْءٍ إِنْتِفَاحًا وَأَقْبَحَهُ رِيحًا قُلْتُ مَنْ هَؤُلَاءِ قَالَ هَؤُلَاءِ مَوْتَى الْكُفَّارِ .

ثم انطلقنا فإذا نحنُ بِرِجَالٍ تَحْتَ الشَّجَرِ قُلْتُ مَنْ هَؤُلَاءِ قَالَ هَؤُلَاءِ مَوْتَى الْمُسْلِمِينَ .

ثم انطلقنا فإذا نحنُ بِغِلْمَانٍ وَجَوَارٍ يَلْعَبُونَ بَيْنَ نَهْرَيْنِ قُلْتُ مَنْ هَؤُلَاءِ قَالَ هَؤُلَاءِ ذُرِّيَّةُ الْمُؤْمِنِينَ .

ثم انطلقنا فإذا نحنُ بِرِجَالٍ أَحْسَنَ شَيْءٍ وَجُوهَا وَأَحْسَنَهُ لُبُوساً وَأَطْيَبَهُ رِيحاً كَأَنَّ وَجُوهَهُمُ الْقَرَاتِيسُ قُلْتُ مَا هَؤُلَاءِ قَالَ هَؤُلَاءِ الصَّادِقُونَ وَالشُّهَدَاءُ وَالصَّالِحُونَ .

ثم انطلقنا فإذا نحنُ بثلاثة يشربون خَمِراً لَهُمْ وَيَتَعَنُّونَ قُلْتُ مَنْ هَؤُلَاءِ قَالَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ وَجَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ .

وَلِلْتَرَمِذِيِّ وَصَحَّحَهُ عَنْ عِمَارَةَ بْنِ عُمَيْرٍ قَالَ لَمَّا قُتِلَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ أَتَى بِرَأْسِهِ وَرُؤُسَ أَصْحَابِهِ فَالْقَيْتُ فِي الرَّحْبَةِ فَجَاءَتْ حَيَّةٌ عَظِيمَةٌ فَتَفَرَّقَ النَّاسُ مِنْ فَرْعِهَا فَتَحَلَّلَتِ الرُّؤُوسَ حَتَّى دَخَلَتْ فِي مَنْخَرِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ .

ثم خَرَجْتُ مِنْ فِيهِ ثُمَّ دَخَلْتُ مِنْ فِيهِ وَخَرَجْتُ مِنْ أَنْفِهِ فَفَعَلْتُ بِهِ مِرَاراً ثُمَّ ذَهَبْتُ ثُمَّ عَادْتُ فَفَعَلْتُ بِهِ مِثْلَ ذَلِكَ مِرَاراً مِنْ بَيْنِ الرُّؤُوسِ وَلَا يَذْرُؤُنَ مِنْ أَيْنَ جَاءَتْ وَلَا أَيْنَ ذَهَبَتْ .

وقال ابنُ القيم رحمه الله وحدثنا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَرَّانِيِّ أَنَّهُ خَرَجَ مِنْ دَارِهِ بِأَمَدٍ بَعْدَ الْعَصْرِ إِلَى بُسْتَانٍ فَلَمَّا كَانَ قَبْلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ تَوَسَّطَ الْقُبُورَ وَإِذَا قَبْرٌ مِنْهَا وَهُوَ جَمْرَةٌ نَارٍ مِثْلُ كُورِ الزُّجَاجِ وَالْمِثْ فِي وَسْطِهِ قَالَ وَسَأَلْتُ عَنْ صَاحِبِ الْقَبْرِ فَإِذَا هُوَ مَكَّاسٌ قَدْ تُوْفِيَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ .

وَلِلْبَيْهَقِيِّ فِي الشُّعْبِ عَنْ عَبْدِ الْحَمِيدِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمُعُولِيِّ قَالَ كُنْتُ جَالِساً

عند ابن عباس فأتاه قوم فقالوا إنا نخرجنا ومعنا صاحب لنا حتى أتينا ذا
الصفاح فمات فهيئناه ثم انطلقنا فحفرنا له قبراً ولحدنا له فلما فرغنا من
لحده فإذا نحن بأسود قد ملأ اللحد وحفرنا له مكاناً آخر فلما فرغنا من لحده
إذا نحن بأسود قد ملأ اللحد فقال ابن عباس ذلك عمله الذي كان يعمل
انطلقوا فادفنوه في بعضهما فوالذي نفسي لو حفرتم الأرض كلها لوجدتموه
فيها فانطلقنا فدفنناه في بعضهما « نسأل الله أن يوفقنا للأعمال الصالحة وحسن
الخاتمة إنه جواد كريم .

قصيدة فيها تضرع إلى رب العزة والجلال والكبرياء والعظمة :

يا ذا الجلال ويا ذا الجود والكرم	قد جئتك خائفاً من زلة القدم
ذبي عظيم وأرجو منك مغفرة	يا واسع العفو والغفران والكرم
دعوت نفسي إلى الخيرات فامتنت	وأعرضت عن طريق الخير والنعم
حسرت عمري وقد فرطت في زمني	في غير طاعة مولاي فيا ندمي
حملت ثقلاً من الأوزار في صغري	يا حجلي في غد من زلة القدم
راح الشباب وولى العمر في لعب	وما تحصنت من خير ولم أقم
زمان عزمي قد ضيعته كسلاً	والعمر مني انقضى في غفلة الحلم
قد انقضت عيشتي بالذل وأسفي	إن لم تجد خالقي بالعفو والكرم
ذبي خالتي وانكساري لا تخيبي	إذا وقعت ذليلاً خافي القدم
أئت بالذل والتقصير والتدم	أرجو الرضا منك بالغفران والكرم
سار المجدون في الخيرات واجتهدوا	يا فوزهم غنموا الجنات والنعم
شفاء قلبي ذكر الله خالقنا	يا فوز عبدي إلى الخيرات يستقيم
صفت لأهل التقى أوقاتهم سجدوا	نألوا الهنا والمنى بالخير والكرم
ضيعت عمري ولا قدمت لي عملاً	أنجو به يوم هول الخوف والزحم

طَوَّبِي لِعَبِيدِ أَطَاعَ اللَّهَ خَالِقَهُ
ظَهَرَنِي تَقِيْلٌ بِذَنْبِي آهِ وَالْأَسْفَى
أَرْجُوكَ يَا ذَا الْعَلَا كَرِّبِي تُفَرِّجُهُ
وَقَامَ جَنَحَ الدُّجَى بِالْذَّمْعِ مُنْسَجِمٍ
يَوْمَ اللَّقَاءِ إِذَ الْأَقْدَامُ فِي رَحِمِ
وَاشْفِ بِفَضْلِكَ لِي بَلَوَايَ مَعَ سَقَمِي

غَفَلْتُ عَنْ ذِكْرِ مَعْبُودِي وَطَاعَتِهِ
فَاغْفِرْ ذُنُوبِي وَكُنْ يَا رَبِّ مُنْقِذَنَا
قَدْ أَثْقَلَتْنِي ذُنُوبٌ مَا لَهَا أَحَدٌ
كُنْ مُنْجِدِي يَا إِلَهِي وَاعْفُ عَنْ زَلَلِي
لَاخَ الْمَشِيبُ وَوَلَّى الْعُمُرُ فِي لَعِبٍ
مَضَى زَمَانِي وَمَا قَدَّمْتُ مِنْ عَمَلٍ
تَامَتْ عُيُونِي وَأَهْلُ الْخَيْرِ قَدْ سَهَرُوا
قَامُوا إِلَى ذِكْرِ مَوْلَاهُمْ فَقَرَّبَهُمْ
وَلَيْسَ لِي غَيْرَ رَبِّ الْخَلْقِ مِنْ سَنَدٍ
لَا أُرْتَجِي أَحَدًا يَوْمَ الرَّحَامِ سِوَى
ثَمِ الصَّلَاةُ عَلَى الْخِتَارِ مِنْ مُضَرٍ
وَقَدْ مَشَيْتُ إِلَى الْعَصِيَانِ فِي هِمٍ
مِنَ الشَّدَائِدِ وَالْأَهْوَالِ وَالثَّهَمِ
سِوَاكَ يَا غَافِرَ الزَّلَّاتِ وَاللَّثَمِ
وَتُبَّ عَلَيَّ مِنَ الْآثَامِ وَاللَّثَمِ
وَصِيرْتُ مِنْ كَثْرَةِ الْأَوْزَارِ فِي نَدَمٍ
يَا خَجَلْتَنِي مِنَ إِلَهِي بَارِي النَّسَمِ
أَجْفَأْتُهُمْ فِي ظَلَامِ اللَّيْلِ لَمْ تَنَمْ
وَحَصَّهْمُ بِالرِّضَا وَالْفَضْلِ وَالْكَرَمِ
أَرْجُوهُ يُؤَلِّينِي بِالْغُفْرَانِ وَالْكَرَمِ
رَبِّ الْبَرِّيَّةِ مُوَلَّى الْفَضْلِ وَالْكَرَمِ
مُحَمَّدٍ الْمُصْطَفَى الْمَخْصُوصِ بِالْكَرَمِ

اللَّهُمَّ انْهَجْ بِنَا مَنَاهِجَ الْمُفْلِحِينَ وَالْإِسْتِنَا خِلَعَ الْإِيمَانِ وَالْيَقِينِ ، وَخَصَّنَا مِنْكَ
بِالتَّوْفِيقِ الْمُبِينِ ، وَوَفَّقْنَا لِقَوْلِ الْحَقِّ وَاتِّبَاعِهِ وَخَلَّصْنَا مِنَ الْبَاطِلِ وَابْتِدَاعِهِ ، وَكُنْ لَنَا
مُؤَيِّدًا وَلَا تَجْعَلْ لِفَاجِرٍ عَلَيْنَا يَدًا وَاجْعَلْ لَنَا عَيْشًا رَغَدًا وَلَا تُشْمِتْ بِنَا عَدُوًّا
وَلَا حَاسِدًا ، وَارْزُقْنَا عِلْمًا نَافِعًا وَعَمَلًا مُتَقَبَّلًا ، وَفَهْمًا ذَكِيًّا صَفِيًّا وَشِفَاءً مِنْ كُلِّ
دَاءٍ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ
عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْل)

عن بريدة قال : سمع النبي ﷺ رجلاً يقول : اللهم أني أسألك بأنني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد .

فقال رسول الله ﷺ : والذي نفسي بيده لقد سأل الله باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى أخرجه أبو داود والترمذي .

وعن أنس رضى الله عنه قال : دعا رجل فقال : اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت الحنان المنان بديع السموات والأرض ذو الجلال والإكرام يا حي يا قيوم .

فقال النبي ﷺ : أتدرون بما دعا ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم قال : والذي نفسي بيده لقد دعا الله باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى ، أخرجه أصحاب السنن .

عن سعد بن أبي وقاص قال قال : قال رسول الله ﷺ : « دعوة ذى النون إذ دعى وهو في بطن الحوت لا إله إلا أنت سُبْحَانَكَ إني كنت من الظالمين » .

فإنه لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب له ، رواه الترمذي والنسائي والحاكم وقال صحيح الإسناد .

وعن معاوية بن أبي سفيان قال : سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقول « مَنْ دَعَا بهؤلاء الكلمات الخمس لم يسأل الله شيئاً إلا أعطاه (لا إله إلا الله والله أكبر لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك

وله الحمد وهو على كل شيء قدير لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة
إلا بالله) رواه الطبراني بإسناد حسن .

وعن معاذ بن جبل قال : سمع رسول الله ﷺ رجلاً وهو
يقول (يا ذا الجلال والإكرام) فقال « قد استجيب لك فسل » رواه
الترمذي .

اللهم اجعلنا مكثرين لذكرك مؤدّين لحقك حافظين لأمرك
راجين لوعدك راضين في جميع حالاتنا عنك .
راغبين في كل أمورنا إليك مؤملين لفضلك شاكرين
لنعيمك .

يا مَنْ يحب العفو والإحسان ، ويأمر بها أعفُ عنا ،
وأحسن إلينا .

فإنك بالذي أنت له أهلٌ من عفوك أحقُّ منا بالذي نحن له
أهلٌ من عُقوبتك .

اللهم ثبّت رجاءك في قلوبنا ، واقطعه عمّن سواك ، حتى
لا نرجوا غيرك ولا نستعين إلا إياك ، يا أرحم الراحمين ، يا أكرم
الأكرمين .

اللهم هب لنا اليقين والعافية ، وإخلاص التوكل عليك ،
والاستغناء عن خلقك .

واجعل خير أعمالنا ما قارب آجالنا .

اللهم أغننا بما وفقنا له من العلم ، وزينا بالحلم وأكرمنا
بالتقوى وجملنا بالعافية .

اللهم افتح مَسَامِعَ قلوبنا لذكرك وارزُقنا طاعتك وطاعة
رسولك ووفقنا للعمل بكتابك وسنة رسولك .

اللهم إنا نسألك الهدى ، والتقى والعافية والغنى ، ونعوذ
بك من درك الشقاء ، ومن جهد البلاء ومن سوء القضاء ومن
شهادة الأعداء .

اللهم لك الحمد كله ، ولك الملك كله ، وبيدك الخير كله ،
وإليك يرجع الأمر كله علانيته وسره ، أهل الحمد والثناء أنت ،
لا إله إلا أنت سبحانك إنك على كل شيء قدير .

اللهم اغفر لنا جميع ما سلف منا من الذنوب ، واعصمنا
فيما بقى من أعمارنا ، ووفقنا لعمل صالح ترضى به عنا .
اللهم يا سامع كل صوت ، ويا بارئ النفوس بعد الموت ،
يا من لا تشبه عليه الأصوات ، يا عظيم الشأن ، يا واضح
البرهان ، يا من هو كل يوم في شأن ، اغفر لنا ذنوبنا إنك أنت
الغفور الرحيم .

اللهم يا عظيم العفو ، يا واسع المغفرة ، يا قريب الرحمة ،
يا ذا الجلال والإكرام ، هب لنا العافية في الدنيا والآخرة .
اللهم يا حيُّ يا قيُّوم فرِّغْنَا لما خلَقْتَنَا له ، ولا تُشْغِلْنَا بما
كَفَلْتَ لنا به ، واجعلنا ممن يُؤْمِنُ بِلِقَائِكَ ، ويرضَى بقضائك ،
ويقنعُ بعطائك ، ويخشاك حقَّ خشيتك .

اللهم اجعل رزقنا رَغَدًا ، ولا تشمت بنا أحدًا .
اللهم رَغْبًا فيما يبقى ، وزهدنا فيما يفنى ، وهب لنا اليقين
الذي لا تسكن النفوس إلا إليه ، ولا يُعوَّل في الدين إلا عليه .
اللهم إنا نسألك بعزك الذي لا يرام وملكك الذي لا يضام
وبنورك الذي ملأ أركان عرشك أن تكفينا شر ما أھمنا وما لا نهتم
به وأن تعيدنا من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا .

اللهم يا عليم يا حليم يا قوي يا عزيز يا ذا المن والعطا والعز
والكبرياء يا مَنْ تَعْنُوا له الوجوه وتخضع له الأصوات .

وفقنا لصالح الأعمال وأكفنا بحلالك عن حرامك وبفضلك
عمن سواك إنك على كل شيء قدير .

اللهم إنا نسألك رحمةً مِنْ عندك تهدي بها قُلُوبَنَا ، وتَجْمَعُ
بها شَمْلَنَا ، وتَلُمُ بها شَعَثَنَا ، وترفع بها شاهدنا ، وتحفظُ بها غائِبَنَا ،
وتزكى بها أعمالنا ، وتلهمنا بها رشدنا ، وتعصمنا بها من كل سوء
يا أرحم الراحمين .

اللهم أرزقنا من فضلك ، وأكفنا شر خلقك ، وأحفظ
علينا ديننا وصحة أبداننا .

اللهم يا هادي المضلين وياراحم المذنبين ، ومُقِيلَ عثرات
العائرين ، نسألك أن تُلْحِقَنَا بعبادك الصالحين الذين أنعمتَ
عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين آمين يارب
العالمين .

اللهم يا عالم الخفيات ، ويارفع الدرجات ، يا غافر الذنب
وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول لا إله إلا أنت إليك المصير .
نسألك أن تديننا برد عفوك ، وحلاوة رحمتك ، يا أرحم
الراحمين وأرأف الرائفين وأكرم الأكرمين .

اللهم اغتقنا من رِقِّ الذُّنُوبِ ، وخَلِّصْنَا مِنْ أَشْرِ النُّفُوسِ ،
وأذهبْ عَنَّا وَحْشَةَ الْإِسَاءَةِ ، وطَهِّرْنَا مِنْ دَنَسِ الذُّنُوبِ ، وباعدْ
بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْخَطَايَا وأَجِرْنَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ .

اللهم طَيِّبْنَا لِلْقَائِكَ ، وَأَهْلُنَا لَوْلَايِكَ وَأَدْخِلْنَا مَعَ الْمَرْحُومِينَ
مِنْ أَوْلِيَائِكَ ، وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ وَالْحَقْنَا بِالصَّالِحِينَ .
اللهم أَعِنَّا عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ ، وَتِلَاوَةِ
كِتَابِكَ ، وَاجْعَلْنَا مِنْ حَزْبِكَ الْمُفْلِحِينَ ، وَأَيِّدْنَا بِجُنْدِكَ
الْمَنْصُورِينَ ، وَارْزُقْنَا مُرَافَقَةَ الْبَازِلِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ
وَالصَّادِقِينَ وَالشَّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ .

اللهم يَا فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى ، يَا مُنْشِئَ الْأَجْسَادِ بَعْدَ الْبَلَى
يَا مُؤَيِّ الْمُنْقَطِعِينَ إِلَيْهِ ، يَا كَافِيَ الْمُتَوَكِّلِينَ عَلَيْهِ ، انْقَطِعَ الرَّجَاءُ إِلَّا
مِنْكَ ، وَخَابَتِ الظُّنُونُ إِلَّا فِيكَ ، وَضَعُفَ الْإِعْتِمَادُ إِلَّا عَلَيْكَ
نَسْأَلُكَ أَنْ تُمِطَّ رَحْلَ قُلُوبِنَا مِنْ سَحَابِ بَرِّكَ وَاحْسَانِكَ وَأَنْ تَوْفِقَنَا
لِمَوْجِبَاتِ رَحْمَتِكَ وَعَزَائِمِ مَغْفِرَتِكَ إِنَّكَ جَوَادٌ كَرِيمٌ رُؤُوفٌ غَفُورٌ
رَحِيمٌ .

اللهم إِنَّا نَسْأَلُكَ قَلْبًا سَلِيمًا ، وَلِسَانًا صَادِقًا ، وَعَمَلًا مُتَقَبَّلًا ،
وَنَسْأَلُكَ بَرَكَاتِ الْحَيَاةِ وَخَيْرِ الْحَيَاةِ ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ الْحَيَاةِ ، وَشَرِّ
الْوَفَاةِ .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الْأَعْظَمِ الْأَعَزِّ الْأَجَلِّ الْأَكْرَمِ
الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَبْتَ وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ .
وَنَسْأَلُكَ بِوَجْهِكَ الْكَرِيمِ أَكْرَمِ الْوُجُوهِ ، يَا مَنْ عَنَتَ لَهُ
الْوُجُوهُ ، وَخَضَعَتْ لَهُ الرِّقَابُ ، وَخَشَعَتْ لَهُ الْأَصْوَاتُ ، يَا ذَا
الْجَلَالِ وَالْأَكْرَامِ .

يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ ، يَا مَالِكَ الْمُلْكِ ، يَا مَنْ هُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ ، وَبِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، بِرَحْمَتِكَ نَسْتَغِيثُ ،
وَمِنْ عَذَابِكَ نَسْتَجِيرُ .

اللهم اجعلنا نخشاك حتى كأننا نراك ، واسعدنا بتقواك ،
ولا تشقنا بمعصيتك .

اللهم إنك تسمع كلامنا ، وترى مكاننا ، وتعلم سرنا ،
وعلايتنا لا يخفى عليك شيء من أمرنا نحن البؤساء الفقراء
إليك ، المستغيثون المستجيرون الوجلون المشفقون المعترفون
بذنوبنا .

نسألك مسألة المسكين ، ونبتهل إليك إبتihal المذنب
الذليل ، وندعوك دعاء الخائف الضريع .

اللهم يامن خضعت له رقابنا ، وفاضت له عباتنا ،
وذلت له أجسامنا ، ورغمت له أنوفنا لا تجعلنا بدعائك أشقياء ،
وكن بنا رؤفا ياخير المسؤولين .

اللهم إنا نسألك نفساً مطمئنة ، تؤمن ببقائك وترضى
بِقضائك ، وتقنع بعطائك ، يا أرف الرائفين ، وأرحم الراحمين .

اللهم إنا نسألك التوفيق لما تحبه من الأعمال ، ونسألك
صديق التوكل عليك ، وحسن الظن بك يارب العالمين .

اللهم اجعلنا من عبادك المخبئين ، الغر المحجلين الوفي
المتقبلين .

اللهم إنا نسألك حياة طيبة ، ونفساً تقية ، وعيشة نقيه ،
وميتة سوية ، ومرداً غير مخزي ولا فاضح .

اللهم اجعلنا من أهل الصلاح والنجاح والفلاح ، ومن
المؤيدين بنصرك وتأييدك ورضاك يارب العالمين .

« اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن

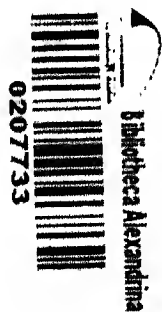
تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .

يَا وَدُودُ يَا ذَا الْعَرْشِ الْمَجِيدِ يَا مُبْدِيُ يَا مُعِيدُ يَا فَعَالُ مَا تُرِيدُ
نَسْأَلُكَ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي مَلَأَ أَرْكَانَ عَرْشِكَ وَبِقُدْرَتِكَ الَّتِي قَدَرْتَ
بِهَا عَلَى جَمِيعِ خَلْقِكَ وَبِرَحْمَتِكَ الَّتِي وَسَّعَتْ كُلَّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ
أَنْ تَغْفِرَ ذُنُوبَنَا وَسَيِّئَاتِنَا وَأَنْ تَبْدِلَهَا لَنَا بِحَسَنَاتٍ إِنَّكَ جَوَادٌ كَرِيمٌ
رُؤُوفٌ رَحِيمٌ .

اللَّهُمَّ افْتَحْ لِدُعَائِنَا بَابَ الْقَبُولِ وَالْإِجَابَةِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا
وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ .
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ ، ، ،

عبدالعزیز بن محمد بن سلمان

طبع في
مطابع الهند
الرياض من اب ١١٧٠ - مليون ٤٤٦٦٧



مكتبة
البحر
الكتاب